

اهداءات ٢٠٠٣

اسرة المرحوم الأستاذ/محمد سعيد البسوي
الإسكندرية

Jonathan Riley Smith

**THE FIRST CRUSADE
And the Idea of Crusading**

جوناثان ريلي — سميث

الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية

ترجمة

د. محمد فتحي الشاعر

الطبعة الثانية



الهيئة العربية العامة للكتاب

١٩٩٩

مشروع الألف كتاب الثاني
ناخذة على الثقافة العالمية

د. سمير سرحان المشرف العام

أحمد صليحة رئيس التحرير
عزت عبد العزيز مدير التحرير
محسنة عطية المشرف الفني

سكرتارية التحرير والمشؤون الفنية

هالة محمد

هند فاروق

هند أنور

إعداد الفهارس والكشافات

أمال زكي

التصحيح

محمد حسن

يوسف شوقي

فهرس

٧	كلمة المحرر
٩	مقدمة
	الفصل الأول
٣٣	رسالة البابا أوربان
	الفصل الثاني
٦٣	استجابة عامة الناس
	الفصل الثالث
١٠٩	الأحوال إبان الزحف الصليبي
	الفصل الرابع
١٦٨	أفكار الصليبيين
	الفصل الخامس
٢١٧	الحملة الصليبية لسنة ١١٠١م
	الفصل السادس
٢٤٤	الارتقاء اللاهوتي
٢٧٣	الخاتمة
٣٧٩	كشاف

كلمة المحرر

قوبلت الطبعة الأولى من هذا الكتاب بترحاب كبير ، وقد نفذت بعد بضعة شهور ، ولم يكن هذا النجاح من قبيل المصادفة ، بل كان أمرا متوقعا ، لا لأن الدراسات التاريخية ، كما توضح أرقام التوزيع ، تحظى باقبال كبير بين قراء العربية فحسب ، بل لأنه ، وهو الأهم ، يعالج موضوع الساعة .

صحيح أن هذا الكتاب يصنف ضمن كتب التاريخ ، وصحيح أنه يدور حول حادثة وقعت قبل نحو ألف عام تقريبا ، ولكنه في جوهره يعرض لقضية التعصب الديني والعرقى الذى كان وراء ميلاد فكرة الحروب الصليبية .

هذا التعصب نفسه مازال يحاصر الانسان المعاصر في كل مكان من عالمنا الذى تميزه الصراعات العرقية والثقافية والدينية ، والذى دفع من حياة الملايين من أبنائه ثمنا فادحا لها .

ومن المؤسف ، ونحن على اعتاب القرن الحادى والعشرين ، أن الكثيرين منا مازالوا يتصورون أن التقسيمات العرقية والثقافية والدينية تعنى فوارق جوهرية بين البشر ، وبالتالي تسمح بتصنيفهم فى مراتب متدرجة من حيث السمو العقلى أو الروحى أو الثقافى ، رغم أن الفوارق الدينية والثقافية والعرقية بين أشد الجماعات تباينا هى فوارق ظاهرية شكلية لا تمس الجوهر الانسانى ، فالدراسات الفسيولوجية قد أثبتت أن الفارق بين الانسان والغوريلا على سبيل المثال لا يزيد على اثنين فى المائة من مكوناتهما الجوهرية . فاذا كان الفارق طفيفا الى هذا الحد بيننا وبين بنى عمومنا ، فكيف الحال اذن بيننا نحن البشر .

الحملة الصليبية الأولى

ليس المرء بحاجة الى الكثير من الذكاء لسكى يدرك أن وراء تلك الصراعات العرقية والدينية وغيرها جماعات من المنتفعين الذين يحركون الجماهير ويتلاعبون على عواطفها القومية والدينية لتحقيق مآربهم وشهواتهم للسلطة . وهم يتخفون وراء أسمى الغايات وأنبل الشعارات . فمنهم من يتغنى بحب الوطن يدعو الى تطهيره من دنس الطوائف العرقية أو الدينية المختلفة التى لوثت نقاءه . ومنهم من يدعى أنه حامل لواء الايمان الذى جاء ليحقق الحق ويقضى على الباطل وينفذ رسالة الله على الأرض .

هكذا ولدت فكرة الحروب الصليبية وغيرها من الحروب التى تسترت وراء لواء الدين أو العرق لكى تستحل به أرض وعرض ومال الغير .

ومن هنا نود أن نبرز حقيقة هامة لا مراء فيها ، وهى أن تلك الحروب لم تكن صراعا بين المسيحية والاسلام كدينين سماويين ، اذ ان المسيحية التى تقوم فى جوهرها على فكرة المحبة الانسانية لا يمكن لها أن تصدم بالاسلام الذى جاء مكملا لها والذى ناضل فى عصر سادته روح التعصب البغيضة لرفع لواء التسامح وحماية حرية الانسان فى الفكر والعقيدة .

والدرس الذى نخرج به من تلك الحروب أن ظلمات الجهل والتعصب يمكنها أن تحيل أنبل الأفكار وأسمى المبادئ الى أداة تدمير تقوض نفس القيم السامية التى تزعم أنها جاءت لتحميها . .

المحور .

مقدمة

يعود فضل الاهتمام بالحروب الصليبية والذاكرة السائدة عن أصول تلك الحروب وتاريخها المبكر الى كتاب كارل اردمان Carl Erdmann «أصل فكرة الحرب الصليبية Die Entstehung des Kreuzzugsgedankens» وعلى الرغم من أن ذلك الكتاب صدر منذ خمسين عاما ، فإن تأثيره حاليا أقوى من قبل ، لأن ظهور طبعة منه باللغة الانجليزية ساعد جمهورا عريضا من القراء على الاطلاع على هذا الكتاب ، واعتمدت معظم البحوث فى الخمسين سنة الماضية على ذلك الكتاب ، أو توصلت الى استنتاجات مشابهة لاستنتاجاته . رغم أن بعضها اختلف عنه فيما يتعلق بالتفاصيل ، أما فى وقتنا الحاضر، فقد اقتدى ارنست ديتر هيل Ernst-Dieter Hehl بما فعله اردمان فى كتابه حيث تقدم ببحث علمى رائع عن موقف الكنيسة من الحرب فى الفترة التى تلت الحملة الصليبية الأولى ، والواقع أن ثمة مفهوما عاما متفقاً عليه يقول ان الحرب الصليبية كانت حركة ظلت تتصاعد حتى بلغت ذروتها فى تلك الحرب حيث احتدم الصراع بين مصلحي الكنيسة وبين المعارضين لهم من رجال الدين والغلمانيين ، فاتجه الفريق الأول الى الفرسان المسيحيين

طلبها للمساعدة وذلك فى القرن الحادى عشر ، وهناك اعتقاد بأن رسالة البابا أوربان الثانى Urban II الى المؤمنين سنة ١٠٩٥ م ، والتي طلب فيها منهم أن يشنوا حربا لمساعدة المسيحيين الشرقيين ، كانت خلاصة لأفكار وعادات موجودة من قبل . . . مثل الحرب المقدسة ، والذهاب للحج فى الأماكن المقدسة فى فلسطين ، والحصول على الغفران الكنسى . وعلى الرغم من أن هذه الرسالة لم يفهمها تماما هؤلاء الذين استجابوا لها ، فكثيرون منهم كانت تحذوهم الرغبة فى تحقيق المكسب المادى ، غير أن ثمة آراء تقول ان فكرة الحروب للصليبية لم تصل الى مرحلة النضج الا فى الأربعينيات من القرن الثانى عشر . ففى تلك الفترة تدعمت المفاهيم الخاصة بالحروب الصليبية على أيدي الداعين اليها من أمثال البابا انوسنت الثانى Pope Innocent II والقديس برنار الكليفوى St. Bernard of Clairvaux وجراتيان Gratian ، العالم الكنسى الكبير ، وقد اعتمد أولئك جميعا على مبادئ الدعوة للمشاركة فى الحروب الصليبية ، وتبلورت تلك المبادئ فى أن الكنيسة ، ممثلة فى البابوات ، تتمتع بالحق الالهى الذى يخولها سلطة الدعوة لشن حرب مقدسة فى سبيل الله .

ذلك هو التفسير الحديث المتعارف عليه ، غير أن العلماء الانجليز كانوا من أكثر العلماء مخالفة لهذا التفسير ، فقد تشكك الأستاذ كاودرى Mr Cowdrey فى قول اردمان بأن الشغل الشاغل للبابا أوربان كان مساعدة الروم ، وليس تحرير بيت المقدس ، حيث رأى اردمان أن تحرير بيت المقدس يأتى فى المرتبة الثانية ، واعتبره عملا من

أعمال التقوى • ولفت الدكتور بليك Dr Bleke الانتباه إلى الأفكار التي علقت بعقول الأوروبيين نتيجة للضغوط التي تعرضوا لها اثر شن الحملات الصليبية •

ويقول البروفسير جيلكرست Gilchrist بأن تأثر البابا أوربان الثاني بأراء علماء اللاهوت الداعين إلى العنف كان ضئيلا • وفي هذا الكتاب أود أن أفند زعما سلم كثيرون بصحته •

فقد ترامى للبعض أن اردمان قد أوفى الحملات الصليبية حقها من الدراسة لأنه أنهى كتابه بالحملة الصليبية الأولى ، أما هيل Hehl مثلا فقد خصص عددا قليلا من الصفحات لمناقشة الحملة الصليبية الأولى ، ثم انتقل بعد ذلك لمناقشة الحقبة التاريخية التي تلت ذلك • والواقع أن اردمان قد ركز على الخلفية السياسية والدينية والاجتماعية للحملات الصليبية ، وليست الحملات ذاتها ، كما أنه أغفل الكثير من التفسيرات المتعلقة بتلك الحملات ، لذلك قمت بدراسة كافة المعلومات التاريخية عن الحملة الصليبية من جديد •

وأنا أميل إلى الاعتقاد بأن رسالة أوربان التاريخية كانت تقليدية ، أي أنها لم تكن تختلف عن كثير من الرسائل التي قدمها مصلحو الكنيسة في ذلك الحين • ولأسباب عديدة ، ونظرا لأن أوربان كان قد ذكر بيت المقدس كهدف يسمى المؤمنون للوصول إليه ، ونظرا لأنه لجأ إلى الفرنسيين ، كما أن الرأي العام لدى المؤمنين العاديين كان ينزع نحو

الحملة الصليبية الاولى

تحقيق هذا الهدف ، لذلك كانت استجابة العلمانيين أكثر ايجابية من الدعوات السابقة ، وبالإضافة الى ذلك فان المفاهيم التي عبر عنها أوربان الثاني قد تحولت الى مجموعة جديدة من الأفكار الفجة شبه الشعبية بعد أن عانى الجيش الصليبي الكثير من المحن والبلايا أثناء زحفه صوب بيت المقدس ، وما تلا ذلك من شعور الصليبيين بالنشوة والسعادة الغامرة بعد استيلائهم على تلك المدينة .

وقد وجدت هذه الأفكار سبيلها الى الروايات التي تركها شهود العيان والتي تتسم بمسحة قصصية * غير أن كتاب الجيل الثاني، وعلى رأسهم روبرت الراهب، وجيبر النوجني Guibert of Nogent وبولدريك البورجيى Baldric of Bourgueil أعادوا صياغة هذه الحكايات ، وقدموها للجمهور الكنسى فى أسلوب مصقول نسبيا ومصطلحات مقبولة لرجال اللاهوت * وقال أولئك الرهبان بأن معجزة نجاح الحملة الصليبية - من وجهة نظرهم - انما ترجع الى اهتمام العناية الالهية ، وفضلوا معاملة الصليبيين كرجال دين مؤقتين اضطرتهم الظروف الى العمل العسكرى تحت لواء الدين والتنقل من بلد الى بلد * وجاء تصويرهم للحرب الصليبية متوافقا مع مثل مصلحى القرن الحادى عشر الميلادى ، الذين كانوا يسعون الى تشبيع الحياة العلمانية بالقيم التي كانت سائدة بالأديرة آنذاك * هذا عرض موجز للقصة التي يتناولها هذا الكتاب .

وربما من المفيد أن نعرض للخلفية التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية للحملة الصليبية الأولى.

مقدمة

قبل البدء فى دراستها ، ولا سيما وأن استجابة المؤمنين لدعوة البابا أوربان الثانى كانت تتواءم مع طموحات رجال الدين والعلمانيين . ويكمن وراء تلاقى الأفكار هذا تبدلات طرأت على آراء الجانبين ، ويرجع ذلك الى ظاهرة العنف التى شهدتها فرنسا فى القرن العاشر الميلادى .

والواقع أن المجتمع الفرنسى كان ميالا للعنف الى حد بعيد ، رغم أننا مازلنا نجهل الدوافع التى أدت الى هذا العنف حتى الآن ، وقد سيطرت الرغبة فى الحرب على كيان المجتمع الفرنسى ردحا طويلا من الزمن كما انغمس فى متعة السلب ، عندما أخذت الامبراطورية الكارولنجية فى الاتساع الى أن سقطت فريسة للغزو الخارجى وانتهاك الحدود . وقام أحد المؤرخين بوصف المرحلة التى توقفت فيها الامبراطورية عن التوسع وصار محاربوها منهمكين فى الدفاع عن فرنسا ، وذلك فى عبارة تصويرية تنبض بالواقعية عندما ذكر أن النظام الحربى بأكمله بدأ فى « الانكماش على نفسه » . وبدأت هجمات المغيرين تخف حدتها رويدا رويدا . وتوقفت تلك الهجمات بعد عام ١٠٠٠ م - غير أن الجماعات المسلحة المحلية لم تتفكك بل وجهت نشاطاتها نحو مهاجمة المزارعين العاديين بالمناطق المجاورة فى كثير من أنحاء فرنسا . ونظرا لأن تلك الجماعات المقاتلة كانت تسكن القلاع المنتشرة فى كل مكان فى ذلك الحين ، ونظرا لأنهم كانوا رافضين التخلي عن مستوى الحياة الراقية التى اعتمدت على جمع الغنائم والسلب والنهب ، فقد أجبروا الفلاحين على زيادة انتاجهم فى الريف ، وازدهر العنف الفوضوى دون أن يقف شيء فى طريقه ، فتجزأت

القوة السياسية في فرنسا وتفككت . ولم يعد الملك يمارس سلطة مباشرة على معظم الأقاليم ، التي كان يحكمها في ذلك الحين أدواق وكونتات dukes and counts من سلالة كبار موظفي الدولة في العهد الكارولنجي ، دون الرجوع الى الملك ، بل انه منذ سنة ١٠٢٨ م أقلمت تلك الشخصيات الكبيرة عن حضور الاجتماعات الملكية ، وهذا الأساقفة حذوهم ، اذ لم يجد هؤلاء الأساقفة فائدة تذكر من حضور الاجتماعات التي يعقدها الملك . ثم فقد كثير من أولئك الأدواق والكونتات سيطرتهم على أقاليمهم التي يحكمونها وذلك ابان حالة الاضطراب الشامل التي عمت أرجاء فرنسا . وتطلع الناس الى البحث عن تحقيق الأمن والأمان - اذا ما صح هذا التعبير - ولم يجدوا ذلك سوى عند صاحب القلعة واتباعه الذين عاشوا على السلب والنهب .

وفي أوائل القرن الحادى عشر حدث تغير فى استخدام اللغة وهو تغير ذو مغزى فكلمة سيد dominus (Lord) ، التي كان أول استخدام لها بمعنى الله God ، صارت تستخدم كلقب للملك أو الأسقف ثم اتسع نطاق استخدامها ليشمل الكونتات الى أن صارت تطلق على قادة تلك الحصون وأشارت الى اعتراف وتسليم شعبي بحق قادة الحصون فى الفصل فى الأمور القضائية بين الذين يعيشون فى نطاق تلك الحصون وكذلك فرض الضرائب على المقيمين فى حدود تلك الحصون أو على كل من يجتازها ، وكان رؤساء تلك الحصون وفرسانهم Milites السلطة الوحيدة التي عرفها كثير من الناس . ونظروا لأن أقوال رؤساء تلك الحصون صارت

قانوننا ولا يجبرو أحد على معارضتهم لذلك طفح العنف بلا ضابط -

وقد واجهت الكنيسة عنفا كانت ترى أنه لا مبرر له ووجدت مجتمعا تسوده الفوضى وانعدام الأمان مما يحول دون ازدهارها - ومن ثم قادت الكنيسة الحركة الداعية الى تحقيق « السلام الالهى » ، والتي عملت على تحويل مسار القلق الشعبى ازاء العنف الذى استشرى ، وحاولت استبدال العقوبات الكنسية بانسلطات المخولة للملك ، بعد أن زاد استياء الشعب منها وتدمر عليها بعد أن أصابها الضعف . وظهرت تلك الحركة لأول مرة فى جنوب فرنسا فى أواخر القرن العاشر - وعقد الرجال الأحرار اجتماعات قريبة الشبه من الاجتماعات الشعبية التى انعقدت فى العصر الكارولنجى ، حول أكوام من رفات جمعت من كل الكنائس المحلية ، وأصدروا قرارات نصت على حصانة الأماكن المقدسة وحماية رجال الكهنوت والفقراء من العنف والاستغلال ، وسعوا الى اجبار كل الفرسان أن يقسموا على احترام شروط السلام - وفى بداية الأمر ، عارضت حركة السلام الفروسية بكل صورها علنا ، وتولد عن تلك المعارضة كراهية الفرسان ، وهى كراهية كان لها ما يبررها فى تلك الظروف ، وقد عبروا عنها بشدة فى مجلس ليموج (*) Limoges سنة ١٠٣١ م ، وذلك عندما تضرع الحاضرون الى الله بأن يصب غضبه « على كل الفرسان وعلى أسلحتهم وخيولهم » بيد أن الأساقفة ورؤساء الأديرة كانوا هم أنفسهم أصحاب

(*) ليموج : مدينة تقع على الساحل الغربى لفرنسا - (المترجم) :

اقطاعيات ولهم فرسانهم التابعون لهم ، هذا فى الوقت الذى كانت فيه الكنيسة ذاتها على استعداد أن تنظم عمليات عسكرية ضد منتهكى السلام ، باسم حركة السلام ، وفى الوقت الذى أدان فيه رجال الكنيسة الفرسان بكل شدة ، فقد أعدوا أنفسهم للبحث عن دور أكثر ايجابية وواقعية لهؤلاء الفرسان .

فى ذلك الحين كانت حركة اصلاح الكنيسة تسير على قدم وساق ، وكان المصلحون متأثرين بالقيم التى سادت الأديرة ، وارتبطت الصفة الغالبة لأفكارهم بدير كلونى Cluny البرجوندى الشهير والأديرة التابعة له ، وهى مبادئ تعنى سيطرة رجال الدين الذين ذهبوا أبعد من مجرد الاهتمام بحركة الاصلاح الدينى ، وكانت حركة اصلاح الكنيسة ترى ضرورة وجود اجراء محدد من أجل أن تسود العالم المثل العليا الرهبانية . ومن الظلم التقليل من شأن الجهود التى بذلوها من أجل تحويل الكنيسة والرجال والنساء الى هذا السبيل ، ولما كنا نعيش فى عصر أكثر ثراء ويتميز باقامة المشروعات المعمارية الضخمة ، فمن السهل علينا أن لا نستهيى ببناء الكنائس الأبرشية الواسعة الانتشار ، التى شكلت أحد الانجازات الكبرى فى منتصف العصور الوسطى . وفى كل قرية تم بناء كنائس كبرى فاق ارتفاعها كل المباني المتواضعة التى عاش بها الفلاحون . وارتقى مستوى بناء تلك الكنائس مع برامج التشييد التى عرفتها الامبراطورية الرومانية ، فازداد تعقيدها ، وبرغم ذلك فقد تحمل المجتمع الفقير نسبيا تكاليف تلك المباني . وفى النهاية فقد أدى ازدياد معرفة المسيحيين بتعاليم الدين

مقدمة

الى فهم دور عامة الناس ، والرسالة التى يمكن أن يقوموا بها ، غير أنه فى هذه المرحلة كان يكفى المصلحين أن يذكروا أن عامة المسيحيين لهم رسالة عليهم القيام بها ، وقد تقتضى هذه الرسالة ضرورة حماية الكنيسة والذود عنها * ويبدو أن هذا الاتجاه وصل الى روما مع البابا ليو التاسع (١٠٤٩ - ١٠٥٤م) الذى جاء من اللورين (*) Lorraine حيث نمت أفكار الإصلاح الكنسى وازدهرت ، وكان قبيل ولايته لعرش البابوية قد لجأ الى استخدام الميليشيا التابعة لكنيستته فى تول تول وقبل أن ينقضى شهران على اعتلائه كرسي البابوية دعا مجمع محلى عقد فى كنيسة القديس حنا ، كل القادرين على حمل السلاح من الذكور الرومان لمقاتلة خصوم البابا فى الاقليم ، وفى سنة ١٠٥٣ م قاد البابا ليو التاسع بنفسه جيشا ضد النورمان فى جنوب ايطاليا ، وبعد هزيمة ذلك الجيش ، أخذ البابا على عاتقه مهمة تأيين الشهداء الذين سقطوا فى المعركة ، وكان جيشه جيشا بابويا يقوم بمهمة دفاعية ، ويعمل تحت راية بابوية ، وصدرت اليه الأوامر بالتحرك للقتال بأمر من البابا ، وأعلن البابا لجنود ذلك الجيش منحهم الغفران لكل ما تقدم من ذنوبهم وخطاياهم ، واذا كان البابا ليو التاسع قد تعرض للنقد اثر ذلك إلا أن من جاء بعده من البابوات استخدموا العنف أيضا فى الدفاع عن الكنيسة * اذ اتجه البابا ، نيقولا الثانى (١٠٥٩ - ١٠٦١م) صوب النورمان فى جنوب ايطاليا للمساندة العسكرية ، فوقف النورمان الى جانبه لمدة امتدت عشرات السنين ، وظلوا يدافعون عن البابوية بكل

(*) اللورين : اقليم تاريخى يقع شمال شرق فرنسا - (المترجم) .

همة ونشاط . ومنح البابا اسكندر الثانى (١٠٦١ - ١٠٧٣ م) أول غفران كنسى للمقاتلين فى اسبانيا سنة ١٠٦٣ م ، وهو الذى أعطى هؤلاء المقاتلين الحق بحمل راية القديس بطرس Vexillium Sancti Petri التى كانت رمزا لموافقة البابوية على مغامرة عسكرية ، واستمرت عملية ارسال رايات القديس بطرس الى المحاربين الذين يحفظون بتأييد ودعم البابوية ، ومن بين هؤلاء روجر Roger كونت صقلية ، الذى انتزع صقلية من أيدي المسلمين ، وارلمبولد Erlembald القائد العسكرى فى باتاريا Pataria ، والى الاتحاد الذى ضم الكهنة والعلمانيين الذين قاتلوا من أجل الاصلاح فى ميلانو Milan .

وتميز عهد البابا جريجورى السابع (١٠٧٣ - ١٠٨٥ م) الذى جلبت ولايته جوا من الأزمات والصعاب بتعاظم الاتجاه نحو شن الحروب وأدى تمسك البابا جريجورى بالتزامه باجراء الاصلاح الى وجود صراع فى كل من ايطاليا وألمانيا حيث ثارت جماعة من النبلاء على الملك هنرى الرابع وجر ذلك الصراع البابوية الى الحرب مع هنرى الرابع ، ونتيجة للاصلاح الذى أدى الى المصادمة ثم الصراع المسلح ، اتجه جريجورى الى علماء اللاهوت لاصدار قرار يبرر ايمانه الراسخ باستخدام العنف دفاعا عن الكنيسة وأن مع حقها اصدار القرار فى هذا الشأن ، ويبدو أنه اعتمد على مجموعة معينة من الرجال الذين تجمعوا حوله ، وكان من أشد المؤيدين له حماسا ماتيلدا كونتيسة توسكانيا Countess Mathilda of Tuscany ، بونيتسو السوترياوى Bonizo of Sutri ، وحنس المانتواوى John of Mantua

مقدمة

وأنسيلم اللوكاوى Anselm of Lucca • وكان لأنسيلم النفوذ الأكبر من بين هؤلاء ، ففي كتاب أنسيلم ، الذى سماه المجموعة القانونية Collectio Canonum ١٠٨٣ م تقريبا ، والذى من المحتمل أن البابا جريجورى نفسه هو الذى كلف أنسيلم بكتابته ، ورد تبرير فطرى مهم لممارسة حق اللجوء الى استخدام أشد أساليب العنف المسيحى المقدس بعد الرجوع الى حوادث سابقة ، وإلى نصوص مستمدة من أقوال آباء الكنيسة وعلى رأسهم القديس أوغسطين الهبوى St. Augustine of Hippo ووجد المصلحون المؤيدون لاستخدام العنف كل ما كانوا يبحثون عنه من مبررات فى كتابات القديس أوغسطين ، وعلى الرغم من أن أوغسطين استنبط مبررا مسيحيا لاستخدام العنف مقنعا وشاملا ، فإن ذلك المبرر كان على شكل شذرات متفرقة فى كل مجموعة كتاباته الضخمة التى استمرت فترة زادت على الأربعين سنة ولم تجمع فى كتاب واحد ، ويرجع الفضل الى أنسيلم فى انجاز هذا العمل الضخم اذ قام باستخلاص تلك الفقرات وتجميعها معا على شكل مقتطفات مرتبة ومنسقة فى أسلوب مفهوم ، كما قام بمعالجة ما قد يبدو من تناقضات ، ومن ثم كان أنسيلم قادرا على تقديم مجموعة مترابطة من الأفكار منبثقة من جهد واحد من أشهر مفكرى الحضارة المسيحية • ومن بين أفكار أوغسطين نفسه فكرة مشروعية اللجوء الى العنف وقوله بأن الله أمر بذلك ، وهو يستخدم أدواته من البشر ليكونوا رمزا لجبروته وتنفيذ ارادته • ومن الطبيعى أن نجد هذا المفهوم فى وصف انتصارات الشعب اليهودى بالعهد القديم وهذا المفهوم عادى بالنسبة لأى فرد اعتاد ترتيل مجموعة مزامير القداس الالهى المقدس •

وفى الوقت الذى كان فيه البابا جريجورى السابع (١٠٧٣ - ١٠٨٥ م) يسعى الى الحصول على تعضيد لأفكاره من علماء اللاهوت اتجه الى عامة الناس ليحصل على مؤازرتهم فوضع فكرة وجود جماعة من الفرسان ممن انتشروا فى كل أنحاء العالم المسيحى الغربى ليكونوا تحت تصرفه شخصيا، ويدينوا له بالولاء بحكم الالتزام الكنسى ويرتبطوا به باعتباره رئيسا للكنيسة . وعلى الرغم من أنه كان يستخدم عبارة جند المسيح « milites Christi » كتسمية لهؤلاء الرجال بين الفينة والفينة ، اعتاد على وصفهم بالمؤمنين Fideles جند القديس بطرس milites Sancti Petri وفى هذا كان البابا جريجورى مقلدا للعرف السائد عندما كان أمراء الاقطاع والتابعون Vassals لأى أسقف يطلق عليهم « المخلصين fideles » للقديس الراعى لكاتدرائيته . وما فعله جريجورى لم يكن سوى ما أصبح شائعا بين رجال الكنيسة الآخرين ، بدءا من المصلحين بالأديرة وحركة البابوية حيث ساد الالتجاء الى عامة الناس طلبا للمساعدة المادية واستشرى هذا الاتجاه بسرعة فى الكنيسة ، كما قام رجال الكهنوت بتشجيع رجال الاقطاع للدفاع عن الكنيسة بقوة السلاح . وكان من مصلحة هؤلاء مثلما كان من مصلحة البابا ايجاد المبرر الدينى لاستخدام القوة . وبالإضافة الى ذلك كان حرصهم على تهذيب سلوك رعاياهم الأخلاقى ، ولادراكهم بأنهم مهما فعلوا فلن يفعلوا سوى النزر اليسير من أجل تغيير أساليب حياتهم ، فقد توصلوا الى عملية تبسيط الدراسة اللاهوتية حتى يسهل على العامة فهمها ويكون هناك

توافق بينها وبين المثل البطولية والمسكزية التي عرفتھا
الفروسية .

وكان جيرولد Gerold راعى مقاطعة تشستر Chester
خير مثال على ذلك ، اذ بذل غاية جهده من أجل تحويل رجال
قصر الايرل الى الأسلوب الأمثل للحياة ، وذلك بأن قدم لهم
الأمثلة الصالحة التي سار على هديها أجدادهم . وقدم
جيرولد النصائح الودية الى كبار البارونات وإلى الفرسان
العاديين ، وإلى أبناء النبلاء ، وجمع قصص المعارك التي
خاضها الفرسان المقدسون من كتاب العهد القديم ومن
الروايات المسيحية القصيرة الحديثة بهدف أن يسيروا على
نهجها . وقص عليهم قصصا مثيرة للمشاعر عن الصراعات
بين ديميتريوس Demetrius ، وجورج George ، وعن تيودور
Theodore ، وسباستيان Sebastian ، وعن الدوق موريس
Duke Maurice والفيلق الطيبى Theban Legion ، وعن ايوستاس
Eustace القائد الأعلى ورفاقه ، الذين ظفروا بتاج الشهادة
والنعيم الأبدى فى الفردوس .

واتجه المصلحون الى العلمانيين بمرض مثير اتسم
بالغلو . ومن الصعب تحديد مدى انتشار أحكامهم على
الكنيسة ومدى ما كان لها من ردود فعل عنيفة ، ولا ريب
أنهم أثاروا معارضة عنيفة من قبل أنصار الملك هنرى
الرابع . وربما كانت الغالبية منهم لديهم ميل للتطرف وفقا
لما جاء عند ايفو الشارترى Ivo of Chartres ، الذى كان من
أشهر كتاب القانون الكنسى المعاصرين لتلك الفترة ، والذى

الحملة الصليبية الأولى

كتب مجموعته عن القانون الكنسي قبيل تجرّك الحملة الصليبية الأولى ، وربما فعل ذلك بناء على طلب البابا أوربان الثانى نفسه . واقتبس ايفو Ivo مقتطفات من كتابات من سبقوه بما فيها العبارة القائلة بأن التكفير عن خطيئة القتل يجب أن يتم حتى ولو كان القتل قد حدث فى حرب عادلة ، كما أورد النصوص التى تبرر استخدام القوة والتى ردها أنسيلم اللوكاوى Anselm of Lucca ومن سبقوه وهى النصوص التى تؤيد شن الحرب ضد الوثنيين . وكان هدفه محاولة التوفيق بين البرنامج المتطرف الجديد وبين مجموعة الأفكار السالفة التى اتسمت بالغموض . ومع ذلك فمن المهم التأكيد على أنه لمدة عشرين عاما قبل قيام الحملة الصليبية الأولى اعتاد البابوات وكبار رجال الكنيسة إطلاق عبارات ، بين الفينة والفينة عن الذين يخوضون حروبا دينية ، مثل عبارات : « جماعة فرسان المسيح » ، أو « فرسان المسيح » أو « فرسان الله » أو « حماة الايمان » . وكان رد الفعل الذى أبداه البابا جريجورى السابع تجاه أخبار التوغل التركى فى آسيا الصغرى بعد هزيمة اليونانيين فى موقعة منزكرت عام ١٠٧١م مثالا مبكرا لهذا التطرف . ومازال هناك سلسلة من الخطابات التى كتبها بهذا الخصوص موجودة حتى الآن ويعود تاريخها الى شهرى فبراير وديسمبر ١٠٧٤م . وفى هذه الخطابات ناشد البابا جريجورى السابع باسم القديس بطرس ، « جند القديس بطرس fideles Sancti Petri » وكل من يرغب فى حماية الايمان المسيحى ، لكى يهبوا حياتهم لتحرير اخوانهم فى الشرق . وأوضح أن مثل هذا العمل انما هو فى خدمة

مقدمة

المسيح والدفاع « عن الايمان المسيحي وعن رب السماء » .
وأن من يموت فى تلك المعارك سينعم بالسعادة الأبدية لموته
فى سبيل المسيح وسينال مجدا يفوق المجد من أجل الدفاع
عن الوطن . وأنه سوف يقود بنفسه حملة عسكرية باعتباره
قائدا حربيا لها وقائدا دينيا أعلى *dux et pontifex* ، تاركا
هنرى الرابع امبراطور ألمانيا ، الذى دخل معه فى صراع
مرير ، من أجل حماية الكنيسة وسترافقه كل من أجنس
Agnes امبراطورة ألمانيا والأرملة ماتيلدا كونتيسة توسكانيا
Countess Mathilda of Tuscany فى حملته ، وكما
لو كان يتلو نبوءة من نبوءات العرافين أشار الى أنه فى
استطاعته حشد جيش قوامه خمسون ألف مقاتل والتوجه
الى القبر المقدس فى بيت المقدس . وبعبارة أدق يمكن
القول بأن ما اقترحه البابا جريجورى السابع لم يكن هو
نفس الشيء الذى اقترحه البابا أوربان بعد مضى عشرين
عاما حين دعا الى القيام بحملة صليبية ، بل كان هذا الاقتراح
مجرد امتداد للجهود الدينية التى بذلها القديس بطرس ،
والتي دعا فيها الى تأييد الحملات الصليبية ، وأكثر من
القول بأنها جهاد فى سبيل المثال . ولم يطلب من المتطوعين
أن يرددواقسما أو نذرا ، ولم تقدم لهم الكنيسة الحماية
لأنفسهم أو لأراضيهم أو لأسرهم . وبعد ديسمبر ١٠٧٥ م
لم يشر جريجورى الى تلك الخطط مرة ثانية . بيد أنها لم
تقتصر على مجرد الإشارة الواضحة عن مبالغته فى أسلوبه
فحسب ، وإنما الى مدى سهولة قيام المصلح بنقل الأفكار
المترابطة عن المحبة الأخوية ، وحرية العمل البدنى والقوة
العسكرية الى مسرح العمليات الحربية فى المشرق ، وأنه

ما أن بدأ يفكر فى الشرق حتى اتجه فكره صوب بيت المقدس على الفور *

ولا يمكن القول انه قبل سنة ١٠٩٥م حققت دعوات المصلحين العلمانيين نجاحا ملحوظا * اذ لم ينضم سوى عدد قليل من العلمانيين فى أنحاء متفرقة من أوروبا الى جند « القديس بطرس » أو استجابوا لدعوة الكنيسة لتقديم جهودهم البدنية والمادية بطريقة أو بأخرى * ولم يكتب النجاح لرسالة المصلحين الا بعد استجابة الناس لتعاليمهم الداعية للحرب الصليبية * ولكي ندرك سبب ذلك لابد لنا من أن ندرس ظروف العلمانيين من الرجال والنساء الذين شاركوا رجال الكنيسة * ومن الواضح تماما أنه برغم الانتعاش الاقتصادى الذى كان يحققه الغرب الأوروبى فانه ظل يعاني من الفقر وعدم الاستقرار الى حد ما ، وتفاقم هذا الفقر وعدم الاستقرار نتيجة لعوامل عدة منها وجود أساليب بدائية فى الزراعة ونظم الوراثة التى جعلت الكثيرين يعانون المتاعب فى ظل الزيادة السريعة فى تعداد السكان * ولما كان حق الابن البكر فى الارث كله دون سائر الأبناء primogeniture يتزايد فى الانتشار فى شمال فرنسا ، لذلك وجد الأبناء الأصغر سنا أن عليهم أن يبحثوا عن أى وسيلة تمكنهم من إعالة أنفسهم * أما فى أماكن أخرى، مثل ايطاليا ، ومقاطعة برجوندى Burgundy وجنوب فرنسا ، فقد انتشر نظام اقتسام الارث ، واعتمد نجاح الأسرة الواحدة التى تعيش على دخل اقطاعية (الاقطاعية كانت أقل من خمسين فدانا) ، على انضباط النفس ،

مقدمة

وممارسة نوع فظ من تحديد النسل ، لأن الاجراء العملى الوحيد فى تلك الحالة كان التبتل والعزوبة ، واذا لم تف كل تلك الاجراءات بالهدف المنشود ، فلم يكن هناك من سبيل سوى أن يختار الفرد فى تلك الأسرة الهجرة ومغادرة الاقطاع ، ومن ثم يعمل على انقاص عدد الأفواه التى تعيش على ما تغله تلك الاقطاع .

واذا كانت الحياة الأسرية تمثل عبئا اضافيا لمشكلات الأغنياء والفقراء فى عصر تزايد فيه التعداد السكانى فانها ساعدت فى الوقت نفسه على تخفيف المعاناة ، لأن التمسك بالروابط الأسرية كان عامل استقرار مهما . وكان هناك شىء يصعب التغلب عليه ألا وهو « الصمت » الذى أحاط بالأسر ، نظرا لأن القضايا المعروفة جيدا للأقارب لم تدون على الاطلاق ، ومن ثم فهى ليست معروفة لدينا . غير أن ثمة ثلاثة ملامح لأساليب التعامل الأسرى واضحة لنا ، أولها التسليم بوجود نظام العشيرة والأهل مهما اختلف عدد الجماعة ، وكان نطاق الأهل والأسرة فى بداية العصور الوسطى أوسع منه عند نهايتها ، وكان من المعتاد استخدام لفظ « أصدقاء » بمعنى أقارب ، وربما أوثقهم صلة وربما كان « الأصدقاء » هم فقط الملزمين بالدفاع عن بعضهم البعض وحماية مصالح كل منهم ، وقد يكون « الصديق » رجلا أو امرأة . وثانيها انتشار عادة الثأر التى جعلت أفراد العشيرة يهرعون للدفاع عن أحد أقاربهم أو ليثأروا له . وثالثها حالة من الشعور العام الذى يضم أسرة من طبقة اجتماعية واحدة ، وهى احساس كل فرد من أفراد الأسرة بأنهم مشتركون فى ملكية أسرية موروثة (الضيعة) تتركز

حولها مصالح الأسرة وتتألف في اطارها ، بل ويشترك أفرادها جميعا في فلاحتها في بعض الحالات .

وكان النظام الاقطاعى عاملا آخر من عوامل الاستقرار فى عالم انعدم فيه الشعور بالأمن ولعب كل من الثار والارث دورا مهما مرة ثانية . وفى أواخر القرن الحادى عشر كان الاقطاع بسعنى نظام العلاقات التعاقدية التى تربط الناس بعضهم البعض بروابط الحماية ، واستئجار الأراضى الزراعية وفلاحتها والالتزامات الاقطاعية - قد عم كل الأراضى الفرنسية ، وشمال ايطاليا وانجلترا وكان فى طريقه الى الانتشار فى ألمانيا . ومن وجهة نظرنا ترجع أهمية النظام الاقطاعى الى اجتياح أفكار هيمنة السيد الاقطاعى غرب أوربا نظرا لانقسام المجتمع الى ما بين سيد اقطاعى وتابع له . وكانت هيمنة السيد الاقطاعى تعنى دفع مستحقات ومكافآت ووجود اخلاص ووفاء متبادل ، ويتم كل ذلك بقدر ما يبيديه التابع الاقطاعى من طاعة . وأعطت هيمنة السيد الاقطاعى للفرد الاحساس بالانتماء الى جماعة مثل الاحساس بالانتماء الى الأسرة - وفى هذه الحالة كان السيد الاقطاعى وأتباعه فى رابطة كالرابطة الأسرية وفرضت عليهم الالتزام بالأخذ بالثأر كما يحدث فى الأسرة الواحدة - والالتزام بضرورة الحماية والمساعدة فى وقت الحاجة . والواقع أنه بدون الأسرة أو السيد الاقطاعى (أو الأتباع) فان حياة الفرد كان من الممكن أن تكون غير محتملة الى حد ما .

وفى كثير من المناطق ظل المجتمع يخضع لهيمنة رؤساء القلاع وفرسانهم ولذلك ظل ذلك المجتمع فريسة للعنف .

مقدمة

وفى غالب الأحوال تمخض عن ظاهرة العنف وجود حركة رومانتيكية كان التعبير عنها فى شكل ملاحم شعرية بالفرنسية القديمة التى تتغنى بتاريخ فرنسا القديم ، وعلى الرغم من قيام رجال الدين بتأليفها فانها وضعت لعامة الشعب وعبرت عن الميول الشعبية . على أن تلك الأغاني وأناشيد البطولات أو المغامرات التى نعرفها يعود معظمها الى القرن الثانى عشر الميلادى فحسب ، وفى ذلك الحين لا بد أن تلك الملاحم قد خضعت لكل أنواع التأثيرات الجديدة ، وبصفة خاصة الحركة الصليبية ذاتها . غير أن هناك ثلاثة ملامح تميزت بها هذه الأغاني أولا ، دور شارلمان باعتباره امبراطورا شهيرا ، وشهد عصرا ذهبيا ، ثانيا : الاهتمام بالحرب وفضائل الشجاعة وحسن السمعة والاخلاص مضافا اليها حب السفر التماسا للمغامرات الفروسية ، ثالثا : الفكرة الأساسية عن البطولة المسيحية فى المعركة دفاعا عن الايمان ، وكأنه مجتمع كان يتوق الى وسيلة للتعبير عن معتقداته بالطريقة الوحيدة التى يعرفها ذلك المجتمع آنذاك .

والواقع أن حركة الاصلاح حركت المشاعر الدنيوية لدى الناس ، وفى فرنسا بلغت ظاهرة العنف العبدوانى عند رؤساء القلاع وأتباعهم ذروتها فى العشرينيات من القرن الحادى عشر للميلاد . ومنذ ذلك الحين كان ثمة اتجاه ملموس نحو تزايد حالة التقوى بين عامة الناس ، ويبدو أنه بحلول أواخر القرن الحادى عشر الميلادى أصبح أمرا عاديا تماما وجود نبلاء اشتهروا بالتقوى والاهتمام

بشئون الكنيسة - وكان أنسيلم الريمونى Anselm of Ribemont أحدهم ، وقد قدر له أن يموت فى الحرب الصليبية ، والذي شيد ديرا فى ريبمون ، وقدم التبرعات للجتماعات الدينية التى تحمل اسم القديس أماند St Amand ، والقديس أنشان St Anchin ، وكان محبا للقديس كنتان St Quentin راعى الاقليم الذى عاش به ، وكان صديقا لرئيس أساقفة ريمز Rheims * وهناك صليبي آخر، ألا وهو آرنولد الأردرى Arnold of Ardres حيث اعتقد أسلافه أنه كان على قدر كبير من الورع والتقوى * وهناك الكثير من الحالات المماثلة للحالتين السابقتين ومن اليسير اثبات ذلك بكل وضوح وعلى المستوى العام حيث اننا نجد أنفسنا نتعامل مع مشاعر حقيقية للتقوى والورع * ان وفرة عدد المؤسسات الديرية فى أواخر القرن الحادى عشر ما كان لها أن تحدث بدون المساعدات والمنح والهبات التى قدمها الرجال والنساء الذين - ربما - لم تكن لديهم النية فى المساهمة فى الحياة الدينية * ولا ريب أنهم يقدمون لنا صورة عن الكرم الملحوظ الذى اتسم به ذلك العصر ، الذى كان يعكس العادات والتقاليد الاجتماعية والأمال التى تجيش فى النفوس بنفس القدر الذى صور فيه المشاعر الدينية * غير أن المجتمع اعتقد أنه من الأهمية بمكان المساهمة بسخاء فى الأعمال الخيرية المرتبطة بالكنيسة *

كان ترايد مظاهر الورع والتقوى بصورة مستمرة بين عامة الناس ، بمثابة ردود ايجابية للحماس التبشيرى على أيدي المصلحين الدينيين ، كما أنها عكست

مقدمة

المواقف التى اتخذوها تجاه العالم المادى الزائل الذى لا يستحق سوى الازدراء * وخلف هذا المظهر كانت تكمن الحقيقة المتمثلة فى : الجنة والنار ، والملائكة ، والقديسين من جانب ، وابليس وأتباعه من الشياطين من جانب آخر ، يناضلون من أجل خلاص أرواحهم * وبين الحين والآخر كانت تغزو تلك الجيوش المتصارعة مسرح الحياة الطبيعية مقدمة الدليل للناس على وجود هذا الصراع الطويل الذى تخفيه الطبيعة ، وبين الحين والآخر يتدخل الله القادر على كل شئ ، ومغير الأحوال عن طريق علامات قدرته ومعجزاته التى تغير مجرى الحوادث فى هذا العالم * ان الحياة الدنيا، ولو أنها معجزة من معجزات الخالق وتعبير عن قدرته ، لم يكن لها أهمية الا فيما تقدمه من آيات تدل على عظم القدرة الكامنة خلفها وتفصح للانسان عن مغزى الأحداث الخارقة التى تجل عن أفهام البشر العاديين * لقد كان على العالم اللاهوتى أن يفسر احداث الطبيعة لا أن يشرحها * وبالإضافة الى ذلك فان الحياة الدنيا هى مصدر اغراء مستمر لارتكاب الخطايا ولذلك تقوم الحياة فى الأديرة على هجر تلك الحياة الدنيوية ، ولهذا كانت الحياة الرهبانية جذابة ومشوقة للراغبين فى الانخراط فى سلك الرهبنة وللذين يتبرعون بالهبات الخيرية على حد سواء * واذا كان ثمة هدف عمل على توحيد صفوف عامة الناس ورجال الدين فى القرن الحادى عشر فانه تمثل فى تجنب عواقب التردى فى الخطيئة التى شاهدها من حولهم وشعروا بها فى أعماقهم ، وذلك اما بالهروب من غوائلها الأكثر علمانية أو بالبحث عن « الغفران » من ذنوبها * واذا ما اختار شخص

ما أن يظل علمانيا ففي استطاعته المساعدة على تحقيق الهدف الثانى بأن ينهمك فى ممارسة الأعمال الخيرة التى تساعد على طريق الهداية الروحية أو المظاهر العلنية التى تعبر عن هذا الاهتمام . وكانت أكثر الأعمال الخيرية شيوعا من أجل التكفير عن الذنوب هى زيارة الأماكن المقدسة . وتعود شعبية عادة زيارة الأماكن المقدسة الى حقيقة أن المسيحية قد زرعت بجسد العالم الوثنى الملىء بالطقوس البدائية والمعبودات المحلية ، وعمل المثقفون وغير المثقفين من المؤمنين معا من أجل ايجاد خصائص أساسية لدين مبسط . ان المسيح والقديسين لا يكتفون بعمل كل ما يعود على البشرية بالخير سرا فحسب ، وانما هنا على الأرض تركوا من خلفهم آثارا لسلطانهم المقدس فى الأشياء التى لمسوها ابان حياتهم على الأرض وفى رفاتهم وآثارهم المقدسة ، وكان ثمة اعتقاد بأن قطع الجلد تلك وقطع العظم ستتجمع مرة ثانية يوم القيامة للمشاركة فى النعيم عندما تتجلى الذات الالهية ويبعث الله من فى القبور . وجرى العادة على جمع الرفات وحفظها فى خزانات خاصة منذ العهد الأول للكنيسة ، غير أن التحمس لتلك الرفات ازداد الى حد كبير فى غرب أوروبا فى القرن التاسع الميلادى ، لأن المشرعين الكنسيين كانوا قد أعلنوا ضرورة احتواء كل المذابح الكنسية على جزء من رفات القديسين هذا الى جانب هواة جمع الرفات الذين تميزوا بالجشع وتكديس مجموعات كبيرة فى الكنائس والأديرة الكارولنجية . وقد شهد القرن الحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر أوج تبجيل الرفات ، وشهدت تلك القرون الثلاثة بناء مزارات متقنة فى مراكز العبادة . إذ

ظل الاعتقاد بأن القديسين يفضلون بعض الأماكن مثل المدن والمناطق التي كانوا يعيشون فيها في هذا العالم أو الكنائس التي بها ، ونسب المسيحيون الأوربيون آنذاك صفات خارقة لتلك الرفات تذكرنا بالصفات التي كان عباد الديانات القديمة ينسبونها إلى آربابهم . وهناك اعتقاد بأن هؤلاء القديسين يعطفون على زوارهم بما لهم من شفاعاة لا رد لها عند الله . وفي القرنين العاشر والحادي عشر ، وربما كرد فعل لحالة الفوضى ترده القول بأن معجزات تلك الرفات هي التي عملت على حماية الممتلكات والحقوق الاقليمية للكنائس والأديرة التي ترقد بها تلك الرفات . وفي أواخر القرن الحادي عشر تحول هذا العمل الدفاعي إلى منح الشفاء من المرض لحراس الأضرحة أو زوارها . غير أنه من المهم بمكان التأكيد على الطبيعة الانتقامية ، والمدافعة عن تلك العجائب المرتبطة بمراكز العبادة والتي لم تكن قاصرة على التعبير عن آمال الأتقياء ولكن جعلتهم يتشربون فكرة القوة الخارقة التي تتمتع بها الأماكن المقدسة أيضا . كما ساعدت المشاعر المتزايدة تجاه تبجيل وتوقير رفات القديسين على تفسير الاجراءات غير العادية التي تمثلت في سرقات رفات القديسين التي يمكن تبريرها اذا ما تمت بنجاح وفقا للاعتقاد بأن القديس الذي سرقت رفاتة إنما هو الذي أراد أن تنقل رفاتة إلى مكان جديد ، كما أن العامة أخذوا ينظرون باحتقار للرفات الموضوعة في دير عندما يتعرض هذا الدير للنهب ويفقد ممتلكاته أو مزاياه على أساس أن هذا القديس فشل في القيام بدوره كمدافع عن هذا المكان .

وإذا رجعنا بعقولنا الى الوراء وتفكرنا فى تلك الأمور فمن السهل أن نعلم كيف أثرت خلفية البابا أوربان الثانى عليه وجعلته الرجل المثالى للتوفيق بين ملاحظات المصلحين ومدارك قطاع مهم من جمهور العلمانيين . كما أن وجوده فى دير كلونى Cluny لمدة عشر سنوات كراهب ثم كرئيس لهذا الدير قد جعله على دراية تامة بوجهات النظر الكلونية حول الأعمال التى يقوم بها الفرسان . وقد أعطاه عمله فى ايطاليا ومانيا عندما كان كاردينالا وممثلا للبابا فى عهد جريجورى السابع Gregory VII ، الفرصة لاستيعاب أحدث أفكار المصلحين . بيد أن الأهم من ذلك كله حقيقة أنه نشأ بين طبقة النبلاء الصغيرة فى اقليم شامبانيا Champagne مما جعله مؤهلا لمعرفة آراء وأفكار الفرسان العلمانيين فى فرنسا . ومن المؤكد أن صياغة الطلبات التى أرسلها اليهم للمثول أمام يديه قد تمت وفقا لفاهمهم وأن تلك الصياغة لم تكن من قبيل المصادفة ، وبذلك أثار فيهم الولع الشديد لعمل ما يتفق ويتناغم مع طموحاتهم .

الفصل الاول

رسالة البابا أوربان

قضى أوربان الفترة من أغسطس ١٠٩٥ م الى سبتمبر ١٠٩٦ م فى فرنسا . وعاد الى موطنه للإشراف على اصلاح الكنيسة فى المقام الأول ، بيد أنه ذهب الى هناك بهدف الدعوة للحملة الصليبية . وبعد وصوله بقليل يبدو أنه تشاور بهذا الخصوص مع أدهيرمار المونتى Adhemar of Montell أسقف لوبوى Le Puy الذى قدر له أن يكون ممثلا شخصيا له فى الجيش ، وتشاور أيضا مع ريموند السانجيلى (السانت جيلى) Raymond of St Gilles ، كونت تولوز Toulouse . وفى السابع والعشرين من نوفمبر ١٠٩٥ م ، أعلن البابا قيام الحملة الصليبية أمام حشد كبير من المستمعين كانت غالبيتهم من رجال الكهنوت فى كليرمون Clermont . ثم تنقل أوربان عبر وسط وغرب وجنوب فرنسا ، وتجنب المرور بالمناطق التى تحت الاشراف المباشر للملك . اذ كان من الصعب على البابا مقابلة الملك بعد أن أصدر البابا قرار الحرمان الكنسى ضد الملك ؛ لأنه كان متهما بجريمة الزنا وكان هذا الاتهام قيد البحث . وهناك دليل على أن البابا

دعا الى الحملة الصليبية في ليموج Limoges في عيد الميلاد، وفي أنجييه Angers ، وفي لو مان Le Mans في فبراير ١٠٩٦ م ، وفي مجمع ديني انعقد في نيم Nimes في يوليو، وقد دعا الى الحملة الصليبية في أماكن أخرى أيضا . وربما زار لومان في فبراير ، وزار تور Tours في مارس ، وكان البابا يشرف بنفسه على الاحتفالات التي تمت عند اعلان الفرسان انضمامهم للحملة الصليبية . وعندما غادر البابا فرنسا كان مشروع الحملة الصليبية على قدم وساق .

لقد كانت الحملة الصليبية استجابة شخصية للبابا أوربان الثاني بعد أن وصلت استغاثة من اليونانيين قبل دعوته لتلك الحملة بثمانية أشهر . ففي مارس ١٠٩٥ كان البابا يرأس مجمعا دينيا في بياتشنتسا Piacenza ، عندما وصل وفد سياسى من القسطنطينية لطلب المساعدة ضد الأتراك . ورد أوربان بتشجيع كثير من الناس على أخذ العهد على أنفسهم وبالقسم بمساعدة الامبراطور بكل اخلاص وبأقصى ما عندهم من جهد لمقاومة المسلمين . ولاحظ أحد المعاصرين الارتباط الوثيق بين الحوادث التاريخية في بياتشنتسا Piacenza وكليرمون Clermont غير أنه من الخطأ افتراض أن رد فعل تلقائي هناك كان بداية لسلسلة من الأفكار في عقل أوربان ، ثم انتهت هذه الأفكار في كليرمون . وفي الحقيقة كانت استجابة أوربان متعمدة ومعدة من قبل . فمنذ بداية اعتلائه كرسي البابوية وهو يجرى مفاوضات مع الامبراطور اليونانى الكسيوس

Alexius بشأن العلاقات بين كنائس روما والقسطنطينية -
وبشأن تقديم المساعدة العسكرية من الغرب للامبراطورية
البيزنطية ، التي فقدت في ذلك الحين معظم آسيا الصغرى .
ويعتقد أن اعلان أوربان عن نيته لزيارة فرنسا في يوليو
١٠٨٩ م ، في وقت كان فيه مشغولا للغاية في تلك
المفاوضات ، يكون دليلا على أنه كان يفكر منذ فترة طويلة
في استدعاء متطوعين من فرنسا للقيام بحملة صليبية . ومن
الممكن أن طلب أوربان قد تمت دراسته باستفاضة قبل عام
١٠٩٥ م ، بزم طويل ، وأنه عندما تأكد من قوته السياسية
تقدم بطلبه بعد أن تراءى للجميع مدى تدهور أحوال أعداء
البابا ، وضعف نفوذ الامبراطور الغربي ، في الوقت الذي
تزايدت فيه مكانة البابوية الاصلاحية ، وصارت واضحة
للجميع ، وتأكد ذلك في الاجتماع الذي أثار الإعجاب في
بياتشنتسا ، وحضره الأساقفة ونواب السلطات العلمانية
الحاكمة .

ومن المهم محاولة استرجاع رسالة أوربان الى المسيحيين.
كما تفوه بها، وان كان ذلك عملا أصعب مما يعتقد الانسان،
لأن ذلك يعنى محاولة تركيز الفكر على مادة علمية قبل أن
تتأثر الذاكرة بأخبار احتلال الصليبيين لبيت المقدس في
يوليو ١٠٩٩ م : فعلى سبيل المثال ، لا يمكن أن نشق كثيرا في
روايات اربعة من شهود العيان كتبوا خطبة أوربان في مجمع
كليرمون وكلها كتبت من الذاكرة بعد ١٠٩٩ م . ولدينا
النص الاصلى لقرارين من قرارات مجمع كليرمون ، ووصف
لقرار ثالث ، ومرجع حديث به تقرير قدمه البابا أوربان
الى مجمع كليرمون عن أحوال الكنائس في المنطقة التي تحت

أيدي المسلمين • ولدينا بعض الشذرات من نصوص مكتوبة لخطب دينية أخرى ألقاها أوربان في فرنسا ، وبصفة خاصة خطبة ألقاها في آنجي (*) Angers ، بالإضافة الى ستة خطابات منه أشار فيها الى الموضوع وبعض المعلومات المتعلقة بالقرارات التي اتخذها والمباحثات التي أجراها في إيطاليا في الفترة ما بين عودته في سبتمبر ١٠٩٦م ووفاته في التاسع والعشرين من يوليو ١٠٩٩م قبل أن تصله الأخبار عن نجاح الصليبيين في الاستيلاء على بيت المقدس • ولدينا أيضا عدد كبير من وثائق الهدايا ، والبيع ، والرهن كتبت عند استعداد الصليبيين للرحيل وبعض الخطابات التي كتبت لصالح الصليبيين أثناء تحركهم الى هدفهم •

واعتبر أوربان نفسه أن له حق الموافقة على شن الحرب بحكم سلطاته البابوية ، وشاركه غيره في هذا الرأي • وأشار أوربان الى أدهيمار Adhemar على أنه ممثله الشخصي « في المنصب البابوي » واعتقد القادة الصليبيون بمقدرة أوربان على الهامهم ، وكتبوا اليه عن الحرب ، « التي بدأتها » و « التي هي حربك » ، وطالبوا أوربان أن ينضم اليهم في سوريا ليكون بجوارهم ، « بعد الله ، ليعينهم ، وليشد من أزرهم » • وما أن انتهت الحملة الصليبية من تحقيق هدفها ، حتى بادروا بالكتابة اليه ، « ان كل العالم سيدين لك بالولاء والطاعة » • وجاء رده عليهم بأنه يقوم بعمله نيابة عن المسيح واستعمل أسلوبا تضمن نوعا من التعنيف ، وهو نفس الأسلوب الذي استخدمه جريجوري السابع Gregory VII والمصلحون الآخرون • والواقع أن أوربان الثاني استخدم

(*) آنجي : مدينة في شمال غرب فرنسا - (المترجم) •

أسلوبا كان قد استعمله بالفعل في نصوص أخرى ، وذلك للربط بين الله وإرادة الله وبين الانتصارات العسكرية على المسلمين وكان ذلك الأسلوب سمة تتصف بها كل رسائله منذ بداية اعتلائه كرسي البابوية *

فعند سقوط مدينة طليطلة Toledo قال : « لنا أن نبتهج ابتهاجا عظيما من أعماق قلوبنا ، وأن نحمد الله كثيرا لأنه أنعم على الشعب المسيحي بنصر مؤزر في عهدنا » *
وعند انتصارات بيسا (*) Pisa قال : « لقد أنعم الله جل جلاله على مدينة بيسا ، وذلك بإعلاء مجدها في عهدنا * * بالانتصارات على المسلمين » *

وعند تقدم الجيوش المسيحية في صقلية وإسبانيا قال :
« ان الله مدير الأمر كله ، والذي بحكمته ، وجبروته يغير الأحوال ، ويقضى على الدول ، وفقا لمشيئته وإرادته » *

ويحق لنا أن نتساءل عما اذا كانت اشارات أوربان الثاني للحملة الصليبية كان فيها من المبالغة ما يفوق المبالغة التي اکتتفت الدعاية للحرب التي قادتها البابوية من قبل * وعلى الرغم من أن فكرة الحرب الصليبية باعتبارها حرب المسيح ، كانت قيادتها تقع على عاتق البابا ، وتضمنت الخطب الثلاث التي ألقاها في كليرمون فكرة متطورة عن هذه الحرب ، الا أننا نذكر له أن اللغة التي تضمنتها خطاباته أصبحت أكثر تحفظا وتقيدا نسبيا بعد الانتصارات التي حققتها الحملات الصليبية * وكتب أوربان عن

(*) بيسا : مدينة في غرب إيطاليا تقع على نهر أرنو - (المترجم) *

الصليبيين بأنهم يحاربون بالهام من الله ، وينفذون مشيئته ، وأنهم نواب الله الذى يرعاهم ، وباعتبارهم « يعملون فى سبيل الله » فإنهم يعملون من أجل محبة الله . ومن الواضح أنه قال للصليبيين انهم أتباع المسيح . وليس هناك برهان معاصر على أن أوريان الثانى أشار الى الصليبيين على أنهم فرسان المسيح milites Christi ، على الرغم من أنه لا بد أن قد فعل ذلك : فتعبير جيش الله exercitus Dei ، وجيش السيد exercitus Domini وهما تعبيران يرادفان تعبير فرسان المسيح ، كانا يستخدمان فى الجيش الصليبي فى آسيا الصغرى . وفى موائيق الحملات الصليبية الداهية للقتال ذكر أحيانا أن السلطة المسئولة عن الحملة هى « الله » ، وكانت الحملة الصليبية تعرف فى كل أنحاء فرنسا على أنها « طريق الله » via Dei . وكان مفهوم حرب مقدسة من أجل المسيح شائعا ، غير أن هذا المفهوم خف التركيز عليه عن ذى قبل ، وربما صار الأمر أكثر اعتدالا عما كان عليه الحال فى عهد جريجورى السابع . ولولا استجابة المؤمنين لها ولولا الكتابات التى سجلتها فى العصور التالية لكنت قد بدت للباحث مجرد دعوة تقليدية رغم شيوعها ، اذ فاقتها بعض الأفكار والدعوات المعاصرة فى الشيوع والانتشار . وانى لأميل الى الاعتقاد بأن سلطة أو قرار المسيح ، وهى السمة المميزة للحروب الصليبية كانت فى الأصل مستعملة على نحو تقليدى ، وأن سلسلة الحوادث التاريخية غير العادية التى حدثت فيما بعد هى التى أقنعت الصليبيين على أنهم حقيقة كانوا مشغولين فى عملية مقدسة .

نم يكن عند أوربان الثانى أدنى شك فى أن محاربة المسلمين فى الشرق هى حرب عادلة ، وهو بهذا يعكس فكر عصره ويعبر عن نزعاته الذاتية: فقد سبق له تقديم الدعم والتأييد عند محاربة المسلمين فى اسبانيا وصقلية . وبالإضافة الى اطلاعه على الدراسات النظرية للمصلحين عن العنف ، كان عند أوربان اعتقاد جازم بأن دعوته للحرب انما هى قضية عادلة . غير أننا نجد أيضا فى دعوة أوربان تأكيدا غير ظاهر فى كتابات القديس أوغسطين St Augustine التى نقلها أنسيلم اللوكاوى Anselm of Lucca . وبالنسبة لأوغسطين يمكن تبرير العنف ردا على الأذى ، وبالنسبة لأوربان أخذ العنف شكل حرب تحرير . وليس من المبالغة القول بأن كلمة « تحرير » هى الكلمة التى دائما ما استعملها أوربان عندما كان يبرر الحاجة الى الحملة الصليبية فهو فى هذا يعكس المثالية التى سادت الأديرة للمصلحين ؛ باعتباره راهبا كلونيا Cluniac monk وهم رهبان اعتنقوا فكرة مبالغا فيها عن الحرية نمت فى الأديرة الكبرى التى تتمتع بالحصانة ، حيث نعمت تلك الأديرة بحماية البابوية من السيطرة الكنسية والعلمانية المحلية . وكانت كلمة «التحرير» تعنى الحرية تحت حكم البابوات - لأن الاعتماد على البابوية كان النتيجة الطبيعية لتلك الحرية - وكانت تلك الكلمة هى صيحة المعركة لكل من ينادى بالإصلاح . ومصادر القرن الحادى عشر الميلادى مملوءة بكلمتى Libertas و Liberatio ، ويقصد بهما الإشارة الى اصطلاح التحرير بمعناه المادى والقانونى ، على الرغم من وجود اعتقاد بأن ذلك له نتائج مهمة على نمو الحياة الروحية .

وكان البابا جريجورى السابع قد أشار بالفعل الى الحاجة الماسة الى « تحرير » المسيحيين الشرقيين ، فبدلا من تحرير المسيحيين اللاتين ، كان على المصلحين أن يتجهوا بأنظارهم نحو الشرق لتحرير اخوانهم الشرقيين الذين عانى كثيرون منهم من نير العبودية الرهيبة التى فاقت كل ما كان بوسع أى ملك ظالم أن يفعله فى غرب أوروبا .

دعا أوربان الى حرب تحرير لتحقيق هدفين . وكان الهدف الأول هو تخليص الكنائس الشرقية بصفة عامة وكنيسة بيت المقدس بصفة خاصة من الاضطهاد والخراب والدمار الذى يمارسه المسلمون (★) . والهدف الثانى هو تخليص بيت المقدس من حالة العبودية التى يعيشها . وعلى هذا كان الهدف الأول تحرير الشعب ، وأعضاء الكنيسة المعمدية ، والثانى هو تحرير المكان . ومن الواضح أن أوربان نظر الى تحرير الشعب المسيحى ككل ، وفى الحقيقة فقد أشار أوربان الى الصليبيين الذاهبين الى الشرق بأنهم يذهبون « من أجل تحرير الكنيسة » . وقد مال المصلحون الى ربط الاحتياجات العامة للعالم المسيحى بحروبهم التحريرية التى خاضوها فى ألمانيا وإيطاليا ، وقرر أوربان نفسه فيما بعد أن كونت روجر Count Roger استولى على صقلية وحقق انتصارات وبذلك عمل على : « اتساع نطاق كنيسة الله كثيرا على حساب أراضي المسلمين » . وعندما أشار الى اسبانيا قال : « يجب علينا أن نحمد الله كثيرا على رحمته التى وسعت كل شيء حتى ان الكنيسة ازدادت قوتها فى عهدنا ،

(★) هكذا فى الأصل ، ولا يعنى المؤلف بهذا حقيقة الوضع فى فلسطين ، بل الفكرة الخاطئة التى روج لها فى الغرب عن اضطهاد المسيحية آنذاك - (المترجم) .

فى الوقت الذى تقلص فيه نفوذ المسلمين ، وبنعمة الله « *
وسجل أحد شهود العيان أن أوربان عقد فى خطابه فى
كليرمون مقارنة بين الفائدة الكبرى التى عادت على الكنيسة
من جراء الحرب الكارولنجية التى نجم عنها ضم أراض
جديدة وبين النتائج المتوقعة *.

ومع ذلك فإن انشغال أوربا بما كان يجرى فى اسبانيا
قبل عام ١٠٩٥م جعل من المستحيل عليه أن يتعامل مع
الحملة الصليبية فى الشرق بمعزل عن الأحداث فى اسبانيا *
ومنذ ١٠٦٠م كانت البابوية مشغولة عن كثب بالشئون
الاسبانية ، كما أحدث استيلاء ألفونس السادس [ملك ليون]
Alfonso VI of Leon على مدينة طليطلة Toledo حالة من
الاهتمام المشوب بالقلق والاثارة الشديدة * وفيما بعد كان
الموقف فى اسبانيا مثيرا للقلق ؛ لأن ظهور دولة المرابطين
Almoravids الاسلامية فى المغرب أثار الذعر فى قلوب
المسيحيين ، أكثر مما فعله ملوك الطوائف الأندلسيون هناك *
وتزايد قلق أوربان اثر ذلك * غير أن اهتمام أوربان اتجه
صوب الطرف الشمالى الشرقى من شبه الجزيرة الاسبانية
بصفة خاصة * فمدينة طراقونة Tarragona القديمة التى
كانت موجودة فى عهدى الرومان والقوط من بعدهم والتى
كانت تبعد عن برشلونة Barcelano بحوالى خمسين ميلا
على امتداد الشاطئ ، كانت فى ذلك الحين قد تحولت الى
مدينة مهجورة ، فى منطقة قفرة بين حدود المسيحيين والمسلمين
فى اسبانيا * ومن حين الى آخر أبدى الأمراء المسلمون فى
برشلونة اهتماما من أجل استعادة تلك المدينة ، وأخيرا فإن

التقدم الأرجوني، على امتداد روافد نهر إبرو Ebro ، والذي بدأ عام ١٠٧٨م عمل على تمهيد السبيل لاحتلالها مرة أخرى . وما أن اعتلى أوربان كرسي البابوية حتى تبنى قضية استعادة تلك المدينة بكل حماس . فقد استحث كونت برنجيه Berenguer ، حاكم برشلونة ، على احتلال تلك المدينة من جديد والاحتفاظ بها كموقع على الحدود ، وأعطاه التصريح بأن يفعل ذلك . وليس واضحا ان هانت مدينة طراقونة قد وقعت فى أيدي حاكم برشلونة بالفعل — فهي لم تكن قد وقعت فى أيدي المسيحيين حتى ١١٢٠م — غير أن الجهود التى تضمنتها خطابات أوربان حوالى ١٠٩٠م توضح مدى الجدية فى نظرة أوربان الى القضية . وقام الكونت برنجيه بنقل ملكية كل الأراضى التابعة له ، وبصورة خاصة مدينة طراقونة ، الى البابا على أنها أراضى القديس بطرس ، ونقل البابا أوربان الأسقف برنجيه أسقف فيشى Berenguer of Vici الى الأبرشية الجديدة فى طراقونة ، وحدد صلاحياته باعتباره رئيس أساقفة . وشجع أوربان إقامة المستعمرات السكنية . وفى عام ١٠٨٩م شجع أوربان قادة الأقاليم من العثمانيين ورجال الدين على تقديم المساعدة فى إعادة بناء المدينة ، والتى قدر لها أن تكون « سورا أو جدارا منيعا فى مواجهة المسلمين » واستخدم أساليب منح الغفران . وقال أوربان ان هؤلاء الذين يعتزمون القيام بالحق الى الأماكن المقدسة بهدف التوبة والتكفير عن خطاياهم ، يجب عليهم أن يستبدلوا بكفاراتهم العمل من أجل مدينة طراقونة ، والمساهمة المالية من أجل إعادة بنائها، وضمن لهم أوربان الحصول على الغفران نفسه الذى كانوا

يحصلون عليه عند تأديتهم متطلبات رحلة الحج الى أى مكان مقدس . وفى عام ١٠٩١ م ، أكد أوربان لكونت أورجل Urgei ضمان الغفران لكل من يساعد مدينة طراقونة ، التى رأى أنها بدأت تعود الى الحياة من جديد ، وأن هذا الكونت « ستغفر خطاياهم » . ولذلك ففى الوقت الذى دعا فيه الى الحرب الصليبية كانت هناك استعدادات على قدم وساق تتضمن خطة عسكرية لاحتلال موقع مهم على الحدود فى اسبانيا ، فى اراض كانت تحت ادارته ، وأن الدفاع عنها ضد المسلمين كان من صميم اختصاصه وربط هذا الدفاع بمنح الغفران ، وعلى ذلك فليس من المدهش أن أوربان تردد فى السماح بتحويل الجهود بعيدا عن مدينة طراقونة . وبعد مرور بعض الوقت على مجمع كليرمون كتب أوربان الى كونتات قطالونيا Catalanian Counts فى بيزالو Beselu وامبورياس Empurias ، وروسيان Roussillan ، وسردانة Cerdana واتباعهم ، الذين أقسموا على المشاركة فى الحملة الصليبية الى بيت المقدس ، طلب منهم ومن أتباعهم البقاء للدفاع عن طراقونة مؤكدا لهم بأسلوب قاطع وحاسم أنهم بذلك انما يقومون بحرب صليبية :

« اذا كان فرسان الأقاليم الأخرى أجمعوا الرأى على السفر لمساعدة الكنيسة الأسبوية ، وتخليص اخوانهم من طغيان المسلمين ، فانه يجب عليكم أن تعملوا بكل جلد وصبر على مساعدة كنيسة على مقربة منكم وأن تقاوموا اعتداءات المسلمين . ولا يصح أن يشك أحد يموت فى هذه الحملة العسكرية من أجل محبة الله واخوانه ، فى أن كل

الحملة الصليبية الأولى

خطاياها سينال الغفران عنها وسيكون له نصيب في الحياة الأبدية لأن الله وسعت رحمته كل شيء . وعلى ذلك اذا كان أحدكم قد عقد العزم على الذهاب الى آسيا فهنا البديل لكى يفنى بقسمه ، لأنه ليس من الفضيلة فى شيء انقاذ المسيحيين من المسلمين فى مكان ، ومع ذلك نتخلى عنهم ونتركهم لطفيان وظلم واضطهاد المسلمين فى مكان آخر » .

وفى عام ١٠٩٩ م منع البابا أوربان رئيس الأساقفة برنارد الطليطلى من الذهاب الى الشرق ، بعد أن كان قد أخذ قسم المشاركة فى الحملة الصليبية فى الشرق ، وكان قد وصل الى روما ، وكان البابا من قبل قد طلب من برنارد التوجه الى مدينة طراقونة Tarragona ، من أجل إعادة بنائها .

ونظر البابا أوربان الى الحملة الصليبية فى الشرق كجزء من حركة أكبر لتحرير المسيحيين ، ولم يفرق بينها وبين حركة استرداد الأندلس من أيدي المسلمين . وكان لهذا تأثير على أحد المعلقين المعاصرين ، وظهر ذلك التأثير فى خطاب كتبه سنة ١٠٩٨ م حيث قال : « فى أيامنا هذه يحارب الله من خلال الرجال المسيحيين فى آسيا ضد الأتراك ، وفى أوربا ضد المغاربة فى اسبانيا » . وجاء فى نص صريح القرارات ، فى مجمع دينى عقده البابا فى روما فى أبريل ١٠٩٩ م حيث استؤنفت الدعوة للحرب الصليبية ، أن تكون كفارة أى مخرب عاث فى الأرض فسادا أن « يظل جنديا فى جيوش الله سواء فى بيت المقدس أو فى اسبانيا لمدة عام » .

وكان الهدف الآخر للحرب الصليبية هو تحرير مكان
بمعينه - وهذا هدف قديم قدم الحرب نفسها - وكانت
بخطابات أوربان اشارات كثيرة الى حملات أخرى من هذا
النوع في طليطلة - غير أن مدينة بيت المقدس كان لها وضع
خاص - فقد ارتفعت مكانة بيت المقدس في قلوب أهل
أوربا نتيجة للتوقير المتزايد لما بها من آثار مقدسة ، ودور
العبادة ذات الشهرة الكبيرة ، وتزايد الزيارات الدينية لبيت
المقدس ، ومن ثم كانت بيت المقدس مركزا طبيعيا للاهتمام
بالنسبة للمسيحيين - وكانت ثمة حركة احياء لعادة زيارة
بيت المقدس في غرب أوربا عبر الطريق البرى ، الذى صار
أمنا جزئيا بعد اعتناق أهالى المجر المسيحية ، وبعد
الانتصارات التى حققتها الامبراطورية البيزنطية على
البلغار والمسلمين فى القرن العاشر الميلادى - وكانت هناك
أعداد كبيرة من الناس ترحل لزيارة بيت المقدس بانتظام
بفضل تشجيع الأديرة - وظلت حركة الذهاب لزيارة بيت
المقدس قائمة الى أن بدأت الحرب الصليبية واستمرت بعد
ذلك - وقيل انعقاد مجمع كليرمون ، كان الكونت روجر
الفواوى Roger of Foix يعد العدة من أجل زيارة بيت
المقدس ، فى حين أن الفارس الذى يدعى أودار Odard
الذى وهب أمواله لدير جميرج Jumierges ، قد حج
وعاد فى أمان كأحد الحجاج ، فى الوقت الذى كان اخوانه
الفرسان يشقون طريقهم ببالغ العنف عبر آسيا الصغرى
وذاقوا الأمرين أمام أسوار مدينة أنطاكية - والواقع أن
موقف المسيحيين تجاه بيت المقدس والأرض المقدسة فى
القرن الحادى عشر الميلادى اتخذ طابع الهوس المقلق - فقد

كان بيت المقدس بيت العالم ، والبقعة التى أولاها الله اهتمامه ، عندما اختارها لتخليص البشرية من الخطيئة بالتدخل فى مجرى التاريخ . وقيل انه قبل نهاية العالم سيتم تتويج آخر امبراطور فى بيت المقدس . وقد كانت تلك الأسطورة موضوعا للمناقشة فى الدوائر الايطالية البابوية والامبراطورية . ولقد علمنا أن البابا جريجورى السابع كان قد اقترح سنة ١٠٧٤ م أن يقود جيشا الى الشرق ، وأن يواصل تقدمه حتى القبر المقدس . ومن ناحية أخرى قام بينزو الألباوى Benzo of Alba التابع الاقطاعى لهنرى الرابع امبراطور ألمانيا بتقديم اقتراح رسمى ينصح فيه الامبراطور بالذهاب الى بيت المقدس بعد انتصاره على أعدائه وعلى الوثنيين ، وأنه سينعم بالسعادة السماوية . وبالإضافة الى ذلك فالمنطقة التى بها مدينة بيت المقدس والأرض التى حولها كلها أثر مقدس ، ذلك لأنها شغلت كل اهتمام كبار الشخصيات الدينية : أنبياء بنى اسرائيل ، والرسل ، والأهم من ذلك كله المسيح نفسه ، فقد ظهر المسيح هناك . وتم تعميده فى مياه نهر الأردن . وكما نرى أنه فى عصر كان الناس يشعرون فيه بقوة النفوذ الدينى لتلك الأماكن التى عاش بها قديسون أو ترقد بها رفاتهم والتى بها وضع الرهبان المثل العليا بعد أن جعلوا حياتهم واهتماماتهم مرتبطة بالمحافظة على تلك الأضرحة والمزارات ، تفوقت بيت المقدس على كل الأماكن الأخرى ، حتى تلك التى بها رفات وآثار القديسين مثل روما والقسطنطينية . ويفوق كل ما تقدم أن الأرض المقدسة

٢٠٠ : سلسلة البابا أوربان

هى التى ظهرت بها الطبيعة البشرية للمسيح * ولطالما ردد دعاة الحملات الصليبية كلمات المزمور ٧٨ عدد ٧٩ القائلة : « اللهم ان الأمم قد دخلوا ميراثك » وهى اشارة الى أن الأرض المقدسة هى ميراث المسيح *

وفى سياق الفكر والاهتمام الدينى الذى ساد القرن الحادى عشر كان رأى الغالب والأهم هو أن هدف أوربان الأساسى كان يتمثل فى مساعدة الاغريق وأن بيت المقدس كان هدفا ثانويا ، بمعنى أن استرداد الكنيسة الشرقية بصفة عامة سوف يؤدى فى النهاية الى تحريرها * وهو رأى يصعب الدفاع عنه ولا يمكن اثبات ذلك من خلال دعوته للحرب الصليبية * ومن المستحيل الاعتقاد بأن رجلا مثله ، عاش حياة الأديرة ، يستطيع ذكر بيت المقدس دون أن يستحضر فى ذهنه صور جبل صهيون Zion ، والمدينة المقدسة التى لا بد أنها قد مست أوتار قلبه كلمات ورد ذكرها فى المزامير التى يرتلها أثناء القداس * وفى الحقيقة هناك دليل على انه عندما بدأت أخبار انتصارات الحملة الصليبية تصل الى غرب أوربا شعر أوربان نفسه بالرغبة الشديدة فى الذهاب للشرق * وبدأت تسيطر عليه طموحات أشد جموحا تضمنت غزو مصر * وقد أكدت موثيق الصليبيين الذين ذهبوا للشرق على أن الوصول الى بيت المقدس كان هدفا أساسيا منذ البداية ، ولا يمكن من هذه الناحية الاعتقاد بأن رسالة أوربان تعرضت للتحريف * وتحتوى كثير من الوثائق على اشارات تتعلق ببيت المقدس باعتباره هدف الحملة العسكرية الوشيكة الحدوث * وذكرت وثيقتان مسألة

تحريره على أنها الهدف • ولا أعرف الا وثيقة واحدة ورد فيها ذكر معاناة الشعب المسيحي في الشرق •

كان هدف الوصول الى بيت المقدس هو الذي جعل من الحملة الصليبية رحلة للحج • ولا ريب أن أوربان دعا الى الحملة الصليبية الأولى في كليرمون باعتبارها رحلة للحج الى الأرض المقدسة • كما أن كثيرا من الاجراءات التي اتخذها تضع تلك الحملة في صف واحد مع الاجراءات المتبعة عند الذهاب للحج في الأرض المقدسة • ومنح الصليبيين حماية الكنيسة وذلك بأن أصدر أمرا بابويا بالمحافظة على أملاكهم وعدم مسها بأي سوء حتى عودتهم • وهذه الحماية كانت مرتبطة بصورة خاصة بما كان يسمى يهدنة الله وهي الوسيلة التي استعانت بها حركة السلام الالهى لحظر أساليب العنف في أوقات محددة • لكنها ارتبطت بالاجراءات المتخذة للحج في الأماكن المقدسة ، كما حدث عند اصرار البابا على أنه يجب على أبناء الأبرشيات الحصول على اذن من قساوسة الأبرشية ، وأن يحصل الشباب على موافقة زوجاتهم قبل الذهاب مع الحملة الصليبية • ثم وضع أوربان نص قسم يؤديه المشاركون في الحملة الصليبية ، وأن يتقلد كل مشارك شارة الصليب على صدره • ولا بد أن أوربان قد توصل الى قرار يقضى بضرورة القسم وذلك عقب اجتماع بياتشنتسا Piacenza في مارس ١٠٩٥ م ، لأنه نصح أبناء غرب أوربا آنذاك بأن يقسموا على مساعدة اليونانيين • وسواء أكان هذا نذرا كاملا بالمعنى المصطلح عليه أم مجرد قسم لزملاء في جماعة مترابطة فذلك ليس واضحا • غير أنه من المؤكد أن القسم الذي عرضه أوربان على مجمع

كليرمون كان نذرا Votum حقا من أجل القتال في سبيل الله طوال الطريق حتى بيت المقدس ، ولا يمكن الوفاء بهذا النذر إلا بعد الوصول الى بيت المقدس . وعلى الرغم من عدم وجود اجراءات رسمية في القانون الكنسي ، فمن الواضح أنه عند انتهاء القرن الحادى عشر على الأقل قام بعض الحجاج بأخذ عهد على أنفسهم قبل رحيلهم ، وذهب حشيد غفير من الحجاج الألمان الى بيت المقدس بين عامي ١٠٦٤ - ١٠٩٥م حيث بلغ عددهم جوالى سبعة آلاف فرد ، وأخذوا عهدا على أنفسهم ، واعتبروا أنهم قد أوفوا بهذا العهد بمجرد وصولهم الى المدينة المقدسة . وفي القرن الثانى عشر كانت عملية أخذ العهد للمشاركة في حملة صليبية أو في رحلة مع الحجاج الى بيت المقدس تتشابه مع بعضها البعض حتى لا يكاد المرء يميز بين القسم الذى اتخذ بغرض الاشتراك في الحملة الصليبية وذاك القسم الذى اتخذ بهدف الحج . ولذلك فمن الأسلم افتراض أن النذر الخاص بالمشاركة في حملة صليبية قد خرج الى الوجود بعد معاملة الحملة الصليبية ، وكأنها رحلة للحج الى الأماكن المقدسة . ومن اليسير أن نرى كيف أن تطبيق وضع وأحوال الحجاج على المشاركين في حملة صليبية على ذلك النحو جعل من الممكن أن يسيطر البابا على الصليبيين الى حد ما ، ذلك لأنهم خضعوا للمحاكم الكنسية باعتبارهم كهنة مؤقتين وفقا للقانون الكنسي . وفي الواقع تم التأكيد على أن الكنيسة هي التى لها حق وضع النذر العلنى للمشاركة في حملة صليبية على الفور . وفي أكتوبر ١٠٩٧م طالب الكهنة المرافقون للحملة الصليبية بتطبيق الحرمان الكنسي على أولئك الذين لم

يذهبوا الى الشرق كما سبق لهم أن وعدوا * وفى يناير من العام التالى (١٠٩٨ م) قام الكهنة بتوقيع الحرمان الكنسى على الذين لم ينضموا الى الجيش الصليبي وطالبوا زملاءهم فى غرب أوربا بأن يفعلوا الشيء نفسه * وفى سبتمبر ١٠٩٨ م انتاب القلق قادة الحملة الصليبية عند أنطاكية عندما يسمعون اشاعة تقول ان أوربان سمح لأولئك الذين لم يفوا بنذورهم بالمشاركة فى الحملة الصليبية بأن يظلوا فى محل اقامتهم ، وربما كان أوربان قد أعفى من منعه فقره المدقع من الانضمام للحملة الصليبية ، مثلما فعل خليفته البابا يسكال الثانى Paschal II عندما أعفى أولئك الذين لا يتمتعون بلياقة بدنية وكذلك ماناس رئيس أساقفة ريمز(*) Rheims غير أن مخاوف القادة الصليبيين لم تكن فى محلها * ويبدو أن أوربان كان قد أمر قبيل وفاته بضرورة وضع النذور الخاصة بالمشاركة فى الحرب الصليبية موضع التنفيذ مع التلويح بتطبيق الحرمان الكنسى فى حالة التقاعس ، وتكرر ذلك فى عهد يسكال الثانى ، وجرى تنفيذ ذلك أيضا بمعرفة أساقفة الأبرشيات *

وكان أولئك الذين انضموا للمشاركة فى الحملة الصليبية يدركون جيدا أن الحملة الصليبية كانت فى حقيقتها زيارة حج للأراضى المقدسة ولا سيما بيت المقدس ، كما يتضح ذلك من مواثيقهم التى أرسلوها الى الأديرة * ووصف أحدهم الحملة الصليبية مستخدما عبارات مطابقة لما يستخدم لوصف رحلة الحج الى بيت المقدس ، حين قال : « واذا أخذت بعين الاعتبار أن الله قد عفا عني * بعد

(*) ريمز : مدينة فى شمال شرق فرنسا - (المترجم) *

اقترافي كثيرا من الخطايا ، وقد مكنني من التكفير عن ذنوبي ، ولما كنت أخشى من أن ذنوبي قد تحرمني من التمتع بملكوت الله ، فاني أنا انجلبولد Ingelbald أرغب في الذهاب الى القبر المقدس لأتخلص من الخطايا » .

وقرر اثنان من الاخوة الذهاب الى بيت المقدس فقالا : « لنذهب الى هناك للحصول على نعمة الحج من جهة ، ولتطهير الأراضي المقدسة من ناحية أخرى من دنس الوثنيين ، والقضاء على غائلة ثورتهم التي ظهرت في شكل اضطهاد أعداد لا حصر لها من المسيحيين ، وأسرهم ، وقتلهم بكل الوسائل الهمجية » .

واعتبر الصليبيون أنفسهم حجاجا عند زحفهم على بيت المقدس وراعوا ممارسة الطقوس الدينية المرتبطة عادة بدهاب الحجاج الى بيت المقدس . ولكنهم كانوا يشاركون في نوع شاق من رحلات الحج الى بيت المقدس ، لأنهم كانوا مشاركين في حملة عسكرية . وفي واقع الأمر أن احتياجات الحرب كانت تعني أن الدعوة لرحلة الحج هذه موجهة الى الشباب الأصحاء فقط . وحاول أوربان في كليرمون تحديد نوع الشخص المشاركون في مثل هذه الحملات . فلم يكن المسنون والعجزة صالحين للمشاركة ، بالرغم من أنه كان واضحا امكانية دهاب النساء مع أزواجهن واخوانهن شريطة أن يحصلن على موافقة سلطات الكنيسة . على أن التعبيرات في المصادر التاريخية كانت غامضة ، فبخصوص الموانع المتعلقة بعمامة الناس لم تكن هناك قوانين صارمة .

الحملة الصليبية الأولى

وكان الذهاب للحج الى بيت المقدس مباحا لكل فرد ولا سيما الراغبين في اعلان الندم والتوبة ، ثم تزايدت باستمرار أعداد المرضى الراغبين في الذهاب للأراضي المقدسة ، رغبة في الشفاء . وفي الحقيقة كان القبر المقدس ، مثل قبر القديس بطرس في روما ، وقبر القديس جيمز St. James في كومبوستيلا Compostella غير مشهور بمعجزات تحقق شفاء المرضى ، لذا فقد كان عدد من يذهبون الى هناك بغرض التوبة يفوق عدد من ذهبوا بغرض الشفاء من المرض . كما ذهبت جموع غفيرة من الناس لكي تموت هناك فقط . ولم يكن هناك من سبيل أمام البابا لمنع أى أحد من المسيحيين من الذهاب الى بيت المقدس ، اذا ما كان هذا الشخص من غير الرهبان والكهنة . وهذا يفسر الى حد ما اخفاق الكنيسة في السيطرة على عملية حشد الراغبين في القتال وتنظيم الأعداد الغفيرة من غير اللائقين صحيا للانضمام الى الحملة العسكرية .

ولابد أن أمر البابا أوربان بوضع صليب من القماش يثبت بالخيط على ملابس كل مشارك في الحملة الصليبية كان له ارتباط بذهب الحجاج الى بيت المقدس ، وبالإضافة الى ذلك كان هذا الصليب بوضعه المذكور تعبيرا واضحا عن فكرة قوية ظهرت في الكتابات الدينية المعاصرة ، وهي أهمية الصليب للمسيحيين . فالبابا أوربان أشار من قبل في عام ٩٣٠م الى المسلمين على أنهم « أعداء الصليب » ، وبذلك سوى ووازن على الفور بين تقليد شارة الصليب وواحد من تعاليم المسيح :

رسالة البابا أوربان

« ان أراد أحد أن يأتي ورائي فليترك نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني » لوقا ٩ : ٢٣ » .

وأوضح ارتباط ذلك بتعليم آخر :

« وكل من ترك بيوتا أو اخوة أو أخوات أو أبا أو أمنا أو امرأة أو أولادا أو حقولا من أجل اسمي يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية » متى ١٩ : ٢٩ » .

وفي سبتمبر ١٠٩٨م أشار قادة الحملة الصليبية في سوريا الى البابا : « انه بفضل خطبك الدينية ، جعلتنا نغادر أراضينا وكل ما عليها ، وطلبت منا أن نتبع المسيح بأن يحمل كل منا صليبه » .

لجأ أوربان الى الفرنسيين بصفة خاصة ، وبقيامه بهذا الاجراء يكون قد تخلى عن أفكار وعرف البابوات في الفترة القريبة من عهده ، ويكون قد عاد الى سياسات أسلافه الذين عاشوا في القرنين الثامن والتاسع للميلاد . ولا ريب أن أوربان عندما بدأ يدرك أن الحفاس كان جارفا في أماكن أخرى كان مستعدا لتشجيع قوميات أخرى على الانضمام للحملة الصليبية باستثناء المسيحيين من أبناء اسبانيا بالطبع . وعبر أوربان عن استعسانه للحفاس الذي ابتدأ أنصاره في بولونيا Bologna ، ولابد أن الاهتمام بالمساعدة البحرية قد أدى الى قيام أوربان بارسال وفد مفوض على مستوى عال برياسة أسقفى جرينوبل Grenoble وأورانج Orange الى جنوة Genoa في يوليو ١٠٩٦م

بعد عقد مجمع نيم (*) Nimes . وأرسل أوربان بطلبات نجدة على وجه السرعة من بيزا Pisa وميلانو Milan في عامي ١٠٩٨م و ١٠٩٩م عندما كانت هناك حاجة ماسة الى تعزيزات عسكرية اضافية . غير أن اختياره كليرمون كمكان للإعلان عن دعوته الأولى للحرب الصليبية بعد انعقاد تجنيد الفرنسيين ، هو أمر طبيعي لرجل في مثل نشأته ، حيث كان ينتمى الى طبقة اجتماعية واقلية قدم الكثير من المساهمة والدعم للحملة الصليبية الأولى . وكتب أوربان نفسه : « اتنا.زنا. بلاد الغال والمحنا على أصحاب الاقطاعات وأتباعهم للمشاركة في الحملة الصليبية من أجل تحرير الكنائس الشرقية » . ويؤكد وصف أحد المعاصرين لخطبته الدينية في أنجييه Angers في فبراير ١٠٩٦م على أن دعوته كانت موجهة بصفة خاصة للفرنسيين : « البابا . حضر الى أنجييه ، وحث شعبنا بكل حماس وقوة على الذهاب الى بيت المقدس » . وتقول رواية أخرى انه في إحدى خطبه بكليرمون قد ذكر مستمعيه بالأعمال البطولية التي تحققت على أيدي ملوك الفرنجة السابقين مثل شارلمان ولويس الثقي فقال : « لعل قصص أسلافكم تعمل على إثارة مشاعركم وتحرك نفوسكم فتدركون مقدار قوة وعظمة شارلمان وشهرته ، وابنه لويس الثقي وغيرهم من حكام بلادكم الذين قضوا على الممالك الوثنية ، ووسعوا حدود الكنيسة المقدسة » . ومن المرجح أن البابا أوربان استخدم عبارات تحريض في خطابه ، ويتضح ذلك من الخطاب الذي أرسله الى ملك

(*) نيم : مدينة في جنوب فرنسا - (المترجم) .

.. :رسالة البابا أوربان

أنجييه Angers ١٠٩٦ م ، يحثه فيه على مقاومة أعداء البابا باستخدام القوة : « أيها الملك ، هلم ارفع راية الايمان الكاثوليكي المجيد ، الذي يجب أن يشارك النصر والمجد مع الرايات العلمانية لملكك ... فكر مليا ... في الملك ستيفن Stephen الورع ، الذي كان أول فرد في أسرتك تلقى الايمان من الكنيسة الرسولية والرومانية المقدسة » .

أكد البابا أوربان على أن الحرب الصليبية هي مشروع يشارك فيه العامة والفرسان وجنود المشاة * ولم يكن مسموحا للقساوسة والكهنة والرهبان المشاركة في الحرب الصليبية دون الحصول على موافقة أساقفتهم ورؤساء أديرتهم * وفي الحقيقة لم يكن أوربان راغبا على الاطلاق في ان يذهب الرهبان ، وقد أوضح ذلك تماما في كليرمون وفبره فيما بعد : « اننا نشجع الفرسان على المشاركة في هذه الحملة لأنهم بسلاحهم يستطيعون وضع حد للأعمال الوحشية التي يمارسها المسلمون ، ويعيبون للمسيحيين حريتهم السابقة * كما أننا لا نريد من أولئك الذين نذروا أنفسهم للعمل الديني وهجروا عرض الدنيا الزائل حمل السلاح أو المشاركة في تلك الحملة ، بل اننا نذهب الى حد منعهم من القيام بذلك » .

وكانت احدى سمات دعوته التي أثارت الاهتمام هي أنه لم يقصر توجيهها على كبار الاقطاعيين والأثرياء الذين لهم ثقل سياسى واقتصادى فحسب ، وانما امتدت لتشمل أتباعهم أيضا * ومن الواضح أنه وضع في اعتباره رؤساء القلاع وفرسانهم ، ولا بد أن هذا أدى الى المقارنة التي

وردت في خطابه في كليرمون ، وكانت تلك المقارنة بين المحاربين الأشرار القدامى وبين الفرسان المسيحيين الجدد . ونالت رسالة أوربان ميزة أخرى على أساس أن مجمع كليرمون الذي انعقد تحت رياسته عمل على تحديد قرارات سلام الرب . وكلما فكر المرء مليا في القضية اتضح أن أوربان تعمد مناشدة هذه العناصر في المجتمع الفرنسي الذي كان ممزقا شر ممزق في الماضي ولم تنتظم صفوفه الا في القرن الثاني عشر . ويشير ذلك الى بلوغ حركة الكنيسة تجاه العلمانيين ذروتها وهي الحركة التي كانت قد بدأت قبل ذلك بقرن من الزمان . وأعلق أوربان بكل صراحة أن المشاركة في الحملة الصليبية ستكون عملا يجعل صاحبه ينال ميزة خاصة ، أي أنها تساهم في حصول المرء على الخلاص . وقال أوربان بأن المشاركة في الحملة الصليبية ، « انما هي التضحية المثلى » (recta oblatio) وهي عمل للتقرب لله من أجل خلاص روح الصليبي . وكانت المشاركة في الحملة الصليبية جديدة بالمكافأة ؛ لأن الصليبيين يكونون قد أطاعوا وصية المسيح بحمل صليبانهم واتباعه ليعبروا عن حبهم لله ولاخوانهم في المسيحية . ومن ثم كانت الكنيسة قد بدأت تقرر في أذهان العلمانيين فكرة أن الحرب الصليبية ليست مجرد عمل يرضى عنه الله بل هي الطريق الى الخلاص (طريق الصليب) وهو الطريق الذي كان يظن من قبل أنه مقصور على رجال الدين .

ومنذ القرن الثامن الميلادي صارت الفكرة القائلة بأن الحرب تستحق الثناء والاطراء تجد لها مستمعين بين الفينة والفينة ، وبخاصة فيما يتعلق بمن يقتلون وهم يقاتلون غير

المسيحيين أو أعداء الكنيسة ، وأصبحت تعبيرات من هذا النوع شائعة منذ منتصف القرن الحادى عشر . ومن المحتمل أن اشارة أنسيلم اللوكاوى Anselm of Lucca فى مجموعته القانونية Collectio Canonum الى بعض مقتطفات عن الموضوع وردت فى مؤلفات القديس أوغسطين الذى برر العنف كتعبير عن الخير فى المسيحية ، وكانت هذه الاشارة حاسمة بالنسبة الى تفكير اوربان . وبالنسبة الى أوغسطين كانت نوايا أولئك الذين أجازوا اللجوء الى العنف وأولئك الذين شاركوا فى القيام بهذا العنف تتمثل فى أن تحقيق الهداية يأتى باتباع طريق محبة الله ، وحب الانسان لأخيه فى الانسانية . وتبع ذلك أن حتمية اللجوء الى العنف يجب أن تكون مصحوبة بمحبة أولئك الذين يستخدم معهم هذا العنف على أن تكون تلك المحبة هى الدافع الأساسى لممارسة العنف . وكان الهدف من حتمية اللجوء الى العنف هو جعل المذنب أو الآثم يشعر بالسعادة والرضا ، وغالبا ما كان استخدام العنف أكثر تعبيراً عن المحبة والمودة وأكثر استخداماً من الغفران . وكتب أوغسطين عن الطريقة التى تمكن الوالدين من التعبير عن حبهم لأولادهم ، وذلك بتأديبهم ، واستخدام العنف معهم ، وعن ضرورة اللجوء للعنف أحيانا من أجل ابراء المرضى أو انقاذ الناس من رغباتهم التى تعرضهم للخطر . وقام أوغسطين بالبحث والتنقيب فى الكتاب المقدس عن اشارات وآسانيد لأعمال العنف أو مبررات لها ، حث عليها ومارسها موسى [عليه السلام] ، وإيليا ، والقديس بولس . وفى التصريحات العلنية للبابا أوربان الخاصة بالحرب الصليبية لم يتبع منهج أوغسطين القائم على

محبة الأعداء ولا سيما المسلمين منهم ، وإنما أكد على محبة
الآخوة المسيحيين فقط ، والمخاطرة بالحياة لانقاذهم ، ذلك
لأن جمهور المستمعين اليه لم يكن فى متدورهم ادراك وجهة
النظر اللاهوتية بكاملها .

وعرض أوربان فكرة الحروب الصليبية باعتبارها
كفارة قاسية ، وتستحق كل الاطراء والمديح ، وذلك وفقاً لما
اتضح فى صكوك الغفران الكنسى التى منحها . وقد حاول
المؤرخون منذ سنوات مضت ، تتبع خط مستقيم للتطور منذ
بداية الصيغ التى قدمها أوربان للغفران الى الصيغ المدروسة
بعناية . والتى صاغها البابا أنوسنت الثالث ، وورد بها
تأكيدات على رحمة الله والوعود بالغفران لخطايا المذنبين
التي يعاقب عليها الله فى الدنيا أو فى الآخرة ، وتوصلوا الى
أن قرارات الغفران التى أصدرها أوربان اكتنفها التناقض
والتشويش . ومن غير المحتمل أن أوربان كان يجهل حقيقة
ما كان يمنحه من غفران ، وليس هناك علامة تشير الى أن
هناك اضطراباً بين الكهنة الذين كتبوا مواثيق المشاركين فى
الحرب الصليبية اذ انهم اعتقدوا أن المشاركة فى الحرب
الصليبية سوف « تغفر الخطايا » ، وتساعد على انقاذ روح
الإنسان . وتصبح آراء أوربان أكثر وضوحاً اذا كف المرء
عن مقارنتها بالأفكار اللاهوتية المتعلقة بغفران الخطايا
والتي ذاع انتشارها خلال القرن الثانى عشر . وبدأ أوربان
موضوع الكفارة بفكرة قديمة بأن الكفارة يمكن أن تنال
رضا الرب ، أى أن أداء الكفارة يمكن أن يتوازن مع

الخطيئة وتطهر الكفارة المذنب من الذنب لكي يمكن له أن يتقرب الى الله من خلال العقاب الذي يجلبه الخاطيء على نفسه . ان الكفارة القاسية التي تمثلت في المشاركة في حملة صليبية من الممكن أن تحقق الرضى وتمحو كل ما تقدم عليها من ذنب . وظل هذا التفسير للغفران عن طريق المشاركة في الحملة الصليبية يقدمه أحد كبار رجال الكنيسة بعد انعقاد مجمع كليرمون بقرن تقريبا : « بموجب الامتياز الذي يحظى به بطرس الرسول وبحق السلطة العامة للكنيسة ، فان المسيح قد أوضح أن شارة الصليب هي كلمة مصالحة بين الناس والله ، كما أن الطريق الى بيت المقدس سيكون هذا الطريق الذي يؤدي الى الكفارة الكاملة وغفران جميع الخطايا » .

وفى حوالى ١١٥٣م قدم المؤرخ أوردريك فيتاليس Orderic Vitalis نفس تفسير أوربان للغفران الذى منحه للمشاركين فى الحملة الصليبية الأولى : « طالب البابا كل من فى استطاعته حمل السلاح أن يحارب أعداء الله ، وبارادة الله غفر البابا للتائبين خطاياهم جميعا منذ اللحظة التى أقسموا فيها على المشاركة فى الحملة الصليبية وبكل مودة وحنان أعفاهم من كل المشقات سواء أكانت صياما أم كبح شهوات الجسد » . وباعتبار البابا عالما لاهوتيا بارزا ، وحكيما شفوفا ، لذلك كان لديه بعد نظر جعله يرى ما ينتظر أولئك الذين عقدوا العزم على الذهاب الى بيت المقدس ،

الحملة الصليبية الاولى

من مخاطر وأهوال وهم فى طريقهم ، فهم سيتجشمون العناء يومياً مما يكفر عنهم ذنوبهم وخطاياهم » .

وعلى هذا النحو المشار اليه لم يكن غفران أوربان سوى اعلان رسمى عن أن الحرب الصليبية هى الفرصة السانحة لاعلان التوبة ، أى أن المشاركة فى تلك الحرب كفيلة بأن تكون كفارة عن كل ما تقدم من الذنوب . ويبدو أن هذا الرأى قد تأكد عندما منح أوربان غفرانه لمن أراد البقاء فى الأندلس لمحاربة المسلمين هناك . ويبدو أن هؤلاء الرجال قد حصلوا على تأكيد بنوال الغفران الكامل فى حالة موتهم فحسب . ويتضح معنى هذا القول اذا ما وضع المرء فى اعتباره حقيقة أن استرداد طراقونة Tarragona والدفاع عنها كان عملاً أقل الحاحاً من الزحف الى بيت المقدس . وعلى ضوء ما تقدم فلم تكن عبارات أوربان غامضة : « ان كل من يذهب الى بيت المقدس بواقع التقرب الى الله دون تفكير فى تحقيق مجد أو جمع مال وانما لتحرير كنيسة الله فان هذه الرحلة تحقق له غفران كل الخطايا » . واننا نتصرف على مسئوليتنا ونتحمل مسئولية رؤساء الأساقفة ، والأساقفة فى بلاد الغال من خلال رحمة الله العلى ، وصلوات الكنيسة الكاثوليكية ، اننا جميعاً نخلصهم من كل ذنوبهم » .

ويبدو أن استعمال أوربان لعبارة « من أجل غفران كل خطاياهم » لم تعد تتعارض مع ما يتعلق بالكفارة فى تلك العبارات ؛ اذ ان الخطايا تسقط عن الانسان عندما يحصل على الغفران الكامل . والواقع أن الغفران الذى منحه أوربان

رسالة البابا أوربان

كان مألوفاً نوعاً ما ، بل إنه كان معروفاً منذ زمن مضى ، فعلى الرغم من أنه كان مفاجأة لكثير من المسيحيين في عهد أوربان ، فإنه لم يكن جديداً فقبل عهد أوربان يحو إلى ثلاثين عاماً ، قام البابا الاسكندر الثاني بمنح غفران مشابه تماماً لغفران أوربان إلى المسيحيين الذين يخاربون في اسبانيا ، وربما كان قد منح الغفران أيضاً للمسيحيين الذين كانوا يقتلون من أجل استرداد مدينة بويشتر . Barbastro

ومن وجهة نظر رجال الكنيسة بدوائر الإصلاح في إيطاليا لم يكن هناك جديد فيما عرضه أوربان باستثناء فكرة الدعوة التي وجهها إلى الفرنسيين ، بل إن ما قد يبدو جديداً إنما هو بالنسبة إلى القرنين السابقين على عهد أوربان حيث شهد هذان القرنان تزايد قوة حكام ألمانيا وتدهور السلطة المركزية في غرب بلاد الفرنجة . والواقع أن دعوة البابا أوربان كانت أقل تطرفاً من تلك الدعاوى التي نادى بها المصلحون في الماضي القريب في بعض النواحي . ولا نقصد بذلك أن فكرة أوربان كانت تقليدية بالنسبة للمستمعين إليه ، ولكن الاثارة التي نجحت هذه الفكرة في خلقها هي الدليل الوحيد على مدى تغلف كثير من أجزاء غرب أوربا ، ومدى الصعوبات التي واجهها المصلحون عند محاولتهم نشر تعاليمهم إلى الأقاليم المسيحية . وحيث أن أوربان قد أبدى اهتماماً مركزاً نحو مسألة استرداد اسبانيا في أوائل عهده ، فلا بد أنه نظر إلى اقتراحه باعتباره يتسم بالاعتدال .

ولم يحدث قبل عهد أوربان أن أعلن أى بابا حربا مقدسة نيابة عن المسيح وتمت معاملة المشاركين فى تلك الحرب معاملة الحجاج الى بيت المقدس ، ولكنهم حجاج يؤذون القسم ويتمتعون بالغفران . وفى الحقيقة كانت الحرب التى تمت الدعوة اليها فى كليرمون ، هى الحملة الصليبية الأولى . وغالبا ما قيل ان أوربان أوجد تركيبة جديدة ومقبولة شريطة أن يدرك المرء أن بعض عناصر تلك التركيبة ، ولا سيما المفهوم المهم الخاص بالحرب من أجل المسيح ، كانت كلها ما تزال فى مرحلة المهد ، ثم قدر لها أن تتبلور وتتضح فى أفكار الصليبيين عندما شعروا بالمعاناة فى آسيا الصغرى .

الفصل الثانى

استجابة عامة الناس

يذل اوريان جهودا مضنية عند اعلانه الحرب • ويحمل خطاب باسم البابا اوريان موجه الى شعب الفلاندر تاريخا قريبا جدا من تاريخ انعقاد مجمع كليرمون • وبعد أن انتهى اوريان من جولته فى فرنسا قام على الفور بارسال الوفود او الخطابات الى جنوه ، وبولونيا Bologna وبيزا Pisa ، وميلان • وكانت الحرب الصليبية على جدول أعمال المجلسين اللذين عقدهما فى بارى Bari فى أكتوبر ١٠٩٨م وفى روما فى أبريل ١٠٩٩م • وقام بتشجيع كل الأساقفة بالابرشيات فى مجمع كليرمون ، وفى نيم Nimes ، على الدعوة لحمل الصليب وخوض الحرب • أما هيو الديى Hugh of Die ، رئيس أساقفة ليون فكان مصلحا متحمسا ، وقدم المساعدة للحملة الصليبية بكل همة ونشاط وفعل الشيء نفسه العديد من الأساقفة • ولكن يبدو أنه لم يكن جميع الأساقفة على نفس القدر من تعاليم البابا المتعلقة بالدعوة للحرب • وهناك أعداد قليلة من النسخ الخاصة

بقرار كليرمون المتعلق بالغفران الكنسي ؛ مما يوحى بأن عددا قليلا من الأساقفة هم الذين اهتموا بنسخ ذلك القرار . وكان لامبرت الأراسى Lambert of Arres أحد الأساقفة الذين وجدوا أن الشيء المهم إنما يتمثل في تأكيد البابا على مكانة أبرشيته . ولا يوجد أى سجل عن الحرب الصليبية التى تمت مناقشتها في مجمع روان Rouen في فبراير ١٠٩٦م الذى أعاد ذكر قرارات مجمع كليرمون . وعملت المواعظ الدينية التى قدمها رجال الدين المستقلون من أمثال بطرس الناسك Peter the Hermit ، وغيره من الرهبان ، على تنافس بعضهم البعض في اتجاه المشاركة في الحرب الصليبية ، وقام أولئك بحشد المتطوعين للحرب ، ويبدو أن رئيس دير مالىزيه Millezaïs نال شهرة متميزة كأحد الكبار الداعين إلى المشاركة في الحرب الصليبية . وكانت هناك أديرة تقوم بمهمة حشد الراغبين في الانضمام للحرب الصليبية ، وربما ساعد على ذلك دافع الحماس لدى هذه الأديرة وارتفاع مستواها المادى أو إشرافها على أراض زراعية تدر عائدا وأفرا يسمح لها بأن تكون مركزا للتصرف في الممتلكات وتجميع الموارد المالية ، ومن أشهر هذه الأديرة دير كلونى Cluny ودير القديس فنسنت اللوماني St Vincent of Le Mans .

ومهما كانت الطريقة التى انتشر بها خبر الدعوة إلى الحرب الصليبية فقد ذكر أحد المعاصرين أن الخبر انتشر بسرعة لدرجة أنه لم يكن هناك حاجة إلى الدعوة للمشاركة في الحرب الصليبية . فمما لا شك فيه أن خبر الدعوة انتشر بسرعة من كليرمون إلى مناطق أخرى لم يقم البابا

بزيارتها بنفسه . وفى الحادى عشر من فبراير ١٠٩٦م عقد فيليب ملك فرنسا وأخوه هيو الفرماندى Hugh of Vermondois مباحثات مع كبار النبلاء فى باريس بشأن الحرب الصليبية . وقد حدثت ظواهر طبيعية غريبة ، بدأ ظهورها قبل انعقاد مجمع كليرمون واستمرت فى الظهور ابان الدعوة للحرب الصليبية ١٠٩٦ م ، ثم بعد فترة قصيرة من التوقف ، عادت تلك الظواهر الطبيعية الى الظهور من جديد فى خريف ١٠٩٧ م ، فأحيطت الحرب الصليبية بهالة شبيهة بالظل السحري . وتظهر تلك الحوادث غير المتوقعة فى الكتابات التاريخية التى سجلت بعد نجاح الحملة الصليبية ، وكان أمرا طبيعيا أن يلتبس الناس تفسيرا لهذه الحوادث . ويبدو أن المناخ قد اضطرب على نحو غير عادى نتيجة للزيادة التدريجية فى النشاط الشمسى ، مما أدى الى فترة من الاضطراب المتزايد والذي أصبح معروفا بأنه استمر من حوالى ١١٢٠ م حتى ١٢٨٠ م ، مما جعل الكتاب الذين جاءوا بعد ذلك يبحثون عن الطريقة التى تنبئ بها الطبيعة بتحرير بيت المقدس :

« وفى عهد الامبراطور هنرى الرابع . . . ووفقا للنبوءات فى الأناجيل الأربعة القانونية « تظهر أمة فى كل مكان فى مواجهة أمة ، ومملكة فى مواجهة مملكة ، وتحدث زلازل شديدة فى أماكن مختلفة ، وتحدث الأوبئة والمجاعات وأحوال من السماء وعلامات كبرى » .

وعندما شاءت ارادة الله تحرير القبر المقدس وفتح الطريق للمسيحيين الراغبين فى السفر الى بيت المقدس من

أجل خلاص أرواحهم ، أظهر الله كثيرا من العلامات والقوى ، والمعجزات ، والمعائب ، لشحن أفكار المسيحيين حتى يبادر الراغبون منهم بالذهاب إلى هناك . فقد شوهدت شهب في أنحاء العالم ، وهي تندفع معا في كبد السماء تجاه الأرض بصورة كثيفة مثل البرد أو الكسفات الثلجية ، وبعد ذلك بفترة قصيرة من الوقت ظهر خط طويل من اللهب في السماء ثم تحول لون السماء إلى اللون الأحمر . وازدادت الأحلام والرؤى بين الناس بصورة لم يعرفها أحد من قبل .

وبدأت السلسلة المتعاقبة لتلك الحوادث في الرابع من أبريل ١٠٩٥ م ، قبل انعقاد مجمع كليرمون بسبعة أشهر وذلك عندما شاهد الجميع في كل أنحاء فرنسا سقوط الشهب . وفي الحادي عشر من فبراير ١٠٩٦ م وأثناء اجتماع ملك فرنسا مع أخيه وكبار الأعيان في المملكة حيث كانوا يتباحثون في موضوع الحرب الصليبية ، حدث خسوف للقمر ، وتحول إلى اللون الأحمر ، وتلا ذلك في مارس من العام نفسه وجود « علامة في الشمس » ، وأصيب الناس بحالة من الهلع والذعر ورفع الكهنة الابتهالات والصلوات ورددها الناس من خلفهم في الكنائس . وفي أغسطس من العام نفسه حدث خسوف آخر للقمر . ثم توقفت تلك الظواهر حتى خريف ١٠٩٧ م حيث ظهر مذنب . وفي فبراير ١٠٩٨ م تلونت السماء باللون الأحمر . وفي الخريف الثاني ، ظهر ضوء شديد في السماء طوال الليل ، وبدأ وكان هناك حريقا في السماء . وفي ديسمبر حدث كسوف للشمس ، وفي فبراير ١٠٩٩ م ملأ شفق أحمر آخر الجزء الشرقي من السماء . وشاهد

استجابة عامة للناس

الصليبيون فى سوريا ، ابتداء من خريف ١٠٩٧م علامات فى السماء ، كما سنرى . وفى الوقت نفسه استمرت حالة القحط الشديد لعدة سنوات فهلك الضرع وانتشرت المجاعات فى فرنسا ، وانتهت هذه الحالة فجأة بحلول ربيع ممطر تبعه محصول وفير .

وفى مقابل تلك الصورة المثيرة استمرت الدعوة للحرب الصليبية ، وانتشرت أنباء تلك الدعوة . وكانت هناك استجابة كبرى للحرب الصليبية فى كل من فرنسا وغرب ألمانيا وإيطاليا . وليس هناك شك فى وجود قدر من العنصر الهستيرى فى الدعوة للحرب الصليبية حيث قام الخطباء المهيجون للمشاعر الشعبية من أمثال بطرس الناسك الذى ادعى أن المسيح نفسه كلفه بالدعوة للحرب الصليبية ، ولوح بطرس بخطاب سماوى كعلامة لتكليفه بالدعوة . وربما كانت تلك الروح الهستيرية مستمدة من التوقعات القائمة على الايمان بالبعث والحساب وما هو مستمد من نبوءة شائعة بين الناس عن آخر امبراطور يقيم فى بيت المقدس قبيل قيام الساعة . وعبرت تلك الحالة من الاضطرابات النفسية الشديدة عن نفسها فى صورة رؤى ، وفى ظهور آثار وشم صلبان على جسد عدد من المشاركين فى الحرب الصليبية ممن لهم تأثير مهم وملحوظ . وربما كانت هذه الحالة تعبيرا عن سلوك الكونت اميتش اللينينجى Count Emich of Leiningen أشد الشخصيات قسوة فى اضطهاد اليهود فى أراضى الراين فى أوائل صيف ١٠٩٦م . وذكر كاتب يهودى أن اميتش لفق قضية تقول بأن أحد رسل المسيح جاءه ووشم صليبا على جسده وأبلغه بأنه عند وصوله الى إيطاليا سيظهر له المسيح

بعينه ويضع تاج الملك على رأسه ، وان اميتش سوف يتغلب على خصومه .

ومن الواضح أن في هذا القول إشارة الى نبوءة الامبراطور الأخير الذي في عهده سيعتنق اليهود المسيحية وفقا للاعتقاد السائد عند المسيحيين . وأكد الأب اكهارد الأوراوى Ekkehard of Aura بألمانيا على ما ادعاه اميتش، مثله في ذلك مثل شاول Saul « قد ناداه الوحي الالهى لكي يشارك في هذه المهمة الدينية (الحرب الصليبية) » . وتوحي مقارنة اميتش بشاول بأن اكهارد اعتقد أن اميتش غير رزين . وكان كتاب الخوليات اليهود يعتبرون أن اميتش كان حتى قبل قيام الحرب الصليبية : « شخصا سيئ السمعة بسبب سلوكه الاستبدادى » . وبعد موته ١١١٧م كان هناك اعتقاد سائد بأن روحه الشريرة ظلت تكثر الشرود على اقليم ماينتس (★) Mainz لاستجداء الصدقات والصلوات من المؤمنين لتحرير روحه من العذاب .

وبالاضافة الى ذلك ، فقد وجد التحمس للحرب الصليبية سبيلا بين طبقات اجتماعية لم يكن أوربان راغبا في أن يستحثها على المشاركة في تلك الحرب . وسبق لى أن تحدثت عن النوعية المحددة التي دعاها أوربان للمشاركة في الحملة الصليبية لأنه وجه رسالته الى الفرسان على وجه التخصيص ، وحاول جعل الحملة الصليبية قاصرة عليهم . وأشارت الى حقيقة أنه نظرا لأن دعوته كانت دعوة لتحرير الأراضي المقدسة فكان يستحيل عليه منع النساء والأطفال وكبار السن

(★) ماينتس . مدينة تقع في غرب ألمانيا على نهر الراين - (المترجم) .

استجابة عامة الناس

والمرضى الذين نذروا أنفسهم للذهاب اذا ما كانوا عقدوا العزم على الذهاب * هذا فضلا عن التزام الدعوة للحرب الصليبية مع تفشى التسمم المهمازى (★) ergotism وهو مرض بغيض ينتج عن تناول خبز مصنوع من الجودار المتعفن. mouldy rye * وغالبا ما أدت الأوبئة فى فرنسا الى قيام الناس هناك بالزيارات الجماعية الى الأماكن المقدسة * ويبدو أن أوربان قد اتخذ خطوات من أجل تخفيف المعاناة التى أحدثها المرض ابان زيارته لفرنسا ، ولابد أنه كان على دراية باحتمال وجود استجابة جماعية بل وحتى هستيرية لدعوته * وحمل أوربان قساوسة الأبرشيات مسئولية تنظيم عملية حشد الراغبين فى المشاركة فى الحملة الصليبية فكان على كل راغب فى المشاركة الاتصال بهؤلاء الأساقفة بناء على توجيهات أوربان * غير أن النظام الأبرشى لم يكن قادرا فى ذلك الحين على القيام بهذه المهمة * فهناك سيده غنية من طبقة النبلاء اسمها اميرياس Emerias أقسمت على أن تشارك فى الحرب الصليبية ، وذهبت الى أسقفها لتنال منه البركة قبل رحيلها * غير أنه اقترح عليها أنه من الأفضل لها أن تقيم ملجأ لرعاية الفقراء ، ثم وافقت على هذا الاستبدال لنفسها * ووجدت صعوبة فى بداية الأمر ، غير أن أسقفها أقنعها بتغيير رأيها * ولذلك ليس من المدهش أن نعرف أن الحملة الصليبية الأولى ضمت أعدادا كبيرة من النساء والأطفال والفقراء *

ومع ذلك فمن الصعب الاعتقاد بأن حالة الهستيريا أثرت على عدد كبير من الصليبيين * ولا ريب أن الايمان

(★) التسمم المهمازى أو الأرجوتى من اعراضه حدوث تشنجات عضلية لا ارادية بلوع من الغنفرينا - (المترجم) *

بالمصر الألفى السعيد millenarianism ، كان موضوعا للدراسة ، وكما ذكرت المصادر المعاصرة التي أشارت الى المسلمين على أنهم أتباع للمسيح الدجال Anti Christ ، أشارت الى وجود اشارات عن اقتراب الساعة وعلامات ومعجزات دالة على اقترابها ، غير أنه يوجد دليل يكفى ليجعلنا نفترض أن الأفكار المتعلقة بالبعث والحساب كانت واسعة الانتشار . وعلى الرغم من أنه لا يصح لنا أن نقلل من أهمية مشاركة غير المقاتلين الفقراء ، فإنه لا يصح لنا أن نغالى فى تقدير جهودهم أيضا . فعلى سبيل المثال سنرى أن الجيوش التي كانت يطلق عليها جيوش الفلاحين كانت تضم فرسانا قاموا بقيادة تلك الجيوش ، وربما اشتملت تلك الجيوش على أعداد كبيرة من الفرسان بنفس القدر الذى كان موجودا فى الجيوش الأخرى .

وفى الحقيقة توجد مجموعة من المعلومات التاريخية التى يرجع تاريخها الى قبيل قيام الحرب الصليبية ، والتى تكشف لنا عن مشاعر كبار الشخصيات ورؤساء القلاع والفرسان عندما انضموا الى الحرب الصليبية . وبصفة عامة تتكون هذه المجموعة من موثيقهم التى كانت لصالح الكنائس والأديرة . وتكشف هذه المجموعة كذلك عن اخلاص هادف من جانب الراغبين فى أن يكونوا ضمن الصليبيين ، وتوحى بأن رد فعل تنكرد النورماندى Norman Tancred الذى كان يعيش فى جنوب ايطاليا تجاه أخبار الدعوة للحرب الصليبية كان نمطيا وفقا لوصف رالف الكاينى Ralph of Caen الذى كتب السيرة الذاتية لتنكرد ، ووصف حالة تنكرد بقوله :

« كثيرا ما كان تنكرد يعاني بشدة من حالة القلق التي كانت تنتابه لأن الحرب التي شارك فيها كفارس كانت تتعارض مع أوامر المسيح . وفى الحقيقة لقد أمره المسيح بالتسامح وبأن يدير خده الأيسر لمن ضربه على خده الأيمن ، غير أن الفروسية العلمانية سريعة الى سفك الدم . كما أن المسيح نصحه بأن يعطى سترته ومعطفه لمن يطلبهما ، غير أن ضرورات الحرب تفرض عليه أن يجرّد الإنسان الذي يقاتله من كل شيء » كل ما تبقى معه « ولكن بعد صدور قرار البابا أوربان الخاص بمنح الففران عن كل الخطايا لكل المسيحيين الذين يذهبون لمحاربة المسلمين تزايدت قوة تنكرد ونشاطه . وكان فكر تنكرد مشتتا ، وغير متأكد اذا ما كان يسير وفقا للتعاليم الدينية أو الشئون الدنيوية » .

ويبدو أن الرغبة الصادقة فى اتخاذ الترتيبات المتعلقة بالصلاة الشفعية والمصحوبة بالخوف هي التي دفعت الصليبيين لتقديم الهبات الى الأديرة قبل رحيلهم وكذلك كتابة الوصايا التي تبرعوا فيها بما يملكون بهذه الأديرة الى الجماعات الدينية اذا ما استشهدوا . وعلى سبيل المثال قدم ريموند السانت جيلي Raymond of St Gilles هبة سخية الى كاتدرائية لو بوى Le Puy شريطة أن تظل شمعة موقدة أمام تمثال العذراء مريم فى الكاتدرائية المذكورة باستمرار ، وأن يتم انشاد قداس الموتى مرة واحدة كل عام بعد موته فى الكنائس الأخرى التابعة للكاتدرائية وأن تتم تلاوة الصلوات طيلة الحياة من أجله . وقدم هيو الأبنى Hugh of Apigne العصور الى راهبات دير القديس جورج

الرينى St George of Rennes شريطة أن يقمن باحياء
الذكرى السنوية لوفاته * وقدم أنجر فترز روبرت
Anger Fitz-Robert ، راتبا الى رهبان دير القديس فنسنت
اللوماني St Vincent of Le Mans لصالح روحه وروح والده *
وتكشف الوثائق عن لهفة الصليبيين التى عبر عنها
خلفاؤهم بصورة جلية ، وتتجلى هذه الלהفة فى استعدادهم
الدائم للذهاب الى الأراضى المقدسة بعد تسوية كافة المنازعات
فى أوطانهم وبخاصة منازعاتهم مع الكنائس * وأنهى
أنسيلم الريمونى Anselm of Ribemont نزاعا مع دير
القديس أماند St. Amand بشأن الطواحين واستخدام الماء
بهذه الطواحين وحقوق القرية الصغيرة التى أقامها ، وهو
صراع قد أدى الى قيام رئيس الدير باصدار قرار الحرمان
الكنسى ضده * ويبدو أن بولدوين الجويتنى Baldwin of Guines
سمح فى نهاية الأمر بتحويل أربعة أوقاف كنسية فى ليكى
Likues الى كنيسة واتن Watten كان والده قد سبق
ومنتحها للكنيسة * وأنهى ريموند السانت جيلى Raymond of
St Gilles ، نزاعا مع رهبان سانت جيل فى حضور البابا
فى مجمع نيم Nimes وقدم هبته الكبرى الى كاتدرائية
لو بوى Le Puy :

« من أجل التكفير عن جرائمى وجرائم آبائى ، ومن أجل
تكريم ومحبة القديس جيل St Gilles ، الذى ضايقته كثيرا
بتصرفات كثيرة مؤذية ومن أجل الاحتفال السنوى به فى
كنيسة لو بوى Le Puy والكنائس الأخرى التابعة لها » .

وفي بعض الأحيان كانت تلك الاعلانات المتعلقة بالتخلي الرسمي عن كل مظاهر الظلم جزءا من اتفاق من خلاله يستفيد الصليبي ماليا ، فقام جودفري البويوني Godfrey of Bouillon برهن أو بيع الأراضي الزراعية التي يمتلكها الى أسقفى لييج والفردان Liège and Verdun وبذلك أنهى المنازعات القديمة معهم. مقابل مبلغ نقدي له ولأخيه بلدوين * وزار كونت جى الشالونسيرساوني Count Guy of Chalon Sur-Saone جماعة رهبان دير باراي - لو - مونيال Paray-Le-Monial وأعلن رسميا تنازله عن المكوس التي اعتاد فرضها مقابل الحصول على بفل ممتاز * ووافق هيو الجويي Hugh of Juille على جميع الأشياء التي باعها والده الى رئيس دير القديس فنسنت اللوماني St Vincent of Le Mans مقابل عشرين صوليدي Solidi * وكان التنازل عن الحقوق المكتسبة بالقوة في مقابل الحصول على المال النقدي خطوة جديدة من أجل جمع المال * ولم يكن الكسب المادي فقط هو الهدف من وضع هذه الترتيبات ، وأعطى رهبان دير القديس بيير الشارترى Piere of Chartres عشرة جنيحات استرلينية الى السيد الاقطاعي نيفيلو Nivelon مقابل تنازله عن الحقوق التي كان يحتفظ بها بالقوة باعتباره رئيس قلعة ، ووافق على صيغة التنازل وهو في حالة لا يحسد عليها :

« أنا نيفيلو الذي أنتمى الى طبقة النبلاء بالوراثة ، وهي الطبقة التي تجعل كثيرا من المنتمين اليها يوصفون بكل

ما يشين المرء من رذائل ، لذلك فمن أجل تخليص روحى من الخطيئة ، وفى مقابل قيامى بدفع مبلغ ضخم من المال الذى ورثته ، أعلق أنى أتخلى الى الأبد ، ولصالح القديس بطرس عن السلوك الجائر الناجم عن عادة سيئة لم أكتسبها وفقا للثقاليـد القديمة ولكن ورثتها عن والدى الذى كان رجلا ضئيل الجسم سريعا فى ارهاق الفقراء بمظالمه المتكررة .
ومند ذلك الحين عملت باستمرار على المحافظة على تلك العادة بطريقة استبدادية وبكل وحشية . ولقد قمت بانتهاك أرض القديس بطرس من خلال الهجمات المتكررة ، وأعنى بذلك قرية امبرنفيـل Emprainville . والأراضى التى حولها وقمت بالاستيلاء على سلع وممتلكات ومنقولات السكان هناك بطريقة أصبحت عادة ، وتلك كانت الطبيعة القاسية لتلك العادة . وكلما دفعتنى الرغبة فى الهجوم الوحشى كنت أنقض على القرية المذكورة آنفا ، واصطخبت منى جماعة من فرسانى ومجموعة من أتباعى ، وكنت آتى بما يتنافى مع طبيعة الإنسان فأستولى على ممتلكات رجال القديس بطرس لتكون طعاما لفرسانى ويجب أن يعلم كل فرد جيدا أننى أقدم كفارة الى القديس بطرس على تلك الخطايا والمظالم البغيضة السابقة ، وانى سأكف عن القيام بتلك المتاعب المتباعدة الى الأبد ، والتى توقفت عن ممارستها الآن » .

كان برتران المونكونتورى Bertrand of Moncontour استبقى فى حيازته ثلثى الممتلكات مع ما كان والده قد وهبه لكنيسة الثالوث المقدس . ثم سلم الكنيسة كل ذلك مقابل الحصول

على ١٨٠٠ ألف وثمانمائة صوليدى Solidi لأنه : « اعتقد أن طريق الله (الحرب الصليبية) لا يمكن أن يفيد إذا ما ظل محتفظا بريع ممتلكات مسروقة » . وبالمثل أعلن هيو بوشارد Hugh Bochard تخليه عن أراضي الحياة الاقطاعية التي اغتصبها من أحد الفلاحين والتابعة للقديس فيليب التورنوى Philibert of Tournous مقابل حصوله على بغل وأربعة جنيهاسترلينية ، ولأنه ، « خاف العقاب على هذه الخطيئة وكان يود الذهاب الى بيت المقدس » . أما فرسان قلعة مزناك Mezenc ، وهم : بطرس بستركيوس Peter Bastarcus وبونزا Ponsa ، وبرتريان Bertrand فقد كانوا يمارسون العنف والقسوة والظلم تجاه القرويين التابعين لرئيس دير القديس شفر اللومونستياوى St Chaffre of Le Mon stier . ثم أعلنوا رسميا تخليهم عن كل أعمال السلب والعنف مقابل مبلغ من المال ولأنهم نذروا أنفسهم للانضمام الى الحرب الصليبية . وحصلوا على الفقران من الأسقف مند Mende ، والأسقف أدهيما اللوبوى Adhémar of Le Puy بنفسه الذي ، « كان مندهشا لشدة وحشيتهم ، غير أنه غفر لهم ذنوبهم بسبب ذهابهم ضمن حملة عسكرية الى بيت المقدس وبسبب إعلانهم عن ندمهم » .

ولذلك توحى الموائيق التي تقدم بها الفرسان أن استجابتهم لدعوة أوربان كانت مثالية . غير أن الموائيق الموجودة تتعلق بجزء فقط من الصليبيين ، وعلى أية حال فلنا

أن نتساءل : هل كانت الوثائق التي كتبها رجال دين على قدر لا بأس به من التعليم لصالح جماعاتهم الدينية بصفة أساسية ، مضللة ؟ إذ أن كثيرا من الأفكار التي وردت في تلك الوثائق لا يمكن افتراض أنها تعكس بدقة أفكار طبقة غير متعلمة . وعلى سبيل المثال ، من غير المحتمل أن نيفيلو Nivello الذي وقع بعلامة لأنه كان أميا قد تعرف على نص مقدس من كتابات القديس جريجورى الأول St. Gregory ، وظهر هذا النص في المقدمة التمهيدية لوثيقته . صحيح أن معظم المعلقين المعاصرين الذين كانوا من الداعين للحركة الصليبية صوروا الصليبيين في صورة مرضية باعتبارهم شخصيات مثالية نبذت أمور العالم ، غير أن وجهات نظر هؤلاء الدعاة لم تكن الوحيدة . وتذكر لنا إحدى الروايات أنه عندما ظهر القديس أمبروز St. Ambrose إلى كاهن إيطالي ، وسأله عن سبب تلك الاستجابة الكبيرة التي حظيت بها دعوة أوربان ، أجاب الكاهن بأنه كان قلقا : « لأن عددا من الأفراد يقدمون أسبابا مختلفة لذهابهم إلى بيت المقدس . ويقول آخرون بأن أصحاب الاقطاعات من الفرنسيين ومعظم الناس شاركوا في الذهاب إلى بيت المقدس من أجل أسباب تعود على أصحابها بالنفع والفائدة فحسب ونتيجة لذلك حلت النكبات بأعداد غفيرة منهم في مملكة المجر Hungary ، وفي الممالك الأخرى . ولذلك لم يحققوا أى نجاح » .

ووفقا لما ذكره إكهارد الأوراي Ekkehard of Aura « كان من اليسير اغرام الفرنجة الغربيين بترك مزارعهم ، ذلك لأن بلاد الغال Gaul كانت قد تعرضت للنكبات لبضع

سنيين، فى صورة حرب أهلية أحيانا، ومجاعات أحيانا أخرى، وتزايد نسبة الوفيات، وأخيرا انتشر الطاعون . . . فأصيب الناس بحالة من الهلع جعلهم يفقدون كل أمل فى الحياة . . . ومن بين الشعوب أو الأفراد الذين لم يصل اليهم المرسوم البابوى، اعترف البعض منهم بأنهم ذهبوا الى أرض الميعاد بناء على دعوة المتشبهين الذين ظهروا من بينهم أو بناء على علامات وإشارات ظهرت فى السماء، وقال آخرون بأنهم أجبروا على المشاركة بعد أن عرضت عليهم كافة المزايا والمنافع الشخصية . وفى الحقيقة اصطحب الكثير منهم الزوجات والأبناء وكل منقولاتهم وأدواتهم المنزلية . . .

وربما لفت أوزبان انتباه مستمعيه فى كليرمون الى إمكانية تحقيق ثروات طائلة، وأن كان هناك ما يؤكد على أن قرار الغفران المتعلق بالحرب الصليبية، والذي منح غفران الخطايا لعدد محدود ممن سيشاركون فى الحرب الصليبية « ابتغاء مرضاة الله فقط، وليس طمعا فى المجد أو المال »، خير دليل على أن البابا والأساقفة الفرنسيين كانوا على بينة تامة بأن بعضهم على الأقل سوف يشارك فى الحرب الصليبية تحقيقا للدوافع المادية، لذلك كان على البابا أن يضع قرارا يتحدث فيه عن الفتوحات التى ستجرى فى المستقبل بكل وضوح، مشروطا بضرورة أن تكون الكنائس التى يتم تحريرها خاضعة للامارات الصليبية التى يقيمها الصليبيون . غير أن مدلول هذا القرار ليس واضحا، لأنه قد افترض مشاركة بيزنطية فعالة فى الفتوحات الصليبية

وما يلى ذلك من نفوذ السلطة الاغريقية المدنية على حساب السلطة اللاتينية . - غير أن القضية أصبحت مثيرة للاهتمام الدائم منذ أن استولى الصليبيون على أنطاكية دون المساعدة البيزنطية ، وتم التأكيد على قرار مجمع كليرمون فى المجمع المحلي الذى عقده أدهيما Adhémar ، المندوب البابوى فى أنطاكية بمجرد الاستيلاء عليها . بل ان القائمين على الدعوة للمشاركة فى الحرب الصليبية أقروا بأن الجيوش الصليبية اشتملت على مغامرين ودجالين ، بالرغم من أن معظم هؤلاء لم يكونوا من الفرسان . فهناك دليل على وجود عنصر مادى بين الفرسان ، أيضا ورد فى صكوك رهن ممتلكات كل من قولفكر الكوفرني Wolfker of Kuffern ، وهو أحد النبلاء الألمان ، وأشارد المونميرلي Achard of Mont merle ، وهو رئيس احدى القلاع ، وقد قتل قرب يافا ، تحسبا للأخطار والظروف التى قد تنشأ عن اقامتهما فى المشرق . وشارك نورجوت التوسيسى Norgeot of Toucy فى الحرب قبل القيام بالمصالحة مع رئيس دير فلورى Fleury ، وتسوية أمور قريته التى فرض عليها ضرائب ابتزازية جائرة . وقبل وفاته أثناء رحلته لزيارة الأراضى المقدسة اعترف بخطاياہ للبطريرك ، ولكن البطريرك قال له ان توبته عديمة النفع اذ لم يرد الحقوق الى أصحابها قبل غفران خطاياہ . فأرسل خطابات الى زوجته والى الناس يعلن فيها تخليه علنا عن كل حقوقه ومطالبه .

وعلاوة على ذلك فلم يتمكن بعض الفرسان من الوفاء بندورهم ، وكان لدى بعضهم أسباب وجيهة . فعلى سبيل

المثال كان هلباس، كونت مين، Count Helias of Maine قد أقسم على أن يذهب ضمن حملة صليبية إلى بيت المقدس وكان يعد من بين الذين اشتهروا بالورع والتقوى، إلا أنه رفض الذهاب عندما علم أن وليهم ملك إنجلترا قد عقد العزم على الاستيلاء على مقاطعته * ومن الواضح أنه حول الدفاع عن أراضيهِ إلى حملة صليبية شخصية * وكدنا لا نعرف شيئاً عن هذا الأمر، لولا كتابات أوردريك الفيتالي Orderic of Vitalis الذى كتب بعد أربعين عاماً من الاستيلاء على بيت المقدس، معقباً على تحويل الأفكار الصليبية إلى مسارح أخرى للحرب بعد أن تحقق النصر للصليبيين، فقال :

« كنت أتمنى أن أقاتل المسلمين باسم الرب، بيد أنى أرى حالياً أنه يتحتم على أن أشن حرباً بالقرب من ديارى ضد أعداء المسيح * ان كل فرد يقاوم الحق والعدل إنما يظهر نفسه على أنه عدو لله، الذى هو الحق بعينه وشمس العدالة * * * ولئن أصرف النظر عن صليب مخلصنا الذى أحمل شارته على نمط أى حاج، وإنما سأظل أحمله على ترسى وعلى خوذتى وعلى كل أسلحتى وسأطبع صورة الصليب المقدس على سرجى ولجامى * ونظراً لأن هذه الشارة تمنحنى القوة فسأتقدم صوب أعداء السلام والحق وسأدافع بالقوة عن أرض المسيحيين * وستكون تلك الشارة المقدسة على كل أسلحتى وجوادى، وكل الأعداء الذين يهجمون على سيحاريون أحد فرسان المسيح * انى أثق فيمن يحكم العالم لأنه يعلم ما يجول بخاطرى * وسوف أنتظر، بفضل رحمته الواسعة، حتى أتمكن من الوفاء بنذرى فى وقت أفضل » *

غير أن كثيرين لم يكن لديهم الأسباب الوجيهة التي تتيح لهم البقاء بعيدا عن المعركة ، ومنذ خريف ١٠٩٧م فصاعدا تسلطت على أذهان القادة العسكريين فكرة ضرورة تدبير أمر التجديدات الحربية تحسبا للأخطار الناجمة عن الحملة العسكرية . ولقد وجدنا من قبل أن الأساقفة في الجيش أصدروا قرار الحرمان الكنسي ضد من تقاعسوا عن خوض القتال ، وعبروا عن أملهم في أن يحذوهم اخوانهم في غرب أوروبا . وفي سبتمبر ١٠٩٨م كانت هناك دهشة عند انطلاق شائعة تقول ان أوربان قد أعفاهم من تذورهم . ومن المستحيل تقدير أعداد الذين لم يفوا بتذورهم . واعتقد هؤلاء الذين شاركوا في الحملة الصليبية بأن عددهم كان كبيرا ، وان كان حجم الحملة الصليبية التي تم حشدتها عام ١١٠١م والتي شارك فيها معظم الصليبيين يوحى بأن عدد الذين يفوا بتذورهم كان كبيرا .

«المجد والشهرة والمال» : هذا ما كانت تردده القصص التاريخية عن الحملة الصليبية ، عقب صياغة قرار مجمع كليرمون . ومما لا شك فيه أن الرغبة في تحقيق المجد الديوى قد حدت بالفرسان الى الانضمام للحملة الصليبية . سواء تحقق هذا المجد في حياتهم أو بعد موتهم . فقد كان عليهم أن يبحثوا عن هذا المجد ، وذلك اذا نظرنا الى جذورهم الاجتماعية ، وعاداتهم وتقاليدهم الفروسية المعروفة آنذاك بينهم ، على الرغم من استحالة تقنين النتائج الناجمة عن ذلك . فقد ينضم المرء للحملة الصليبية من أجل الحصول على التكريم أو اذا ما كانت سمعته قد تعرضت للشبهات ، كما فعل أرثوف الهدنيثي Arnulf of Hednith الذي مات في

استجابة عامة الناس

أنطاكية ، وكان قد غادر إنجلترا بعد أن اتهموه بالخيانة ظلما . وكما سنرى ، كان حصول الفرسان على التكريم أمرا مفروغا منه . أما بخصوص المال ، فسنرى أيضا أنه لأسباب مفهومة - وباستثناء حاجة الصليبيين للمال لأغراض المعيشة - فقد سيطرت على الصليبيين فكرة جمع الفنائم ، غير أن هناك أدلة قليلة تنفى عودتهم إلى بلادهم ، ومفهوم الثروات ، اللهم إلا الآثار المقدسة ، وهو أمر لا يدعو للدهشة عندما يضع المرء في اعتباره النفقات التي تحملوها بعد اشتراكهم في الحرب . ومن الجدير بالذكر أن قرار مجمع كليرمون لم يشير إلى الأرض ، بالرغم من أنها كانت موضوعا للمناقشة في المجمع . وساد اقتراح تقدم به جورج ديبى Georges Duby بخصوص بعض المناطق مثل مقاطعة ماكونيه

Mâconnais حيث سيطرت عادة تقسيم الارث على الصليبيين واستفادت أسر عن طريق ارسال أبنائها للاشتراك في الحرب ، وعلى ذلك تقلصت الأعداد التي لها حق الارث ، وهو أمر كان له أثره بشكل ملحوظ . ورغم وجود الأدلة التي تؤكد على وجود الرغبة الملحة في امتلاك الأرض كأحد القوى المحركة للصليبيين إلا أنه بعد الاستيلاء على بيت المقدس ، والانتصار على الجيش المصرى ، فى الثانى عشر من أغسطس ١٠٩٩ م قرر معظم الصليبيين العودة إلى أوطانهم . ويقال ان القسم الأكبر من العائدين إلى أوروبا بلغ عددهم حوالى عشرين ألف نسمة ، وهو تقدير ربما فاق كل أعداد الصليبيين الموجودين فى فلسطين فى ذلك الحين ، مما يؤكد أن الغالبية العظمى ممن قدر لهم البقاء فى قيد الحياة ، بعد الاستيلاء على بيت المقدس قد عادوا إلى غرب أوروبا . وكتب فولشر الشارترى

Fulcher of Chartres ، وهو القس الذى صاحب أول ملك يقود الحملة الصليبية لبيت المقدس ١١٠٠م ، يقول ان عدد الفرسان لم يزد على ثلاثمائة فارس ، وكان هناك نفس العدد من المشاة لحراسة بيت المقدس ، ويافا ، والرملة ، وحيفا . ولا يشمل هذا الرقم جماعات الفرسان والمشاة الذين كانوا تحت قيادة الاقطاعيين فى الجليل وحبرون « الخليل » Hebron ، وربما فى نابلس ، وكذلك المستوطنون فى شمال سوريا ، ولا يصح أن نتجاهل ما حدث من استيطان سريع حول مدينة البارة فى سوريا ، واياها التقدم صوب بيت المقدس ، على الرغم من أن الاحتلال الأخير للمنطقة ترك بصمات ضعيفة على نظام امتلاك الأراضى مازالت باقية فى أسماء بعض الأماكن على الطريق من الرملة الى بيت المقدس . فمما لا شك فيه أن معظم الصليبيين لم يستقروا فى الشرق .

ولابد أن المسافة التى كانت تستغرقها حملة عسكرية من غرب أوروبا الى آسيا الصغرى كانت معروفة جيدا ، هذا مع الأخذ فى الاعتبار الأعداد الكبيرة من الحجاج الى الشرق فى القرن الحادى عشر وكثير من الفرسان الغربيين الذين عملوا فى خدمة الجيوش البيزنطية ، من أمثال بطرس الأوبى Peter of Aups وهو الذى كلفه القادة الصليبيون حراسة مدينة استولوا عليها فى آسيا الصغرى ، وهيو بونيل Hugh Bunel الذى توجه لمساعدة روبرت النورماندى Robert of Normandy ابان محاصرة بيت المقدس بعد قضاء عشرين عاما فى الأسر فى أراضى المسلمين الى أن هرب بعد مقتل مايبيل البيليمى سنة ١٠٧٧م . ولم يكن هناك أمل

عند الفقراء في السيطرة على شيء على الرغم من أن أعدادا كبيرة من الذين شاركوا في الحملة الصليبية كانوا من المعدمين وكان يحدوهم الأمل في أن يعيشوا على صدقات الموسرين المسيحيين على امتداد العالم الاسلامي ، وقد ساعد الأغنياء الفقراء ، وتم جمع الأموال في أوروبا ، وفي الطريق الى الشرق تحركت الجيوش عبر البلقان ومعها الكنوز التي حملت في عربات ضخمة ذات عجلات أربع تجرها الخيول أو الثيران . بيد أن حالة الفرسان كانت مختلفة الى حد ما . فقد كان الفرسان الفقراء يجولون على امتداد غرب أوروبا كلها ، بناء على تقليد تجوال الفارس التماسا لمغامرات الفروسية ، وهم ينعمون بكرم ضيافة زملائهم ممن هم في منزلتهم الاجتماعية ، بيد أن ذلك ليس على مثال ما حدث من المغامرات التي بدأت عامي ١٠٩٥ - ١٠٩٦ م . وكانت الحرب عملا يكلف الكثير من المال . وكان يجب اعداد فارس مزود بدرع وأسلحة ، وخيول للقتال ، وخيول لحمل الأمتعة ، وغلمان للخدمة من أجل رحلة باهظة النفقات . ويقدر أن الفارس الألماني الذي استدعى لخدمة الامبراطور في ايطاليا في منتصف القرن الثاني عشر قد تكلف ضعف دخله السنوي من أجل العمل في تلك الحملة . وعلى المرء أن يقدر المجهود الذي يستخدمه فارس فرنسي ، عقد العزم على المشاركة في حملة عسكرية في الشرق في أواخر القرن الحادي عشر ، حين يحاول هذا الفارس مضاعفة دخله . وعلى ضوء ذلك كان من السخف والحماسة أن يذهب فارس لا أرض له أو فرسان صغار . واستطاع الرجال الأكثر ثراء ادخال الفقراء في خدمتهم مقابل أجر كما

فعل بوهيموند التارانطوى Bohemond of Taranto عندما قدم السلاح الى ابن شقيقته تنكره، وطلب منه العمل فى خدمته . وتوقع كل الفرسان الاستفادة من الصدقات والاعانات المالية التى تم جمعها على طول الطريق الى الشرق ، بيد أن الاستيلاء على الغنائم كان منتهى آمالهم وتوقعاتهم . على أن الحملات الصليبية فيما بعد حظيت بالمساعدات المالية الفعالة ، بما فى ذلك الضرائب العلمانية والكنسية والأموال التى كانت تجمع كتعويض عن الوفاء بالندى فى المشاركة فى الحملة الصليبية ، غير أنه ابان الحملة الصليبية الأولى كان على كل صليبي أن يتولى بنفسه تدبير مبالغ نفقاته ، وهذا يعنى فى مجتمع زراعى التخلص من الممتلكات ببيعها وجمع القروض مقابل زهنها . وقد تضمن ميشاق هنرى الرابع امبراطور ألمانيا مثل هذه الاجراءات ، وتوجد به اشارات الى جودفرى البويونى Godfrey of Bouillon وبلدوين البولونى Baldwin of Boulogn اللذين « سيطر عليهما الأمل فى الميراث الأبدى والمحبة ، واستعدا للذهاب للحرب فى سبيل الله فى بيت المقدس ، وباعا كل ممتلكاتهما » وفى الحقيقة سن البابا والأساقفة التشريعات التى تحرم كنسيا هؤلاء الذين يعارضون تقديم الهبات والاقتداء (بمعنى آخر بيع الممتلكات واجراء الرهونات) ، وهى أمور كان لابد منها عند رحيل الصليبيين .

وهناك عامل آخر مؤثر لابد من وضعه فى الاعتبار أيضا ، وهو أن الدعوة للحرب الصليبية بدأت فى وقت تعرض فيه الانتاج الزراعى لكساد شديد بسبب انخفاض

استغاثة عامة الناس

المحاصيل بسبب الجفاف . غير أن هذه الحالة تغيرت سنة ١٠٩٦ م ، فبحلول ربيع غزير المطر ، كان يبدو أنه تعبير طبيعي عن موافقة الله على مشروع الحملة ، الا أن ذلك كان متأخرا بالنسبة لكثير من الصليبيين الذين كانوا قد انتهوا بالفعل من بيع أراضيهم ، رغم أنهم كانوا قد اشتروا المواد التموينية اللازمة للحملة في وقت كانت فيه المنطة متوافرة . ومن المحتمل أن هذا سبب شكوى دير جوتويج Gottweig بأن فولفكر الكوفرنى Wolfker of Kuffern ، قد تراجع عن اتفاقه الخاص ، برهن الممتلكات عند ذلك الدير ، وأن هذا الشخص عقد اتفاقا مع سيد اقطاعى آخر ، وتكشف عن تحول في التفكير بعد انتهاء فترة انخفاض المحصول وحدوث نشاط في السوق التجارى ، على الرغم من أن هذه الحالة تخص ألمانيا وليس فرنسا . وعلى أية حال كانت نتائج تلك العمليات النشطة لجمع الأموال في أوائل سنة ١٠٩٦ م خطيرة ، وتزايدت لأن المبيعات والرهونات كانت كثيرة ، وأن أعداد الأفراد والمؤسسات القادرة على تقديم الأموال فورا قليلة للحد الذى نتج عنه انخفاض قيمة السلع والممتلكات في فرنسا من الناحية الواقعية . واتخذ القائمون على تدبير الشئون المالية اجراءات غير عادية من أجل جمع الأموال . وباعتراف الجميع قام أسقف لييج Liège بالعمل على تحقيق السلام لأراضى المنطقة التابعة له ، وانشغل في معاملات مالية أخرى ، وجمع المال لقلعة بويون Bouillon بوضع يده على الجواهر الموجودة في المذاخر reliquaries في كاتدرائيته ، وفي الكنائس في أيرشيتته . ومن الواضح أن الملك وليم الثانى أمر باتخاذ اجراءات مشابهة في انجلترا من أجل

جمع عشرة آلاف مارك من الفضة ؛ من أجل السيطرة على دوقية نورماندى لمدة خمس سنوات ، وهى الدوقية التى يحكمها أخوه .

وكان الانضمام الى حملة صليبية يتطلب نفقات باهظة ، وتضحيات مالية كبيرة ، وكانت الأعباء على العائلات أشد وطأة اذا ما اختار عدة أفراد بها الذهاب مع الحملة الصليبية . وكان ذلك أمرا شائعا . وهناك أمثلة مشهورة لذلك ، ومن أبرزها ، أوستاس Eustace ، وبولدوين البولونى Baldwin of Boulogne ، وجودفرى البويونى Godfrey of Bouillon وأدهيمار اللوبوى Adhémar of Le Puy ، ووليم هيو المونتيل William Hugh of Montell ، وبوهيموند التارانتوى Bohemond of Taranto ، وأينباء أخيه رالف الجيسى Ralph of Gael ، وأينس ألن Alan ، وكونون المونتجوى Conon of Montaigu الذى تصادف أنه كان صهر جودفرى البويونى . وما سبق قليل من الأمثلة ذكرت فيها الأقارب غير المقربين .

كانت هناك اختيارات عديدة متاحة للفرسان الراغبين فى جمع الأموال من أجل المشاركة فى حملاتهم الصليبية . وكان فى استطاعتهم فرض الضرائب ، على المستأجرين لأراضيهم ، مثل فردريك الزيمرنى Frederick of Zimmern الذى كان غير قانع بما منحه والده له . غير أنه توجد أدلة كثيرة تؤكد حدوث مثل ذلك الاجراء : وقد يرجع ذلك الى معاناة فرنسا الشديدة من نقص الأموال ، لذا فإن الأموال

التي تم جمعها حتى عام ١٠٩٦م كانت قليلة ، وكما رأينا من قبل كان بإمكان الفرسان التخلي عن حقوقهم أو عقاراتهم مقابل حصولهم على الأموال النقدية ، وجرت العادة بينهم على رهن أو بيع الاقطاعات أو الأراضي المملوكة ، وكانت تلك الأراضي المملوكة عظيمة الأهمية للأسر ومع هذا كان من السهل على البعض أن يقولوا : « لا بد أن نذهب الى هناك ، ونبيع اقطاعاتنا ، ونفوز بمعبد الرب ، ونقضى على المسلمين » . وكانت عملية التخلص من الممتلكات ، وبخاصة الممتلكات الخاضعة للارث ، تؤثر على مصالح أسر من يشتركون في الحملة الصليبية ، وفي بعض الأحيان كانت تلك المصالح تظهر في الأوراق الرسمية . وتضمن صك رهن حرره وليم الفاستي William of Vast فقرة سمحت لآخوانه أو أقاربه أن يسترجعوا الأرض المرهونة اذا لم يتمكن هو من ذلك . كما أن صك الرهن الذي وقع عليه أنسليم الريمونتي Anselm of Ribemont ، قد مكن زوجته أو ابنه أو من له حق الارث من استرجاع الأرض المرهونة ، كما كان بإمكان اخوة استانوف الفيزنساكي Astanove of Fezensac أو أتباعه الاقطاعيين استرجاع الأرض المرهونة ، وأنه اذا ما مات - وقد مات بالفعل في الحملة الصليبية - فان ممتلكاته كلها يجب أن تثول الى كهنة كاتدرائية القديسة ماري الأوتشي St Mary of Auch ، وكان بالإمكان استرجاع رهن فولشر الفافرجي Fulcher of Faverge بنفسه أو بمعرفة اخوته . أما رهن بويون فكان من الممكن أن يسترجع بمعرفة أوستاس البويوني أو جود فرى البويوني نفسه . ومن ناحية أخرى وافقت شقيقة آشارد المونتميرلي Achard of

Montmerle ، على أن يتم فك رهنه لأراضيه بمعرفته
 شخصيا . وباع كل من بيتر وبونز وهما من فاي Peter and
 Pons of Fay أملاكهما الى دير القديس شفر St Shaffre
 ومات بونز قبل الرحيل مع الحملة الصليبية ، غير أن وريثه
 باع النصف الذى ورثه الى دير القديس شفر أيضا ، وربما
 تم ذلك وفاء بالتزاماته وقد تقاضى مبلغا طيبا . وأعطى
 ستفن بونين Stephen Bonin النصف الذى يملكه فى
 قطعة من الأرض الى كاتدرائية القديس فنسنت الماكونى
 St Vincent of Mâcon ، وقام أخوه ليودجار Leodegar
 الذى صدق على ذلك ببيع النصف الثانى فيما بعد الى
 الكاتدرائية بموافقة أخ آخر ، ويبدو أن أسرة الفارس
 جى السارسى Guy of Sarcé المكونة من والدته وأخويه
 نيقولا وباين Nicholas and Payen قد أصرت على بيع احدى
 اقطاعياتهما الى دير القديس فينسينت اللومانى (★) St Vincent
 of Le Mans بالرغم من أن الرهبان قد فضلوا الرهن على
 البيع . وتنازل جيرارد لوديكر Gerard Le Duc ، وشقيقه
 برنجر Berlinger وأبناؤه جى Guy ، وجيفرى Geoffrey
 عن حقهم فى امتلاك قطعة أرض مقابل حصولهم على خمسة
 صولديات Solidi . وذهب المبلغ بكامله الى جى الابن
 الأكبر ، الذى كان ذاهبا للمشاركة فى حملة صليبية ، على
 الرغم من أن الابن الأصغر قد حصل على ستة دنانير denarii
 اضافية . ووافقت زوجة روبرت النائب Robert the Vicar
 وكذلك ابنه وأخواه على بيع ممتلكاته الى دير القديس

(★) لومان Le Mans مدينة فى غرب فرنسا - (المترجم)

استجابة عامة الناس

فنسنت اللوماني • وتعهد أحد الأخوين بتأدية الخدمات
الواجب القيام بها الى السيد الاقطاعي • ووافق جميع اخوة
جيفرى شوتارد Geoffrey Chotard على منحه الاعفاء من رسم
المروور الذي قدمه الى دير مارموتيه Marmutier • ووافق
ابن شقيق هيو الابيني Hugh of Apigne على منحه العشور
tithe التي قدمها الى دير القديس جورج الريني
St George of Rennes ووافقت والدة جيفرى وكذلك اخوته
على بيعهم قطعة أرض الى دير القديس فيكتور الماسيلي
St Victor of Marsellies وقد أعطت والد ألبرت ، وكونراد ،
وفريديريك زيمرن Zimmern الأموال من أجل الذهاب مع
الحملة الصليبية • وباعت والدة رينولد Reinold ممتلكاتها
الى دير القديس بطرس الهلمرشوزني Peter of Helmarshausen
لتدبير الأموال له • وقامت سورا Saura ، وابنها برتراند
من مقاطعة القديس جين Bertrand of St Jean بشراء أرض
خاله دودو Dodo وعقد اتفاقية رهن مع خاله ليوفرنيك
Leo Franc اللذين ذهبا مع الحملة الصليبية • وساعدت
الكونتيسة ادا البولونية Countess Ida of Boulogne على جمع
الأموال • وقام هيو الشوموني Hugh of Chaumont برهن
اقطاعه ، وقلعه أمبواز Amboise ، هذا بالإضافة الى
المنحة النقدية الكبرى التي قدمها له عمه جودفري
الشوموني • ومن ناحية أخرى قام رئيس دير القديس بيير
الشارتري St Père of Chartres بدفع مبلغ من المال الى

أقارب نيفيلو Nivelو لاتفاقهم على التخلي عن الحقوق التي كان يطالب بها نيفيلو . ومع ذلك فان الحالة التي بدت لنا هي حالة الأقارب الذين كانوا يقدمون تضحيات لتدبير المال للصليبيين . والواقع أنه ليس هناك دليل يؤيد الزعم القائل بأن الحملة الصليبية كانت فرصة أمام الأبناء الزائدين عن حاجة الأسرة ، حتى تتخلي الأسرة عن أعبائهم . بل العكس هو الصحيح ، حيث تشير البراهين على قيام الأسرة بتحمل أعباء أبنائها الذين نذروا أنفسهم للاشتراك في الحملة الصليبية .

وعلى ضوء الدليل الوارد إلينا فمن الصعب القول بأن معظم الصليبيين كانت تحركهم الدوافع المادية البحتة . وإذا ما وضع المرء في اعتباره المعلومات المتعلقة بالصليبيين وآمالهم وطموحاتهم والحالة الاقتصادية العامة التي كانوا يعيشونها ، ولو أن الصليبيين قد تصرفوا في الممتلكات من أجل الانفاق على حلم الاستقرار في الشرق ، لكان الأمر مجرد مغامرة حمقاء . لكن المنطق يفرض علينا القول بصفة عامة أنهم تحركوا من منطلق المثالية التي كانت تشتعل في نفوسهم ونفوس أسرهم . وكان على الآباء والاختوة والأخوات والزوجات تحمل غياب طويل ولا بد أنهم جميعا عانوا القلق عليهم : ففي سنة ١٠٩٨ ، قدمت ايدا كونتييسة بولونيا Countess Ida of Boulogne هبات ومنحا إلى دير القديس برتن St Bertin ، « من أجل سلامة ولديها ، جيفري وبولدوين اللذين ذهبا إلى بيت المقدس » . وقد أكدت على أنه ما من أحد يستطيع أن يكتب عن النمو الكبير للحياة في

استجابة عامة للناس

الأديرة في هذه الفترة دون الأخذ في الاعتبار هؤلاء الذين انضموا الى تلك الجماعات الدينية فحسب ، ولكن أيضا العلمانيين والنسوة حيث كان الجميع على استعداد لتقديم الهبات الى تلك الأديرة الجديدة على شكل أراض موقوفة لصالح تلك الأديرة بالإضافة الى إيرادات أخرى ، وينطبق الشيء نفسه بالنسبة لموقفهم من الحركة الصليبية . فخلف كثير من الصليبيين كان هناك حشد كبير من الرجال والنساء الذين كانوا على استعداد للتضحية بمصالحهم لمساعدتهم على الذهاب . فقد تحمسوا عندما أتاحت الفرصة لأحد أقاربهم للذهاب الى بيت المقدس ليس فقط من أجل التكفير عن الذنوب بل للمشاركة في القتال في حرب مقدسة في الوقت نفسه . ولمدة قرن تقريبا ظل كبار الاقطاعيين ورؤساء القلاع والفرسان عرضة للاهانات على يد الكنيسة . ونتيجة لحالة الاجهاد تحت وطأة السيل الجارف من القذح والذم رضخوا جميعا لمحاولات رجال الكنيسة للتحويل الى طريق التقوى والورع بالصورة التي يفهمونها ، وها هو قد جاءهم كعمل يستحق المدح والثناء ويتفق مع تنشئتهم وحاجاتهم الدينية لذا تمسكوا بالقيام بهذا العمل بكل شغف واهتمام .

غير أنهم استجابوا لدعوة الحرب على طريقته الخاصة ، مع أنهم لم يكونوا من اللاهوتيين ، وكان عليهم التصرف بطرائق تتفق مع أفكارهم المتعلقة بالصواب والخطأ ، وهي آراء لم تكن دائما تماثل آراء كبار رجال الكنيسة . ان التأكيد الذي وضعه أوربان على المحبة - محبة المسيحيين لأخوانهم المسيحيين الواقعيين تحت سيطرة المسلمين ، ومحبة

المسيح الذى صارت أرضه خاضعة للمسلمين - ساعد على تاجج النيران فى صدورهم للانتقام لأقاربهم وساداتهم الاقطاعيين . وبذلك وضعت الحرب الصليبية فى مصاف الثأر والانتقام Vendetta . وكتب قادة الحملة الصليبية الى أوربان وأبلغوه بأن « الأتراك الذين وجهوا اهانات الى ربنا يسوع المسيح ، قد باغتناهم وقضينا عليهم وانتقمنا للأذى الذى ألحقوه بالرب يسوع المسيح » . ومن المحتمل أن رجال الكنيسة العقلانيين ، الذين قد تعلموا فى نفس العالم الذى تعلم فيه العلمانيون لم يتمكنوا من مقاومة استغلال المشاعر المادية لاثارة مشاعرهم . فمثلا بولدريك البورجوى Baldric of Bourgueil ، وهو أسقف راهب فرنسى مثقف ، قام بكتابة تاريخه Historia ، بعد تسع سنوات ، وقدم أيضا نصا معدلا لموعظة ألقت عند أسوار بيت المقدس فى صيف ١٠٩٩ م . والأسلوب أسلوبه هو ، غير أن الأفكار عبر عنها الوعاظ سنتى ١٠٩٥ - ١٠٩٦ م :

« انهضوا يا عشيرة المسيح ؛ هلموا أيها الفرسان والمشاة ، واستولوا على تلك المدينة ، مدينتنا ! التفتوا الى المسيح الذى طرد من تلك المدينة ، وصلب ، وأنزله يوسف الأريمانثى Joseph of Arimathea من على الصليب ، واحملوا قى قلوبكم كنزا لا يضاهى ، هذا الكنز المرغوب فيه ، وبكل قوة ونشاط خلصوا المسيح من أيدي هؤلاء الطغاة المجردين من كل مظاهر التقوى والورع . وفى كل مرة هؤلاء الناس الأشرار شركاء هيرودس Herod ، وبيلاطس Pilate ، يستخرون من اخوانكم ويستعبدونهم ، وهم قد صلبوا المسيح . وفى

استجابة عامة للناس

كل وقت يعذبون فيها اخوانكم ويقتلونهم . الواقع أنهم
يسخرون من المسيح ويكيلون له اللوم والتوبيخ ، كما أنهم
يشيرون غضبنا بكلامهم الأرعن . وما موقفكم من كل هذه
الأمور ؟ هل من الصواب أن تستمعوا لكل تلك الأشياء دون
الشعور بالأسى ؟ انى أخاطب الآباء والأبناء والاختوة
والأخوات . اذا ما قام شخص غريب بالاعتداء على أحدكم
هل سوف تتركونه دون ثأر ؟ أفلا تثار لله ، ولوالدك ،
ولأخيك ، الذى تراه يتعرض للوم والتأنيب ، والنفى ،
والطرد من أراضيه ، والاضطهاد وهو يصرخ فى بؤس طالبا
النجدة » .

ان المشكلة الناجمة عن مثل هذا النوع من الصور
البلاغية هى أنها لم تكن قاصرة على إثارة المؤمنين ، وانما
دفعتهم الى القيام بأمور لم يكن رجال الكنيسة المسئولون
راغبين فى حدوثها . وأظهر الخطاب الافتتاحى للحرب
الصليبية الأخطار التى تنطوى على تقديم فكرة أخلاقية
معقدة للعلمانيين بعبارات بسيطة .

بدأت الجماعات الأولى من الصليبيين مغادرة غرب
أوروبا فى ربيع ١٠٩٦م . وبذلك يكونون قد تجهلوا
رغبات البابا الذى دعا الى الرحيل فى عيد الصعود ، فى
الخامس عشر من أغسطس ، وتحركوا فى وقت كانت فيه
معاناة من نقص فى الطعام قبل جنى محصول الصيف التالى .
وكان بطرس الناسك أشهر القادة الأول ، وكان قد دعا الى
الحرب الصليبية فى وسط فرنسا ، وانضم اليه جمع غفير
قبل أن يتحرك الى بلاد الراين فى أبريل . وتقدمت أمامه

بناء على تعليماته جماعة من المشاة ومعهم ثمانية فرسان فقط تحت قيادة والتر المفلس . Walter Sansavoir . وتقدموا عبر المجر Hungary فى الحادى والعشرين من مايو ، وواصلوا مسيرتهم بصورة منتظمة نسبيا تجاه القسطنطينية ، حيث انضمت اليهم جماعات من الحجاج الايطاليين الذين قطعوا رحلتهم بمفردهم . وتعرض بطرس الناسك لمعاناة لا قبل له على تحملها عند عبور اراضى البلقان . ومعه ما انضم اليه من المتطوعين فى بلاد الراين . ومرجع تلك المعاناة هى أن أتباعه كانوا يفتقرون الى الانضباط ، كما كانوا تواقين للحصول على المواد الغذائية - لذلك تعرضوا لهزيمة نكراء على أيدي القوات عند نيش Nish . ثم انضم بطرس الناسك الى ولتر المفلس عند القسطنطينية ، ومعه معظم جيشه فى الأول من أغسطس . ثم عبر الصليبيون بوغاز البسفور الى آسيا فى السادس من أغسطس غير أن الاختلافات ظهرت على السطح فى الحال بين الفرنسيين والالمان والايطاليين ، فاختار كل فريق منهم قائده . وتقدم الجيش حتى وصل الى كيبوتوس Kibotos ، ومن هناك بدأت جماعة من الفرنسيين فى منتصف سبتمبر فى شن غارات حتى وصلوا الى نيقية Nicaea . وحاول الالمان تقليد الفرنسيين وذلك باقامة قاعدة بالقرب من نيقية غير أن الأتراك حاصروهم وأجبروهم على الاستسلام ، واعتفق فريق من الأسرى الاسلام ، وتم ارسالهم للشرق ، أما من رفض فقد تم قتله . وعندما وصلت أخبار هذه الكارثة الى القوى الرئيسية للمسيحيين ، كان بطرس الناسك غائبا فى القسطنطينية . ولم تلق تحذيرات ولتر المفلس بضرورة

• استجابة عامة الناس

الالتزام بالحذر أذنا صاغية • وإبان تقدم الصليبيين داخل البلاد هاجمهم الأتراك في كمين وأبادوهم عن بكرة أبيهم • وفي الوقت نفسه لم تتمكن ثلاثة جيوش أخرى من الوصول أبعد من المجر Hungary ، كما تشتت شمل قوة عسكرية صليبية من الساكسون Saxons ، والبوهيميين Bohemians كانت تحت قيادة الكاهن فولكمار Folkmar عند نيترا Nitra • وأجبرت جماعة أخرى غير منضبطة على الاستسلام عند بانوهالما Pannohelma وكانت تلك القوة تحت قيادة كاهن من بلاد الراين وتتألف من السوابيين Swabians والفرنسيين ، والانجليز ، والفلمنكيين Flemish ، وسكان بلاد منطقة اللورين • واضطر أحد الجيوش إلى التوقف أمام مدينة فيزلبرج Wieselberg ، وكان هذا الجيش تحت قيادة الكونت ميتش الميننجي Count Emich of Leiningen ، وبعد مرور ستة أسابيع قضوها في بناء جسر عبر نهر أمام المدينة انتهى الهجوم الأول بحالة من الذعر المفاجيء والهرب الجماعي •

وبدأت معظم تلك الجيوش زحفها فيما أطلق عليه «الابادة الأولى» التي تفرض لها اليهود في أوروبا • إذ حدثت سلسلة من الحوادث المفجعة فيما بين ديسمبر ١٠٩٥م ويوليو ١٠٩٦م ، وكان تأثير تلك الحوادث بالغاً لدرجة أن أنباءها ترامت إلى الشرق الأدنى قبل وصول الحملة الصليبية الأولى ، مما ترتب عليه انتشار النبوءات المتعلقة بمجيء المسيح في التجمعات اليهودية في الشرق الأدنى ، وما زالت الترنيمات الجنائزية تتلى أجلاً واحتراماً للشهداء

الحملة الصليبية الأولى

في المعابد اليهودية حتى وقتنا هذا * ويبدو أن انفجارات الغضب الأولى حدثت في فرنسا بعد الدعوة للحرب الصليبية مباشرة ، والدليل على ذلك وجود خطابات من الجماعات اليهودية الفرنسية إلى اخوانهم في بلاد الراين Rhineland تحذرهم من وجود تهديد وشيك الحدوث * ومن المحتمل أن الاضطهاد كان واسع الانتشار في فرنسا ، على الرغم من عدم وجود تفاصيل عنه باستثناء اشارتين عن حالة شغب ضد اليهود اندلعت بين رجال تجمعوا للانضمام للحرب الصليبية في روان Rouen وهناك شواهد وبراهين أكثر مذكورة عن حوادث تمت في بلاد الراين * وفي الثالث من مايو حدثت ثورة ضد جماعة من اليهود في سبيير Speyer حيث كان جيش اميتش الليننجي Elrich of Lehnigen يتجمع ، وتقدم اميتش شمالا صوب ماينتس Mainz (★) حيث من المحتمل أن انضمت اليه جماعة اضافية من السوابيين Swabians تحت قيادة هارتمان كونت ديلنجن كييبورج Count Hertmann of Dilingen-Kebourg وجيش صليبي آخر من الفرنسيين والانجليز والفلمنكيين Flemish ، واللوريين Lorrainer وفيما بين الخامس والعشرين والتاسع والعشرين من مايو تم القضاء على الجماعة اليهودية في ماينتس Mainz قضاء مبرما * وتحرك بعض الصليبيين شمالا صوب كولون Cologne حيث انتشر اليهود في القرى المجاورة لها * وطوال شهر يونيو وأوائل يوليو ، تعرض اليهود للمطاردة والاضطهاد والضرب والازعاج ثم القتل * ويبدو أن جماعة أخرى من

(★) ماينتس : مدينة تقع في غرب ألمانيا على نهر الراين - (المترجم)

الصلبيين اتجهوا صوب الجنوب الغربى تجاه تريير Trier ثم ميتس Metz حيث استمرت المذابح . وفى خلال شهر مايو قام جيش صليبي باجبار كل الجالية اليهودية فى ريجنبورج Regensburg على اعتناق المسيحية ، وربما كان ذلك الجيش يتبع بطرس الناسك . عانت أيضا الجاليات اليهودية فى فسيل Wessili ، وبراج Prague من تعذيب المجموعات العسكرية التابعة لقوات فوكمار Folkmar .

وفى العادة تكونت تلك الجيوش من جماعات غير نظامية من الفلاحين بصفة عامة على ما يفترض ، على عكس جيوش الفرسان التى غادرت أوروبا فيما بعد فى السنة ذاتها . وفى الحقيقة ، مال المعاصرون فى تفسير تجاوزاتهم واخفقاتهم الى وجود أعداد كبيرة من الأفراد العاديين والفقراء والنساء والأطفال ضمن صفوف المقاتلين . ولا بد أن الأفواج الأولى من الصليبيين انضمت اليهم أعداد من غير المقاتلين تفوق الأعداد التى صاحبت الأفواج التالية من الصليبيين ، هذا بالإضافة الى تميز الأفواج الأولى بوجود عناصر أسامت بتصرفاتها وعناصر أخرى دخيلة ، لكنهم لم يكونوا غير محترفين ، ونحن لا نملك سوى النزر اليسير من المعلومات عن أتباع فوكمار Folkmar أو أتباع جوتشوك Gottschalk . وكان جيش ولتر المفلس كله تقريبا من المشاة . أما جيش بطرس الناسك فيعطى للمرء انطباعا بأنه جماعة مسلحة من الحجاج على النظام التقليدى القديم يضاف اليهم جماعة دينية قوية مسلحة . ووجد بطرس الناسك صعوبة فى السيطرة على قواته فى بلاد البلقان وفى

آسيا الصغرى ، غير أن سيرته الحربية الصليبية توضح أنه كان بعيدا كل البعد عن كونه مجرد زعيم غوغائى غير مؤهل للحرب . أما عن قادة جيش بطرس الناسك مثل جودفوى بوزيل التامبى Godfrey Burel of Etampes ، ورينولد البرويلى Raynald of Broys ، ولتيران البريتوى Wilteran of Breteuil ، وفولشر الشارتري Fulcher of Chartres ، فكانوا جميعا من الفرسان المتمرسين ، وبالنسبة الى فولشر فقد مات ، وهو صاحب اقطاع شهير فى اماره الرها . وبالإضافة الى ذلك انضم الى جيش بطرس جماعة مسلحة قوية من النبلاء السوابيين تحت قيادة الكونت بلاتين هيو التوبينجى Count Palatine Hugh of Tübingen والدوق ولتر التجكى Duke Walter of Teck . والقوة العسكرية التى تحت قيادة امتش لا يمكن اغفال أهميتها أيضا . وكان امتش نبىلا مشهورا فى جنوب ألمانيا . وكذلك كان الكونت هارتمان الدلنجنكيبورجى Count Hartmann of Dillingen Kybourg ومن المحتمل أنه كان معهم الكونت روتلن Rötlin ، وشفايبروكن Zweibrücken وسالم Salm ، وفيرنبرج السيد الاقطاعى بولاندن Bolanden . كما أن الجيش الصليبي المكون من الفرنسيين ، والانجليز ، والفلمنكيين ، واللموريين الذى قابل امتش عند ماينتس Mainz كان كبيرا ومزودا بالمعدات العسكرية ، وذلك وفقا لاحدى الروايات . وكان ذلك الجيش تحت قيادة مجموعة مشهورة من الرجال ، وهم : كليرمبولد الفندوى Clarembold of Vendeuil وتوماس المارلى Thomas of Marle ، ووليم النجار William the Carpenter .

وبغيرهم * وبعد ان تشتت شمل جيش امتش ، انضموا الى
هيو الفرماندولى ، شقيق ملك فرنسا ، ثم واصلوا رحلتهم
الى الشرق * وخاض كل من كليرميولد الفتدويى وتوماس
مارلى حروبا صليبية مشهورة * وبالنسبة لتوماس فقد كانت
حياته نابضة بالحياة والعنف قبل موته عندما كان «كونت» فى
أميان (★) Amiens سنة ١١٣٠م * وأما وليم النجار الذى كان
قد حارب فى اسبانيا من قبل ، فقد لاذ بالفرار مذعورا عند
انطاكية ثم استقر به المقام فى امارة انطاكية بعد ذلك.
كصاحب اقطاعية ، أما دوروجوالنيسلى Drogo of Nesle الذى
كان من أسرة فرنسية مشهورة فقد انضم الى يلدوين البولونى.
Baldwin of Boulogne وتبعه الى الرها ثم الى بيت المقدس *
ولا يمكن الأخذ بصحة رأى القائل بأن جماعات المزارعين
البسطاء تمكنوا من اضطهاد اليهود وتعرضوا لكارثة شنيعة
فى بلاد البلقان * ان تلك الجيوش ضمت جماعات من
الصليبيين من كل أنحاء غرب أوروبا تحت رئاسة قادة
متمرسين ، ويعرفون فنون الحرب *

ومن الواضح أن القلق بشأن المؤن والمواد الغذائية الذى
لازمهم كثيرا جعلهم يتصرفون بتهور فى بلاد البلقان ، على
الرغم من أن هذا القلق كان طبيعيا فى جيوش كانت كبيرة
العدد * وعندما دخلوا المجر Hungary كان معهم مال وفير،
غير أنهم بدءوا المسير مبكرا قبل جنى محصول الصيف الوافر
الذى استفاد منه من مر بعدهم من الصليبيين حيث وجدوا
كميات وافرة من الحنطة لتغطية حاجاتهم فى المراحل الأولى
من الرحلة ، كما أنهم تحركوا قبل أن تقوم الحكومة
البيزنطية باعداد الطريق لهم ، وخاصة أن بيزنطة لم تكن

(★) أميان : مدينة فى شمال فرنسا على نهر الصوم - (المترجم)

تتوقع قدوم القوات الغريبة في مثل هذا الوقت المبكر من السنة . والواقع أن تسلط فكرة الحصول على الأموال سيطرت على تفكيرهم وظهرت عند معاملتهم لليهود عندما غادروا غرب أوروبا . وعلى الرغم من أن معظم امثلة الجشع والبخل التي وردت في المصادر اليهودية ، والدالة على الاضطهادات تنسب الى الأساقفة ، وليس الى الصليبيين ، والى موظفي الأسقفيات والى سكان المدن الذين حصلوا على رشاو مقابل وعود حماية اليهود غير أنهم فشلوا في تنفيذ تلك الوعود ، فانه من المؤكد أن الصليبيين طالبوا بمبالغ مالية من الجاليات اليهودية ، وهم في طريقهم . وكان واضحا أن تلك الابتزازات تمت تحت تهديد السلاح . وعندما وصل بطرس الناسك الى تريير Trier في أوائل أبريل ، أحضر معه خطابا من يهود فرنسا يطالبون فيه اخوانهم في الدين في كل مكان بتقديم المواد الغذائية له ، ويقال انه في مقابل ذلك وعد بطرس بأن يتحدث بلطف وترحاب عن اسرائيل . غير أن وصوله الى تريير ومواعظة الدينية أرعبت الجاليات اليهودية ، كما أوحى بوجود نبرة معادية للسامية في مواعظه . وكان اليهود في ماينتس Mainz يأملون في تهدئة اميتش اللينينجي Emich of Leiningen ، وقدموا اليه خطابات مماثلة ، وكذلك الأموال ، ولكن دون جدوى . وربما أجاز الاعتقاد الخاطيء للقانون الكنسي مصادرة ممتلكات غير المسيحيين ، وكل متعلقاتهم ، ولذلك شارك الصليبيون السكان المحليين في سلب ونهب ممتلكات اليهود في المدن التي حدثت بها مذابح جماعية لليهود العزل ، أما في مدينة ماينتس فقد أعاق اليهود تقدم أجدائهم لفترة من الوقت وذلك

بالقيام الأموال لهم من النوافذ لتحويلهم عنهم . ولم يكن هناك شك لدى أحد المعاصرين الذين شاهدوا الحوادث التاريخية عن قرب في المذابح الجماعية التي راح ضحيتها الآمنون من اليهود أن الدافع اليها كان الطمع والجشع . وعلق على الكوارث التي حلت بالصليبيين بالبلقان قائلا : « وهناك اعتقاد بأن هذه هي ارادة الله التي شاعت الانتقام من الحجاج ، الذين ارتكبوا الذنوب والموبقات ، وانغمسوا في المعاصي ، ومضاجعة البغايا ، وقتل اليهود من أبناء السبيل ، وقد خالف هؤلاء الصليبيون تعاليم المسيح باعتراف الجميع وفاق حبههم للمال حبهم للعدل الالهي » .

ومع ذلك فعند حدوث المذابح التي راح ضحيتها الكثير من اليهود ظهرت أدلة على رغبة الصليبيين في اكراه اليهود على التنصر أكثر من الرغبة في سلب ونهب أموالهم . وجرت محاولات في كل مكان لفرض المسيحية على اليهود الذين كانوا قد علموا بأن الصليبيين قد عقدوا العزم على عرض الخيار على اليهود بين المسيحية أو الموت ، وأن الصليبيين يرغبون ، « في القضاء على اليهود حتى لا يصيروا أمة » . وقد أكد كاتب مسيحي على أن هدف الصليبيين كان «الابادة أو اعتناق المسيحية » . وتعرضت المعابد اليهودية ، والكتب المقدسة ، والمقابر اليهودية للدنس ، وانتهاك قدسيتها . ومن حين لآخر استخدم المسيحيون وسائل لاثارة الذعر : ففي أثناء الاضطهاد في موزر Mors بالقرب من كولونيا Cologne ، قاموا بتفطية سيوفهم بدماء الحيوانات لبث الرعب في قلوب اليهود ، وجعلهم يعتقدون أن عمليات القتل قد تمت بالفعل . وفي كل قرية تعرضت للاضطهاد

كان القتل مضير اليهود الذين رَفَضُوا اعتناق المسيحية .
وأصيب اليهود باليأس الشديد حتى انهم كانوا يقتلون
أنفسهم بأيديهم أو بأيدي أفراد من جالياتهم؛ حتى لا يتدنسوا
على أيدي المسيحيين . أما من استسلم من اليهود للمعمودية
فهم الذين كتبت لهم النجاة . وتحتوى السيرة الذاتية للأب
جيبير النوجنتى Abbot Guibert of Nogent على قضية راهب
مشقف بدأ حياته كغلام يهودى صغير فى روان Rouen . وأنقذ
حياته ابن كونت ايو Count of Eu حيث أخذه الى والدته
الكونتييسة هليزنده Countess Hellsende ، وسأله
اذا ما كان يرغب فى اعتناق المسيحية ، ولما كان الطفل فى
حالة من الذعر ، فقد تردد فى الاعتراض على دخول المسيحية
فقامت الكونتييسة بتنصيره على الفور ، ثم أطلقت عليه اسم
توليم وأرسلته للخدمة فى دير القديس جرميه بمقاطعة فلای
St Germer of Fly لمنعه من العودة الى والديه .

كانت عمليات الاكراه على اعتناق المسيحية تتعارض
يشكل مباشر مع القانون الكنسى ، كما أنه أمر لم يكن يقبله
رجال الكنيسة المثقفون . ولعدة قرون ساد المبدأ القائل
بعدم اكراه غير المسيحيين ، ولا سيما اليهود على اعتناق
المسيحية ، وانما يمكن اقناعهم بالحجة والمنطق فقط .
وكتب ألبرت الآخنى Albert of Aachen عن الاضطهادات التى
حدثت ١٠٩٦ م ، فيقول : « ان الله ديان عادل ، وقد أمر
سبحانه بعدم اجبار أى انسان على الدخول فى الايمان
الكاثوليكي دون ارادته » . وذكر كوزماس البراغى
Cosmas of Prague أسقف براغ : « أن الاجبار على التنصر
يتعارض مع القانون الكنسى ، وحاول دون جدوى منع ذلك

حتى لا يتنصر اليهود رغم أنوفهم » . وفي الحقيقة بذل معظم الأساقفة بعض الجهود لحماية اليهود ، فكانوا يأخذونهم إلى قصورهم المحصنة ، في مقاطعات سبيير Speyer ، وماينتس Mainz وكولونيا Cologne ، ويوزعونهم في سائر القرى التابعة لهم . وكان أسقف سبيير موفقا في ذلك ، إذ لم يتدخل في عقائد اليهود ، كما أنه اتخذ إجراءات مشددة ضد من يقومون بذلك من سكان المدن . اتخذ أسقف براغ Prague خطوة متشددة أيضا ولكنه لم يحقق نفس القدر من النجاح . وبدأ رئيس أساقفة ماينتس Mainz بداية طيبة ، بيد أنه ضعف في مواجهة الغوغاء ، ثم حاول استغلال مخاوف اليهود بالعمل على تنصيرهم ، كما فعل رئيس أساقفة تريير Trier . وجادل الكهنة أيضا من أصحاب الشخصيات القوية في ماينتس وزانتن Zanten الاستفادة من الوضع القائم وذلك باجتذاب اليهود وتنصيرهم ، ولكن هذا التنصير لم يكن يتم بالقوة .

وكان كبار رجال الدين المسيحي يوحون للمسيحيين بأنهم سيخوضون حربا من أجل تنصير غير المسيحيين . وبرغم أنه كان من الممكن وجود دعاة صليبيين شعبيين غير متحفزين - يلاحظ أن بطرس الناسك كان مولعا باستخدام الألفاظ الخطابية المثيرة وأن فكرة التوسع المسيحية كانت بلا ريب اتجاها سائدا - فان معظم المشاركين في الحرب الصليبية لم تكن نظرهم للحرب الصليبية على أنها حرب تبشيرية . ومع ذلك فهناك وجهتا نظر يمكن اكتشافهما عند قراءة المصادر ، ويقدمان تفسيراً للمذابح المنظمة التي راح ضحيتها عدد كبير من اليهود الأمنين .

وكانت وجهة النظر الأولى تتعلق بالصعوبة التي عانى منها الصليبيون عند محاولتهم التمييز بين اليهود والمسلمين باعتبارهم أعداء للايمان المسيحي . وفي فرنسا ورد القول بأنه : « ليس من العدل في شيء أن يسمح من يحملون السلاح ضد المتمردين ، وضد أعداء المسيح ، أن يتركوا أعداء المسيح يعيشون في بلادهم » . ففي مدينة روان Roulh بدأ الناس الذين دخلوا المدينة من أجل اعطاء العهد للمشاركة في الحملة الصليبية يقولون : « اننا نتمنى مهاجمة أعداء الله في الشرق ، من اليهود بمجرد أن تقع عيوننا عليهم بعد أن نجتاز القفار بحثا عنهم ، فهم أشد الناس عداوة لله » . وكان الغربيون يعتبرون اليهود أعداء للكنيسة بجميع أنحاء العالم المسيحي ، وربما دفع ذلك أحد الكتاب فيما بعد الى التعليق على موقف الصليبيين النورمان في جنوب ايطاليا بأنهم ، « اعتبروا اليهود والهراطقة والمسلمين جميعا أعداء الله ، ونظروا اليهم بقدر متساو من الكراهية الشديدة » .

وكانت وجهة النظر الثانية تتعلق بالالتزام بشن حرب انتقام . وكانت ثمة رغبة واضحة للانتقام من اليهود لأنهم صلبوا المسيح ، مما جعل أحد المعاصرين يقول بأن هذه الرغبة في الانتقام كانت السبب الرئيسي وراء قيام الحرب الصليبية . فالصليبيون في الجيش الفرنسي ، والانجليزى ، والفلمنكى Flemish ، واللورينيون الذى تقابلوا مع امش Emich في مدينة ماينتس Mainz ادعوا أن عمليات قتل اليهود كانت البداية لعملهم ضد أعداء الايمان المسيحي . وأعلق الصليبيون الألمان عن نيتهم في تطهير

الطريق الى بيت المقدس بالقضاء على اليهود فى بلاد الراين Rhineland ، وقال الكونت ديثمار Dithmar انه لن يغادر ألمانيا قبل أن يقتل يهوديا . وعرف اليهود أن المسيحيين يمتقدون بأن قتل اليهود يحقق الغفران للخطايا ، وعرفوا أيضا أن اخوانهم فى الدين فى أماكن أخرى تعرضوا للقتل باسم المسيح . وربما ظلت مشاعر الانتقام مترسبة فى الأعماق حتى نهاية الحرب الصليبية ، غير أننا سنرى أن اليهود فى فلسطين لم يلقوا نفس المعاملة القاسية التى تعرض لها اخوانهم فى أوروبا . وفى ذلك الحين كان الصليبيون فى فلسطين أقلية غريبة ، كما أن مشاعر الحقد والعداء التى كان يكنها الصليبيون تجاه اليهود بدأت تتلاشى بعد أن تسرب الخوف الى قلوب الصليبيين اثر ازدياد قوة المسلمين . ويقال ان تنكره Tancred افتدى اليهود ، بعد أن دفع ثلاثين قطعة من الفضة عن كل يهودى .

ومن الواضح أنه فيما يتعلق بالانتقام ، لم يفرق عدد كبير من الصليبيين بين المسلمين واليهود ، وإذا كانوا قد حملوا السلاح ضد المسلمين ، فما الذى كان يمنعهم من اضطهاد اليهود . وإذا كان عليهم أن ينتقموا للأذى الذى لحق بالمسيح واحتلال أرضه لمدة أربعة قرون ونصف ، فلماذا لا ينتقمون أيضا ممن صلبوا المسيح ، بعد أن ألحقوا به الخزي والأسى ؟ وذكر اليهود من أهالى فرنسا أن الصليبيين قالوا : « اننا نذهب الى بلد بعيد لنحارب ملوكا أقوياء ، ونعرض حياتنا للخطر لنغزو ممالك لا تؤمن بالمسيح فى حين أن اليهود هم الذين قتلوه وصلبوه » . والواقع أن صلب المسيح واحتلال المسلمين فلسطين ، قد اختلط فى عقول

الإبليبيين * ويصور مشهد غير عادى هو أنشودة انطاكية Chanson d'Antioche - وهى من أشهر الملاحم العامية التى عرفتها الحملة الصليبية الأولى - يصور المسيح معلقا على الصليب بين لصين * وقال اللص الصالح : « انه لمن العدل أن ننتقم لك من هؤلاء الخونة اليهود الذين عذبوك كثيرا » وعندما سمعه الرب استدار اليه قائلا : « يا صديقى ان الشعب الذى سينتقم لى بالحراب الفولاذية لم يولد بعد * وهم سيقتلون الوثنيين غير المؤمنين الذين رفضوا وصاياى دائما *

ان المسيحية المقدسة ستتشرف بهم وستتحرر الأرض على أيديهم » وبعد مرور ألف عام من الآن سيتم تعميدهم وسيستردون القبر المقدس ويتعبدون واعلم علم اليقين أنه عبر البحر سيأتى شعب جديد لينتقم لموت أبيه » *

ويقال ان هذا المشهد أضيف الى الأنشودة حوالى ١١٨٠م على يد الشاعر جريندور الدواياوى Graindor of Douai الذى واصل الكتابة عن تدمير بيت المقدس على أيدي الرومان كاجراء مبكر انتقاما لصلب المسيح ، وهى فكرة تكرر ذكرها فى أسطورة القرن الثامن الميلادى التى تمت الإشارة اليها فى منشور بابوى ، كنموذج للدعاية للحرب الصليبية ، ويبدو أن هذه الفكرة انطلقت من دير مواساك Moissac فى جنوب فرنسا ، وهى التى اندمجت فى قصيدة الانتقام

لسيدنا ومخلصنا La Venjence Nostre Seigneur . في القرن
الثاني عشر ، غير أن الفكرة القائلة بأن المسيح نفسه دعا
للانتقام كانت بالتأكيد منتشرة أيام الحرب الصليبية الأولى ؛
لأن أحد الكتاب اليهود ذكر أن الصليبيين قالوا لليهود :
« انكم أبناء الذين قتلوا موضع تبجيلنا وتوقيرنا ، ومن
علقوه على خشبة الصليب ، وأنه قال بنفسه : « سيأتي اليوم
الذي ينتقم فيه آبائي لدمي » . « اننا أطفاله ولذلك فنحن
نملزمون بالانتقام له طالما أنتم أبناء الذين ثاروا ضده ولم
يؤمنوا به » .

وكان لدى الكنيسة رد على هذا الانحراف عن رسالتها،
بيد أنه لم يكن كافياً للتعامل مع القوى التي انطلقت بفعل
الدعوة للحركة الصليبية التي قادتها الكنيسة نفسها . ومنذ
سنة ١٠٦٣ م ، ومنذ التخطيط للتقدم صوب مدينة بويشترو
Barbastro في إسبانيا ، اضطر البابا اسكندر الثاني
إلى الكتابة للأساقفة الأسبان يحذروهم من الاعتماد على
اليهود :

« ان أسباب استخدام العنف ضد اليهود والمسلمين كانت
متباينة ، لأنه كان من العدل أن يقاتل المرء أولئك الذين
يضطهدون المسيحيين ، والذين يطردونهم من مدنهم ومن
أسقفياتهم . في حين أن اليهود كانوا على استعداد لخدمة
المسيحيين في كل مكان » .

وفي وقت الحملة الصليبية الأولى وضع هذا الخطاب
ضمن المجموعة القانونية الكنسية المعروفة باسم

Ivo of Chartres ، ثم فى مجموعة Gratian's Decretum ، وهى مجموعة قانونية ذات قيمة معترف بها ، وتطورت رسالتها على أيدى رجال القانون الكنسى فيما بعد . وكان البابا اسكندر الثانى يؤكد على أن استخدام القوة لمواجهة الأضرار الموجودة بالفعل أمر جائز . وقد تمثلت هذه الأضرار فى العدوان العسكرى ، واحتلال أراضى المسيحيين والاستيلاء على ممتلكاتهم أو الثورة ضد المسيحيين . أما اليهود فلم يكن يصدر منهم أى أذى فى ذلك الحين . وبالإضافة الى ذلك فان الأفعال السالفة تتناسب مع النتائج المترتبة على الأذى ، وقد أحدث المسلمون الأذى لأنهم احتلوا بيت المقدس عام ٦٣٨ م . غير أنه فى غمرة تلهفهم على إثارة حماس المسيحيين للقيام بعمل كان فى الأصل عملا اختياريًا - لا يخضع لمطالب الخدمة الاقطاعية أو السخرة الاقطاعية - كان الداعون للحرب الصليبية مستعدين للاستفادة من فكرة الانتقام التى كانوا يعرفون أنها ستكون عاملا على جذب المستمعين اليهم .

الفصل الثالث

الأحوال ابان الزحف الصليبي

بدأت الموجة الثانية مع الصليبيين مغادرة غرب أوربا
فى منتصف أغسطس ١٠٩٦م فى الموعد الذى حدده البابا
أو بعده . وسافروا فى مجموعات تحت قيادة كبار الشخصيات ،
وتجمع الأمراء الأقل مكانة والفرسان تحت امرة تلك
الشخصيات الكبيرة فى ذلك الحين . وضمت تلك المجموعات هيو
الفرماندى Hugh of Vermandois شقيق ملك فرنسا ، وجودفري
البويونى دوق اللورين الأدنى Godfrey of Bouillon, duke of
Lower Lorraine وبوهيموند التارانتوى Bohemond of Taranto
كذلك ريموند السانت جيل Raymond of St Gilles كونت تولوز
الذى شارك فى قيادة أكبر الجيوش وممثل الأسقف أدھيمار
Adhèmar روبرت كونت اقليم الفلاندر Count Robert of Flanders
وروبرت دوق نورماندى Duke Robert of Normandy
وستيفن كونت بلوا Count Stephen of Blois . وفيما بين
نوفمبر ١٠٩٦م ، ومايو ١٠٩٧م توافدت تلك الشخصيات
المهمة على القسطنطينية ، حيث تم اقناعهم بأن يصبحوا

الحملة الصليبية الاولى

أتباعاً Vassals للامبراطور البيزنطى الكسئوس Alexius ووافقوا على أن يصبحوا أتباعاً للامبراطور فيما عدا ريموند السانت جيلى، الذى لم يوافق على أن يصبح تابعاً للامبراطور الا بشروط معينة ، ووعدوا باعادة كل الأراضى التى يستولون عليها للامبراطور ، والتى كانت تابعة للامبراطور من قبل . ومنذ أبريل ١٠٩٧م كانت السفن تقوم بنقلهم عبر بوغاز البسفور الى الشاطيء الأسيوى . وفى أوائل يونيو توحدوا وضموا صفوفهم فى جيش واحد أمام مدينة نيقية Nicaea . وفى التاسع عشر من يونيو ، سلموا القيادة العليا للقوات اليونانية التى رافقتهم . وفى السادس والعشرين من يونيو ١٠٩٧م بدءوا فى الزحف عبر آسيا الصغرى . وفى أول يوليو من السنة نفسها أحرزوا نصراً حاسماً على الأتراك السلاجقة فى موقعة أرضروم . وبعد أن استراحوا لمدة يومين ، اتجهوا صوب آقشهر Akshehir ، وقونييه Konya ، ثم اريجلي Ereghli ، وهناك هزموا جيشاً تركيا هزيمة منكرة ، عند محاولته اعتراض سبيلهم ، وذلك فى حوالى العاشر من سبتمبر ١٠٩٧م . وفى ذلك الحين انفصل تنكره Tancred ، وولدوين البولونى Baldwin of Boulogne شقيق جودفرى البويونى Godfrey of Bouillon ، عن الجيش الرئيسى ، للاغارة على قيليقية Cilicia والاستيلاء على طرسوس Tarsus ، وأدنه Adana ، ومصيص Misis والاسكندرونة Iskenderun ، ثم ذهب بولدوين تجاه الشرق صوب غازى عينتاب Gaziantep وتل ياشر Tilbeshar والرها Edessa التى وصلها فى العشرين من فبراير

الأحوال، إبان الزحف الصليبي

١٠٩٨ م . وبعد أن كانت الرها تابعة لأمير أرمني، من قبل، سيطر بولدوين عليها كلية في العاشر من مارس ١٠٩٨ م ، وأقام بها أول إمارة صليبية . وفي الوقت نفسه ، انضم تنكرد مرة ثانية للحملة الصليبية التي كانت قد تقدمت في طريق قيسارية ، وكومانا Comana ، وجوكسون Goksun ، ومرعش ، إلى أنطاكية حيث وصلت الحملة الصليبية في الحادي والعشرين من أكتوبر ١٠٩٧ م .

وقدر لحصار أنطاكية أن يستمر حتى الثالث من يونيو ١٠٩٨ م . ولم تمض سوى أربعة أيام على احتلال الصليبيين لمدينة أنطاكية ، حتى حاصروهم جيش كبير من المسلمين أتى لنجدة المدينة بقيادة كربوغا حاكم الموصل التركي . وكان موقف الصليبيين حرجا جدا . كان الامبراطور الكسيوس على رأس قوة يونانية لنجدة الصليبيين ، ولكنه اضطر إلى التقهقر ، بعد أن كان قد وصل إلى مدينة أقشهر Akshehir ، عندما نقل إليه الفارون من المعركة أنباء ميالغا فيها عن الكارثة التي لحقت ببقية الصليبيين . وفي أنطاكية تشجع الصليبيون ، واشتدت عزيمتهم عندما تناقلوا فيما بينهم أنباء ظهور المسيح ، والعذراء مريم ، والقديس بطرس ، والقديس أندرو St Andrew . وفي الثامن والعشرين من يونيو ، تمكن الصليبيون من شن هجوم مفاجئ وناجح على المسلمين الذين كانوا يحاصرونهم وأجبروهم على الفرار في معركة من أشهر المعارك الصليبية الفاصلة في الحرب الصليبية ، ولا سيما بعد أن كان قد دب الأمل في نفوس الصليبيين عندما اكتشفوا قطعة أثرية تحت أرضية

الكاتدرائية ، واعتقدوا أنها بقايا الحربة المقدسة التي طعن بها المسيح وهو على خشبة الصليب ، فتحمسوا جميعا لخوض تلك المعركة . أما قلعة مدينة أنطاكية فاستسلمت للصليبيين في ذلك الحين ، وادعى بوهيموند Bohemond أحقيته في امتلاك القلعة نظرا لأن الامبراطور البيزنطى أضاع حقه في مدينة أنطاكية لأنه تخلى عنهم أثناء حصارهم . وقرر الصليبيون أن يأخذوا قسطا من الراحة حتى أول نوفمبر ليستأنفوا زحفهم ولكن سرعان ما اعتراهم الفطور والملل . وفقد الصليبيون أدهيمار عندما انتشرت الأوبئة والأمراض مثل مرض التيفويد ؛ مما أدى الى تشتت شمل الشخصيات القيادية للصليبيين ، فقد كان أدهيمار فى كثير من الوجوه القائد الأوحى الذى كان يحظى باحترام وتقدير الجميع . وأصبحت الحملة بالشلل لأن الأمراء الآخرين ، وخاصة بوهيموند وريموند - اللذين كانا يتحدثان عن حقوق الامبراطور البيزنطى - تنازعا بشأن امتلاك أنطاكية وكذلك الخطط المستقبلية . وأخيرا أخذ الصليبيون العاديون يزمام المبادرة بعد أن أصابهم الاستياء نتيجة لتصرفات قادتهم التى عطلت المهمة التى خرجوا من أجلها ، ودمروا تحصينات معرة النعمان التى صارت قاعدة ريموند فى سوريا ، وهددوا بالقيام بثورة فى أنطاكية . وفى الثالث عشر من يناير ١٠٩٩م غادر ريموند معرة النعمان ، وتبعه روبرت النورماندى وتنكرد ، وفى أواخر فبراير تبعه كل من جودفرى البويونى ، وروبرت الفلاندرى ، وظل بوهيموند فى أنطاكية لحمايتها . وتجمع الصليبيون أمام عرقة Arqa في لبنان قبل نهاية مارس ١٠٩٩م . بعد

الأحوال ابلن الزحف الصليبي

إن تخلوا عن الحصار فى الثالث عشر من مايو وعبروا نهر الكلب شمالى بيروت بعد ذلك بستة أيام ، وزحفوا بسرعة عن طريق صور ، وتقدموا فى عمق الأراضى شمالى يافا حتى وصلوا الرملة فى الثالث من يونيو ١٠٩٩ م . وفى اليوم السابع كانوا أمام أسوار بيت المقدس . وكانت بيت لحم قد سقطت بالفعل فى يد تنكرد . واستمر حصار الصليبيين لبيت المقدس حتى الخامس عشر من يوليو وأخيرا تمكنوا من مهاجمتها والاستيلاء عليها ونهب خيراتها . وفى الثانى والعشرين من يوليو ١٠٩٩ م تم اختييار جودفرى حاكما للمدينة . وكانت مهمته الأولى تتمثل فى تنظيم الدفاع عن المستعمرة الجديدة ضد الهجوم المصرى المضاد . وفى الثانى عشر من أغسطس ١٠٩٩ م هاجم الصليبيون جيشا مصريا كبيرا على غرة ، وقضوا عليه بالقرب من عسقلان وبذلك تمكن الصليبيون من فرض سيطرتهم على فلسطين .

هذا عرض موجز للحوادث التاريخية التى وقعت آنذاك . ومن حسن الحظ أن لدينا الكثير من الأدلة التى قدمها لنا المعاصرون والتى تدل على وقوع هذه الحوادث التاريخية ، وقد شارك بعض أولئك المعاصرين فى صنتع تلك الحوادث التاريخية . ويوجد عدد قليل من الموثائق الأوربية الغربية التى تضمنت الأمنيات الأخيرة للصليبيين الذين ماتوا أثناء الزحف . ويوجد تسعة خطابات متصلة كتبها الصليبيون لذويهم أو كتبها أقاربهم لهم . والخطاب الأول يعود تاريخه الى الرابع والعشرين من يونيو ١٠٩٧ م بعد سقوط نيقية . وخمسة خطابات أخرى يعود تاريخها الى أكتوبر ١٠٩٧ م حتى أبريل ١٠٩٨ م أثناء حصار

أنطاكية • وحمل أحد الخطابات تاريخ يوليو ١٠٩٨ م ، عقب معركة أنطاكية ، بوقت قصير ، وتمت كتابة الخطاب الآخر في سبتمبر التالي بعد موت أدهيمار • ومن ثم فهناك فترة انقطاع مدتها عام قبل الخطاب الأخير الذي كتبه رئيس الأساقفة دايمبرت البيزاوى Daimbert of Pisa فى اللاذقية فى سوريا ، وكان فى طريقه الى بيت المقدس ، وريموند السانت جيلي Raymond of St. Gilles ، الذى غادر فلسطين فى ذلك الحين • وعلى الرغم من أن رجال الدين هم الذين كتبوا كل تلك الرسائل فإن غالبيتها أملاها رجال من العامة ، فعلى سبيل المثال ، كتب ستيفن البلوئى Stephen of Blois — وهو أحد الأمراء — رسالتين ، كما كتب أنسيلم الريبمونى Anselm of Ribemont — أحد الشخصيات اللامعة — رسالتين أخريين • ويمكن اضافة رسالة أخرى الى تلك الخطابات أرسلت من مدينة لوقا Lucca فى أكتوبر ١٠٩٨ م ، تضمنت وصفا للحوادث التاريخية فى أنطاكية خلال ربيع وصيف عام ١٠٩٨ م • وقام أحد مواطنى أنطاكية بكتابة تلك الرسالة بمجرد عودته الى موطنه • وهناك أيضا أربعة مصادر وصفية لشهود عيان بينها ترابط واضح ، لا سيما المصدر الأول والثانى وهى : أعمال الفرنجة Gesta Francorum لمؤلف مجهول وتاريخ بطرس تودبود Peter Tudebode وريموند الأجوليرى Raymond of Aguilers وفولشر الشارترى Fulcher of Chartres • على أن علاقات المصادر بعضها ببعض كانت مبعث حيرة بالغة للعلماء والدارسين ، ثم تمت إعادة بحث الموضوع مؤخرا على نحو

الاحوال ايبان الزحف الصليبي

دفع الى الشك فى الراى السائد بأن الكتب التسعة الأولى من كتاب الأعمال The Gesta تمت كتابتها قبل نوفمبر ١٠٩٨ م ، اiban وجود تلك الأعمال فى أنطاكية ، والذي كان كاتبها على ما يبدو فارسا ، نورمانديا من جنوب ايطاليا ، ولكن هذا الأمر لا يعنيننا كثيرا ، لأننا نادرا ما نعتمد على الروايات التى يدلى بها الأفراد للوقوف على جلية الأمر ، أو معرفة الراى الصائب .

وما يعنيننا هو أن لدينا كتابات تاريخية شارك العلمانيون بنصيب وافر فى اعدادها ، فمثلا كان كل من كاتب الأعمال The Gesta ، وكذلك كاتب سيرة تاريخ ريموند الأجوليرى من الفرسان الذين مروا بتجربة الحرب الصليبية ، وسجلوها فى وقت قريب منها ، فمؤلف الأعمال انتهى منها قبل ١١٠٤ م أو ربما قبل ذلك بوقت كبير ، وانتهى كاتب سيرة كل من فولشر الشارتري ، وريموند الأجوليرى من كتابتهما قبل عام ١١٠٥ م ، كما انتهى كاتب سيرة بطرس التودبورى من كتابتها عام ١١١١ م . على أن أهمية أولئك الكتاب ، باعتبارهم شهود عيان للوقائع التى حدثت آنذاك ، انما ترجع الى أنهم كانوا ينتمون الى عدة قادة مختلفين ، فمؤلف الأعمال كان تابعا لبوهيموند ثم صار تابعا لريموند بيليه Raymond Pilet ، وكذلك كان ريموند الأجوليرى ينتمى الى صحبة ريموند السانت جيلى . وكان فولشر الشارتري ضمن الحاشية المقربة من ستيفن البلوى Stephen of Blois ، ثم بلدوين البولونى Baldwin of Boulogne . ونحن لسنا فى حاجة الى أن نذكر أنفسنا بأن أولئك الكتاب كانوا يفسرون الحوادث التاريخية

المهمة ويدونونها ، لذا فهم لا يقدمون لنا روايات صادقة عن أنشطة الحروب الصليبية فحسب ، بل يقدمون لنا تجاربهم وخبراتهم عن هذه الحروب .

وكان المعاصرون يجمعون الآراء على أن الحرب الصليبية عمل مجيد وشاق ، وأنها كانت تجربة مريرة ومؤلمة فهي تجربة لا نظير لها . إذ لم يحدث من قبل أن قام أمراء علمانيون بتكبد المعاناة والآلام البالغة لمجرد حصولهم على الجزاء الديني المنتظر . وليس من الصعب أن يفهم الإنسان الواقع الذي دفعهم إلى ذلك ، إذا أخذنا في اعتبارنا البنية العسكرية التي كان يتكون منها الجيش ، والطريق الذي سلكه هذا الجيش . ومن الصعب تقدير عدد هذا الجيش حتى بعد تجمعه في مدينة نيقية ، فقد اشتمل على كثير من غير المحاربين ، ولم يكن عدده ثابتا . وتكبد الصليبيون خسائر فادحة في آسيا الصغرى وأنطاكية . وكان هناك سيل متدفق من الهاربين من ميادين القتال من الصليبيين في الوقت الذي كانت هناك حركة تدفق مضادة من أوروبا إلى الشرق على امتداد طريق الحروب الصليبية ، وبذلك انضم المحاربون الجدد إلى صفوف المقاتلين . ولنا أن

نقدم ثلاثة أمثلة ، فالفارس هامو اللاهوني Hamo of La Hune لم يغادر فرنسا حتى عيد الميلاد ١٠٩٦ م . وفي يونيو ١٠٩٨ م وعندما سمع الامبراطور البيزنطي التقرير الخاطيء الذي يبعث على التشاؤم عن الأحوال في أنطاكية ، قرر الانسحاب من آقشهر Akshehir إلى القسطنطينية ، وكان في صحبته عدد كبير من الصليبيين الذين كانوا قد انضموا إلى

الأحوال إبان الزحف الصليبي

جيشه الذى قد تحرك لانقاذ المدينة المحاصرة ، غير أن معظمهم لم يتمكن من أن ينفذ خطة الانسحاب التى وضعها الامبراطور وماتوا فى الطريق ، غير أن اثنين من أقارب بوهيموند قررا الذهاب الى أنطاكية للبحث عن جثمان بوهيموند ودفنه بطريقة لائقة . ثم ركبا سفينة من قبرص حتى وصلا السويدية ، وهى ميناء أنطاكية ، حيث قابلا هناك خمسمائة صليبي فرنسي بكامل أسلحتهم كانوا قد وصلوا منذ وقت قصير . وظل الصليبيون يتدفقون على فلسطين فى الوقت الذى كان يغادر فيه فلسطين من تمكنوا من الاستيلاء على بيت المقدس فى خريف ١٠٩٩م والعودة الى بلادهم . ومع ذلك يجب علينا أن نجرى نوعا ما من تقدير القوة العسكرية للصليبيين . ويقال ان الجيش فى نيقية Nicaea فى يونيو ١٠٩٧ م ، يتكون من ٤٢٠٠ - ٤٥٠٠ من الفرسان وثلاثين ألفا من المشاة . وذكر ريموند الأجویری Raymond of Aguilers قسيس ريموند السانت جيلى ، أن حجم الجيش الذى حاصر بيت المقدس فى يوليو ١٠٩٩م بلغ اثنى عشر ألف مقاتل منهم ما بين ١٢٠٠ - ١٣٠٠ فارس ، واشتملت تلك الأرقام على حملة الأسلحة والمعدات الحربية من الفقراء كما كان هناك عدد من المدنيين الذين كانوا قادرين على أداء أعمال نافعة كثيرة . وإذا ما أضفنا خمسة وعشرين فى المائة الى الأعداد المذكورة آنفا ، فسنصل الى أرقام ٤٣٠٠٠ للجيش الذى حاصر نيقية فى يونيو ١٠٩٧م ، و ١٥٠٠٠ للجيش الذى ضرب حصارا حول بيت المقدس بعد ذلك بعامين . والرقم الأول من الممكن أن يكون أقل قليلا ، غير أن الرقم الثانى من الممكن تصديقه . على أن كل ذلك لا يزيد عن مجرد تخمينات .

ومع ذلك فمن المؤكد أن أعدادا كبيرة من الرجال والنساء بدعوا المسير من غرب أوروبا الى فلسطين بدون وجود تخطيط أو تنظيم سليم لتدبير المواد التموينية ، وليس مدهشا أن المؤن والحيوانات - الخيول ودواب الحمل - كانت تشغل أفكارهم من الفجر حتى الغسق . ولكي يطعموا أنفسهم وحيواناتهم ويتزودوا بالحيوانات الجديدة ، قاموا بالاعتماد على ثلاثة مصادر للزاد والامداد . أولا ، من الهدايا والمنح التي قدمها لهم المسيحيون الذين اجتاز الصليبيون أقاليمهم ، ثم من الحكام المسلمين الذين انتابتهم حالة من الذعر وذلك في مراحل لاحقة . ثانيا بالاغارة على المناطق الريفية القريبة منهم . ثالثا ، وأثناء عبورهم للأراضي البيزنطية قدم اليونانيون لهم المواد الغذائية . وعندما كان الصليبيون في سوريا ، قدم اليهم الأرمن والسوريون والتجار الفرييون كل مساعدة من المواد الغذائية وغيرها . وبالطبع ، كان الصليبيون على غير اتصال بالذين يمدونهم من المسيحيين وعلى أية حال كان عليهم أن يدفعوا ثمن المؤن التي كانوا يحصلون عليها وكانت الأسعار مرتفعة . وكانوا في حاجة الى المال ، لذلك كانت الحاجة الى المال عاملا اضافيا لممارسة عمليات السلب والنهب في المناطق الريفية المحيطة بهم وتجريد كل من يقع في قبضتهم مما يملك سواء أكان جيشا منهزما أم مدينة أم قلعة ، وشاعت تلك الفكرة بين صفوفهم منذ معركة أدرزوم Dorylaeum ، « اليوم سنصبح كلنا أغنياء بمشيئة الله » . وربما كان هذا تعبيرا عن حالة الخوف والقلق . وصارت عمليات السلب والنهب من الأمور العادية الضرورية التي شغلت اهتمامهم ، وهذا يفسر

لنا المنازعات التي قامت بينهم بسبب الغنائم ، وقلق قادة الحملة الصليبية خشية أن ينشغل الجميع بالغنائم في المعركة ، كما حدث في المذبحة البشرية وعمليات النهب التي وقعت عشية سقوط بيت المقدس في أيديهم * والواقع أنها أصبحت رد فعل طبيعي لرجال عاشوا لمدة ثلاث سنوات في عالمهم الخاص بهم ، وقد وضعوا سياجا حول أنفسهم وعاشوا في عالمهم المنعزل والمملوء بالمعاناة حيث صارت عملية الحصول على الزاد مسألة تشغل في المقام الأول تفكيرهم ، مهما كانت وسيلة الحصول عليه *

وبالنسبة للاحتياجات للمواد الغذائية ، فيمكن تقسيم سير الحملة الصليبية الى ثلاث مراحل * وتمتد المرحلة الأولى من غرب أوروبا الى نيقية * فالصليبيون الذين بدءوا مسيرهم في خريف ١٠٩٦م استفادوا من المحصول الوافر في وطنهم ، وكان يعنى ذلك أن لديهم خبزا بكثرة في بداية الأمر ، على الرغم من أن قادتهم قد انتابهم قلق لحاجتهم للمال ، كما يتضح لنا أن جودفري البويوني حصل على اعانات مالية عنوة من الجاليات اليهودية في ماينتس Mainz ، وكولونيا Cologne * واستفادوا أيضا من الدروس التي تعلموها من مرور الجيوش التي سبقتهم عبر بلاد البلقان * ويبدو أن قادة الجيوش التي مرت بعد ذلك أصدرت تعليمات مشددة لعدم اللجوء الى عمليات السلب والنهب * وكانوا يقومون بشراء المواد التموينية وفقا لموقفهم المالي ، واضطروا الى ممارسة عمليات السلب والنهب حينما أخفقت الترتيبات التي اتخذوها ، وهذا ان دل على شيء ، فانما يدل على قلقهم ازاء توافر المؤن * وقدم

اليونانيون الى الصليبيين المواد الغذائية عندما كانوا يعبرون
يوغاز البسفور حين عانوا من نقص شديد فى المواد الغذائية
لفترة من الوقت ، فى مايو ١٠٩٧ م ، وعالج بوهيموند هذا
الموقف بهمة ونشاط . ويبدو أن الصليبيين الفقراء حصلوا
على الطعام دون مقابل عندما كانوا أمام مدينة نيقية ، غير
أنه من الواضح أن كل المواد التموينية كان لابد من دفع
ثمنها ، ولابد أن هذا قد استنزف معظم المنحة المالية السخية
التي قدمها الامبراطور ألكسيوس Alexius الى القادة ،
والى الفقراء عندما كانوا فى القسطنطينية بعد سقوط
نيقية ، على الرغم من أن الصليبيين وجدوا أن هبات الكسيوس
ما كانت لتساوى مع ما كانوا سيحصلون عليه لو أنه سمح
لهم بنهب مدينة نيقية ، كما أنه أهدى الجياد للقادة
الصليبيين ، فرحبوا بتلك الهدايا ترحيبا كبيرا .

واستمرت المرحلة الثانية للحملة الصليبية لمدة عامين
تقريبا منذ مغادرة نيقية فى الفترة ما بين ٢٦ ، ٢٩ يونيو
١٠٩٧ م الى حدوث التجمع أمام الرقة فى منتصف مارس
١٠٩٩ م . وتتميز تلك الفترة بالمعاناة والحرمان . وتقدم
الصليبيون من نيقية عبر آسيا الصغرى مبتعدين عن مناطق
الحصول على الامدادات التموينية . وكانت المطايا ودواب
الحمل أساسية بالنسبة لهم جميعا ، وكان أمرا طبيعيا أن
يهتم الفرسان بالخيول التى تحفظ لهم مكانتهم الرفيعة ،
وتمكنهم من أداء المهام الملقاة على عاتقهم . ومنذ حلول
الأول من يوليو ١٠٩٧ م كانوا قلقين على جيادهم المعدة
للقتال لأنها منهكة وجائعة . وفى الشهر التالى كانت
جيادهم ودوابهم تتساقط كالذباب أثناء عبورهم المناطق

القاحلة بوسط الأناضول . وفقد كثير من الفرسان دوابهم ، وامتنطى البعض الثيران واستخدموا الماعز والغنم بل والكلاب كدواب للحمل . وعندما وصلوا الى أنطاكية ، كان هناك نقص حاد فى الخيول وتحول الموقف من سيئ الى أسوأ . وعند بداية حصار أنطاكية فى شهرى أكتوبر ونوفمبر ١٠٩٧م بلغ عدد الجياد المتبقية ما بين ٧٠٠ ، ١٠٠٠ ، ولم يكن تحت يد كل من ريموند السانت جيلى وأدهيمار سوى مائة حصان فقط . وبدأت كفاءة الصليبيين تصاب بالضعف نظرا لأن قلقهم على خيولهم جعلهم يحجمون عن تعريضها للمخاطر أثناء المعارك . وقام كل من ريموند وأدهيمار بإنشاء جمعية خيرية لها خزانة عامة وأودعوا بها خمسمائة مارك من الفضة لتزويد فرسانهم بالمال ليتمكنوا من شراء مطايا بدلا من التى فقدوها . ومن الواضح أن هذا الاجراء كان ناجحا إذ كان ريموند قادرا على تزويد القادة الآخرين بالخيول فى مناسبات ثلاث لاحقة . وبحلول شهر يونيو ١٠٩٨م ، كان عدد الخيول فى الجيش الصليبي كله قد انخفض الى ما بين مائة الى مائتين ، كما أن حالة الضعف التى انتابت تلك الخيول أثارت القلق أثناء معركة أنطاكية ، ولذلك قدموا كمية اضافية من الأعلاف لتلك الخيول بناء على أوامر ادهيمار . وكانت الغالبية العظمى من الخيول الباقية قد ماتت من شدة البرودة والجوع ، والبعض الآخر من تلك الخيول ذبحها الصليبيون وأكلوها على الرغم من أن كثيرا من الصليبيين رفضوا ذبح خيولهم واكتفوا بسد حاجتهم الشديدة للطعام بأن فصدوا خيولهم وشربوا من دمائها . واضطر كثير من الفرسان ومن بينهم شخصيات مشهورة الى

الذهاب للمعركة سيرا على الأقدام أو امتطوا الحمير أو البغال
بل ان جودفرى البويونى Godfrey of Bouillon ، وروبرت
الفلاندرى Robert of Flanders أجبرتهما الظروف على
استجداء الخيول قبل معركة أنطاكية . واستبد القلق من
ندرة الجياد يعقول الصليبيين . وظهر هذا القلق بصورة
جليّة حين كان الصليبيون يقومون بغاراتهم على المدن .
وخسر الصليبيون احدى المناورات الخريية خارج مدينة
أنطاكية لأن فريقا من الفرسان ترك ساحة القتال ليطارد
أحد الجياد الفارة ويمسك به . وصار الرجال يتفأخرون
بخيولهم وكانت الهدايا من تلك الخيول مناسبة جديرة
بالتسجيل ، وكانت تعكس مقدار ما يتمتع به صاحبها من
مكانة مرموقة . وظلت الحملة الصليبية فى حاجة ماسة الى
الخيول حتى نهاية عامى ١٠٩٨ ، ١٠٩٩ م .

وأثناء الزحف عبر آسيا الصغرى داهمهم الجوع فى
أراض قاحلة أمام مدينة قونية Konya ، وأثر ذلك الجوع
بشدة على القوة العسكرية التابعة لبولدين البولونى
Baldwin of Boulogne التى كانت تتقدم عبر منطقة
صغيرة من الأرض البور وهى فى طريقها الى قيليقية
Cilicia ، غير أن الصليبيين وصلوا أنطاكية فى أواخر
أكتوبر ١٠٩٧ م ، وهم فى حالة جيدة نوعا ما . وفى بداية
الأمـر وجدوا كميات وافرة من المواد الغذائية فى الاقليم ،
وأضافوها الى ما عندهم من مؤن ، ويرجع الفضل فى ذلك الى
أسطول من جنوة كان قد دخل ميناء السويدية فى منتصف
نوفمبر . ومع ذلك فما كان يمكن لجماعة من الرجال

والنساء بلغ تعدادها حوالى أربعين ألفا أن تظل مقيمة فى مكان واحد لفترة طويلة من الوقت دون أن تشعر بتناقض المواد الغذائية . فلم تكن المواد الغذائية القادمة بحرا تأتي بصورة مستمرة ، كما أن الطريق البرى بين السويدية وأنطاكية والذى بلغ طوله حوالى عشرين ميلا كان غير آمن . وكانت المنطقة الريفية حول أنطاكية عبارة عن شريط من الأرض الجرداء أو أنها كانت تبدو كذلك . وأخفى السكان المحليون ما تبقى من السلع والبضائع ، على الرغم من أن المسلمين كانوا قادرين على تهريب المواد التموينية الكافية للمدافعين عن المدينة . وشح الطعام فى المعسكرات المسيحية قبل حلول عيد الميلاد، مما دفع بوهيموند وروبرت الفلاندرى الى الاغارة على المدن المجاورة ، ولكنهما لم يظفرا بشيء فى الواقع . والواقع أن الاغارة على المدن المجاورة أصبحت بلا جدوى ، وكان الصليبيون مجبرين على البحث عن الطعام فى الأماكن النائية ، فكانوا يتجولون فى جماعات مهمتها سلب ونهب الطعام . وكانت هذه الجماعات تبتعد عن أنطاكية مسافة خمسين ميلا أحيانا أثناء تجوالها بحثا عن الطعام . كما أقامت مراكز للسلب والنهب فى مناطق بعيدة عن أنطاكية . ويوجد وصف دقيق لهذا النشاط المستمر بحثا عن الطعام من خلال ما ذكره لنا بطرس بارثولومى Peter Bartholomew ، وفيما يلى تفصيلات لما أدلى به . فقد كان بطرس هذا فى المعسكر الصليبي أمام أنطاكية فى الثلاثين من ديسمبر ١٠٩٧ م . وفى العاشر من فبراير ١٠٩٨ م كان بطرس هذا على بعد خمسين ميلا من أنطاكية ، وكان فى صحبة حملة بقصد سلب ونهب الأطلعة . وفى العشرين من مارس كان فى السويدية ، ثم عاد الى

المعسكر الرئيسي، ومن هناك سافر الى المصيصة في قيليقية ، وظل يباشر مهمة تدبير الأمور حيث ان مستخدمه وليم بير الكونهلاتى William Peyre of Cunhlat حاول ثلاث مرات فى أبريل ومايو أن يبحر من هناك الى قبرص . ثم عاد الى السويدية وذهب الى أنطاكية ، حيث وصلها فى الرابع عشر من يونيو ١٠٩٨ م . وهكذا فى مدى ستة أشهر كان قد سافر ما لا يقل عن ٣٤٠ ميلا بحثا عن الطعام .

وكانت المجاعة هى النتيجة التى ترتبت على هذا الانتظار الطويل فى أنطاكية . وكان بعض الفقراء قد ماتوا جوعا فى نيقية . وفى أنطاكية ارتفعت أسعار المواد الغذائية وعلف الخيول ارتفاعا باهظا . ووصلت المجاعة حد الذروة فى يناير ١٠٩٨ م . وعندما سقطت المدينة فى الثالث من يونيو ، كانت هناك فترة من الراحة القصيرة ، والتقاط الأنفاس ، غير أن النقص فى المواد الغذائية لم يلبث أن صار حادا خلال أيام قلائل ثم اشتدت حدته عندما ضرب جيش اسلامى حصارا فوريا حول المدينة فاضطر الناس الى أكل أوراق الأشجار والحسك والجلود . وبعد انتصار المسيحيين فى الثامن والعشرين من يونيو ١٠٩٨ م ، أدخلت الغنائم التى تم الاستيلاء عليها البهجة والسرور فى القلوب . وكان الحال كذلك بالنسبة للمواد الغذائية التى

كان يرسلها بلدوين البسولونى Baldwin of Boulogne من مدينة الرها الى أنطاكية . غير أن حالة الشعور بالارتياح كانت مؤقتة ، فقد ظل شعب المجاعة ماثلا أمام أعين الجيش الصليبي . وفى أواخر نوفمبر وأوائل ديسمبر أبان حصار

الاحوال ابان الزحف الصليبي

معرة النعمان التي كانت تقع فى نطاق المنطقة التي ضربتها غارات الصليبيين بحثا عن الطعام ، كان بإمكان المرء أن يرى عشرة آلاف رجل منتشرين فى أنحاء الريف يفتشون الأرض بحثا عن الحبوب أو الحنطة أو جذور النبات . وكانت حالة الفقراء من الصليبيين تبعث على الأسى واليأس ؛ مما اضطر البعض منهم الى أكل لحوم البشر ، فكانوا يلتهمون جثث القتلى من المسلمين ، بل انهم لم يتوانوا حتى عن التهام الجثث التي دب فيها الفساد . فقد كان أتباع ريموند السانت جيبلى لا يزالون يعانون من النقص الشديد فى الطعام بحلول شهر يناير عام ١٠٩٩ م .

وأما المرحلة الثالثة للحملة الصليبية الأولى التي تضمنت الزحف الى فلسطين ، ثم الوصول الى بيت المقدس ، فكانت أكثر بهجة . اذ سارع الحكام المسلمون الى عقد سلام مع الصليبيين ، وقدموا لهم فروض الولاء والطاعة ، وفتحوا الأسواق . ومنذ شهر فبراير واصل الصليبيون تقديمهم بمحاذاة ساحل البحر ليتمكنوا من الحصول على الامدادات التي كانت تأتيهم من البحر وبخاصة من قبرص ، رغم أنه لا يمكن القول بأن المواد التموينية كانت متوافرة لديهم بصفة دائمة . وفى أوائل فصل الصيف استطاعوا أن يعيشوا على المحاصيل المحلية . وعلى الرغم من أن الصليبيين قد عانوا نقصا شديدا فى مياه الشرب ، ونقصا مؤقتا فى الطعام أثناء حصارهم لبيت المقدس فإنه يمكن القول ان أسوأ المراحل قد انتهت .

ومن المتعذر البدء فى تقييم الآثار المادية على الصليبيين خلال ثلاث سنوات من الضغوط النفسية والأعصاب المشدودة ، وتميزت سنتان منها بالحرمان الحقيقى ، غير أن أكثر النتائج وضوحا تمثلت فى ارتفاع معدل الوفيات ، فقد توفيت كل حاشية أسقف فولينو Foligno ، وتركته وحيدا فى الأرض المقدسة . ويبدو أن الموت جوعا كان أمرا شائعا فى أنطاكية بين الفرسان والفقراء على حد سواء . وتفشى المرض بين رجال الحملة الصليبية الأولى فأثر على الأغنياء والفقراء سواء بسواء . أما ريموند سانت جيل Raymond of St Gilles الذى كان متقدما فى العمر ، فقد أصيب مرتين بمرض خطير . وربما كان ستيفن البلوى Stephen of Blois مريضا وقت فراره من أنطاكية . وعاد جى تروسو Guy Trousseau الى أوربا منهوك القوى ، ووصل هيو الشومونتي Hugh of Chaumont الى بلده مريضا . ومن المرجح أن التيفوئيد كان سببا فى موت أدهيمار فى أول أغسطس من عام ١٠٩٨ م ، كما أن الخوف من المرض عمل على تشتيت شمل القيادة الآخرين . ويمكن التعرف على مدى تأثيرات المرض على القوى البشرية من خطاب كتبه أنسيلم الريمونى Anselm of Ribemont الى رئيس أساقفة ريمز Rheims فى نوفمبر ١٠٩٧ م ، قبل بداية الفترات العصبية التى مر بها الصليبيون . حيث طلب أنسيلم الصلاة من أجل أرواح ثلاثة عشر رجلا ماتوا بسبب المرض . ونحن لا نعرف القاسم المشترك الذى كان يربط بينهم فقد كانوا اما أعضاء فى جماعة أنسيلم - اذ كان أحدهم قسيسا

الأحوال إبان الزحف الصليبي

لديه - أو أنهم كانوا معروفين لرئيس الأساقفة - وقتل سبعة منهم في الحرب وستة ماتوا من المرض ، وبذلك يتضح لنا أن حوالى نصف هذه المجموعة لم تمت بسبب الحرب - ولا بد أن الجوع وعدم توافر الأغذية المناسبة في شتاء عامي ١٠٩٧ - ١٠٩٨ م ، والبيئة غير الصحية في المعسكر ثم في أنطاكية نفسها ، كل ذلك عمل على تزايد حدة المرض واستفحاله - وربما ظهرت صلة بين الجوع وسوء الصخة في كتاب بطرس بارثولوميو Peter Bartholomew الذي حكى فيه عن خبراته - ففي شهر فبراير ١٠٩٨ م مرض ثم بدأ يفقد قدرته على الإبصار - وربما كان فقد بصره أحد الأعراض المرضية الناتجة عن قلة الطعام ، غير أنه نسب سبب مرضه الى عقاب الرب الذي أنزله به لعدم اطاعته لتعليمات القديس أندرو St Andrew التي اقتضت نقل رسالته لقادة الحملة الصليبية - وبرر سبب عدم تنفيذه لتلك الأوامر بقوله بأنه كان يشعر بالخجل من مفاتيحتهم في هذا الأمر ، وهو على هذه الحالة من الفقر ، خشية أن يظنوا أنه رجل جائع جاءهم بروايات مصطنعة للحصول على الطعام - وكانت هناك أيضا حالة من الفقر والفوضى المالية - فقد عانت أنطاكية نقصا حادا في النقد - حيث ان الفقراء بثيابهم الرثة وأسلحتهم التي يعلوها الصدا هم الذين عانوا وكابدوا ، وكانوا مصدر قلق للقادة الصليبيين ، وشجع أدهيما اللوبي Adhemar of Le Puy ميسوري الحال على مساعدة أولئك الفقراء ، وجرت العادة على منح المساعدات التي كثيرا ما ارتبطت بالصيام وأعمال التوبة عن الخطايا ،

للفقراء ، « وعند مساعدة الفقراء لم يكن الصليبيون يعتمدون في بداية الأمر على غنائم الحرب ، بل على أموالهم الخاصة . ولكن هذه الأنشطة لم تكن مستمرة بل متقطعة ، واستبدلت بها أنشطة أخرى . وبعد معركة أنطاكية ، حصل الصليبيون على غنائم كثيرة ، فقرر قادتهم تجنيد كل الفقراء القادرين على العمل في خدمتهم مقابل منحهم أجورا . وفي مناسبتين حاول ريموند السانت جيلي Raymond of St Gilles تنظيم جماعات مهمتها الهجوم على المسلمين والاستيلاء على ما معهم لمساعدة فقراء الصليبيين . وتقرر في ربيع ١٠٩٩ م في الرقة إقامة صندوق مالي من العشور tithes التي تجمع من الغنائم ، ويذهب نصف هذا إلى رجال الكهنوت والنصف الآخر إلى بطرس الناسك الذي تولى مسئولية الإشراف على أحوال الفقراء .

غير أنه لم يكن الفقراء وحدهم هم الذين تعرضوا للمعاناة فقد مات بعض الفرسان جوعا . واضطر البعض الآخر لبيع أسلحتهم وأصبحوا من جنود المشاة . وكان على جودفري البويوني Godfrey of Bouillon أن يقدم الأطعمة إلى اثنين من الفرسان المشهورين إلا أنهما كانا في حاجة ماسة للمال وهما قريبه وتابعه الاقطاعي ، وكان الأول هنري الأشاوي Henry of Ascha والثاني الكونت هارتمان من دلينجن - كيبورج Count Hartmann of Dillingen-Kybourg الذي ورد ذكره من قبل وهو يضطهد اليهود . وكانت هناك حركة تنقلات بين رجال الحملة الصليبية وكان الأفراد الأقل شأنا يغيرون ولائهم من شخص لآخر . وبقدوم ربيع ١٠٩٨ م

الأحوال ابلان الزحف الصليبي

تزايد نشاط تلك الحركة عندما فرضت التزامات على القادة الصليبيين بأن يعمل أتباعهم من الصليبيين في خدمتهم مقابل أجور فقربوا بعض أولئك الأتباع اليهم ، وفي الوقت نفسه ضموا رجالا جددا الى حاشيتهم . وفي التاسع والعشرين من مارس كتب ستيفن البلوي Stephen of Blois إلى زوجته قائلاً :

« كان من الممكن أن يهلك كثير من الفرنسيين جوعاً لولا رحمة الله ومساعدتنا لهم بالمال » . وكذلك فعل جودفري البويوني ، وروبرت القلمنكي الشيء نفسه . وليس غريباً أن بعض قادة الصليبيين أنفسهم كانوا يعانون أحياناً من نقص المال ، بيد أنهم أقاموا صندوقاً مالياً عاماً لتوزيع أعباء نقص المال بينهم ، فعندما شيدوا حصناً جديداً للحصار وهو حصن لاما هوميرى La Meherie في مارس ١٠٩٨ م ،

حاول بعضهم أن يقوم بحمايته للاستفادة من المبالغ المخصصة للدفاع عنه ، كما ورد أن المهندسين حصلوا على أجورهم قبل اعداد الهجوم على بيت المقدس . وفي يناير ١٠٩٨ م كان يوهيموند يهدد بمغادرة أنطاكية لأنه لم يستطع رؤية رجاله وخيوله وهم يموتون جوعاً ، كما أنه ليس غنياً وليست لديه المصادر المالية للاتفاق على حصار لفترة طويلة . وقد نفدت أموال كل من روبرت الفلاندرى وجودفري البويوني في الصيف التالي [١٠٩٨ م] ، بعد أن اضطررا إلى الاتفاق على فرسانهم . وكان عليهما أن يتوسلا إلى غيرهما للحصول على خيول قبل معركة أنطاكية كما رأيتا . وأنقذ بوليدوين أخاه جودفري حيث أرسل المال والخيول من الرها إلى جميع القادة وإلى أخيه بوجه خاص حيث أرسل إليه الموائد الوفيرة للأراضي الزراعية الملحقة بقلمه حل ياشر . ولا بد أن هذا

المصدر للثروة قد ساعد على اختياره حاكما لبית المقدس
اذ كان قادرا على تجميع الأتباع والأنصار من حوله بشكل
ملحوظ.

ولا يصح الافتراض بأن الجميع قد عانوا بصورة
متساوية . واستغل البعض محنة الآخرين الذين يئسوا من
مجرد الحصول على لقمة العيش ، فتمكنوا من جمع الثروة
باستغلال هذه المحنة . وكان هناك أيضا بعض الأثرياء من
الصليبيين الذين استطاعوا الاحتفاظ بكل ثرواتهم . وفي
التاسع والعشرين من مارس ١٠٩٨م صرح ستيفن البلوى
Stephen of Blois بأنه سيضاعف الأموال التي كان قد
أحضرها معه من فرنسا وان كان قد ربط بين مضاعفة
أمواله وبين اختياره قائدا عاما للصليبيين . وظل ريموند
السانت جيلي أغنى رجل بين الصليبيين على السواء . وظل
عدد الفرسان التابعين له يفوق ما لدى أى قائد صليبي
آخر ، واستطاع أن يدفع لهم أجورهم . ولهذا السبب تولى
حراسة حصن لا ماهوميرى La Mahomerie . وعندما
تحمل تنكرد مهمة محاصرة الجانب الغربى عند حصار
الصليبيين لأنطاكية ، منذ أوائل أبريل ١٠٩٨م قال انه
لا يستطيع تحمل هذا العبء دون حصوله على الأموال بظهير
ذلك - ربما كان يقصد دفع أجور فرسانه - لذلك أعطاه
ريموند أموالا أكثر من أى رجل آخر . وكان ريموند قد
أعطى جودفرى البويونى جوادا لتمكينه من خوض غمار
معركة أنطاكية ، ثم أعطاه جوادا آخر ، بعد عدة أشهر
كهدية بعد تسوية نزاع بينهما . وفي يناير ١٠٩٩م كان

ريموند قادرا على تقديم مبالغ ضخمة من المال إلى القادة الآخرين شريطة أن يدخلوا في خدمته لمواصلة الزحف على بيت المقدس ، وإثناء حصار بيت المقدس دفع بمفرده الأموال إلى الفنيين التابعين له دون الاستعانة بأموال الخزانة العامة . وليس من الواضح لنا مصدر أمواله ولكن أتباعه كانوا أكثر تنظيما من الآخرين . وعند أنطاكية ، كان يبدو أن فرقة فرسان بروفنسال Provençal كانت تتناول ما لذ وطاب من الطعام ، ولذلك استشهد أحد الكتاب بمثل سائر يقول : « يعيش الفرنجة من أجل الحرب أما أهالي بروفنسال فمن أجل بطونهم » . وربما استفاد ريموند من الإعانات المالية التي قدمتها الامبراطورية البيزنطية للصليبيين . وربما كان مال الكنيسة تحت تصرفه بعد موت أدهيمار ، وازدياد أعداد رفاق أدهيمار . وربما استطاعت بعض الشخصيات الأقل منزلة تحقيق ثروة زهيدة واستخدموها في تكوين أتباع وأنصار لهم ، فعلى سبيل المثال فإن ريموند بيليه ليموزين لورد آلييه Raymond Pilet Limousin Lord of Alais ، والذي كان ضمن أتباع وأنصار ريموند السانت جيلي ، لابد أنه قد حصل على غنيمة ثمينة بعد معركة أنطاكية لأنه بعد ذلك بوقت قصير وعندما أعلن القادة الصليبيون عن رغبتهم في أن يتولى كل واحد منهم تعيين الفقراء في تبعيتهم ، استطاع ريموند المذكور أن يجند في خدمته كثيرا من الفرسان والمشاة وقادهم في حملة حربية إلى تل مينا ، ومعرة النعمان . ومنذ ذلك الحين لعب ريموند دورا مهما كقائد

قائد - وبالطبع فان تزايد الثروة فجأة قد ساعد على تفاقم التضخم المالى -

وفى هذه الظروف لم يكن آمرا مستغربا ان يصاب الصليبيون بالخوف ، وفى أحيان كثيرة كان الرعب يشل حركتهم دون أن يعرفوا هم علة ذلك - وفى الاسبوع الثانى من شهر أكتوبر عام ١٠٩٧ م ، انهارت الروح المعنوية لدى الفرسان اثناء عبورهم سلسلة جبال واقعة بين منطقتى جوكسون Goksun ، ومرعش ، حين رأوا الممرات شديدة الانحدار التى كان عليهم اجتيازها وعرض البعض منهم بيع دروعهم بأى ثمن ، فى حين تركها البعض الآخر لتجنب حملها أو ارتدائها - وفقد كثيرون منهم دوابهم التى كانت تحمل أمتعتهم آنذاك ، وفر كثير من الجنود ، فلم يشتركوا فى القتال اثناء حصار أنطاكية - وكان الخوف من الموت جوعا هو الذى دفع الكثيرين منهم الى الفرار من المعركة - وأثناء حصار الصليبيين لأنطاكية وصلت قوات القائد الاسلامى كربوغا لنجدة المدينة ، فاستبد الرعب بقلوب الصليبيين ، حتى ان فكرة الهرب الجماعى راودت عقول كثيرين منهم ، فاضطر كل من بوهيموند وادهيمار ، الى اغلاق أبواب المدينة ليلتى ١٠ و ١١ يونيو ١٠٩٨ م - وتجدر الاشارة الى أن كثيرا من المؤرخين الأوربيين الذين كتبوا عن تلك الحوادث التاريخية ، وصموا حركات الفرار من المعركة بالجبن والعار - ولكننا لا ينبغي أن ننسى أن أولئك المؤرخين كانوا يسطرون التاريخ وهم يعيشون فى دعة ورفاهية بعيدا عن ميادين القتال - وعلى الجانب الآخر نجد أن المؤرخين الذين شاركوا بالفعل فى ميادين القتال ، عالجوا

الأحوال إبان الزحف الصليبي

موضوع الهرب من صفوف القتال بشيء من الرأفة والميل ،
والتماس العذر لآخوانهم الفارين الذين تعرضوا لضغوط
كثيرة . وعاد ستيفن البلوى Stephen of Blois ليكون قائدا
للحملة الصليبية سنة ١١٠١ م ، كما أن بطرس الناسك
أعيد إلى صفوف المعركة بعد أن حاول الهرب على نحو مشين ،
وَأرسل سفيرا إلى القائد الإسلامي كربوغا بعد ذلك بفترة
قصيرة ، وكان خطيبا مفوها أثناء المسيرة الضخمة التي
اتجهت إلى بيت المقدس قبل الاستيلاء عليها وأحد المسؤولين
عن تنظيم صلوات الشفاعة في المدينة المقدسة أثناء معركة
عسقلان . أما وليم النجار William the Carpenter الذي كان قد
شارك بطرس الهروب ، وتعرض للتوبيخ والتعنيف المريع
على يد بوهيموند - كانت هناك حادثة مماثلة أثناء الحروب
الاسبانية حين أطلق ساقيه للريح - فقد استقر مع بوهيموند
في أنطاكية . كما أن رالف الفونتنى Ralph of Fontenay
في أنجو Anjou الذي كان قد هرب مع جماعة من الأنجويين
Angeuins من أنطاكية - عاد ثانية للمشاركة في الحملة
الصليبية ، واستقر في فلسطين ثم صار فيما بعد له أملاك
وأراض في المناطق المحيطة بمدينة بيت المقدس وله إقطاعه
بين بيت لحم ، والخليل « حبرون » Hebron . ان قبول
الصليبيين للفارين من ميدان المعركة ، والانضمام اليهم مرة
أخرى ، والغضب الذي صبه أولئك الصليبيون على أولئك
الذين بقوا في أوروبا ولم يشأوا الاشتراك في الحملات
الصليبية ، يوحى بالتفاهم والمشاعر المتبادلة بين الفريقين
فقد كان الفريقان يشعران بعدم الأمان .

وليس مستغربا في مثل تلك البيئة الغريبة أن يفكر الصليبيون في أوطانهم باستمرار * وتضمنت الرسائلتان اللتان بعث أنسيلم الريمونتي Anselm of Ribemont بهما إلى رئيس أساقفة ريمز Rheims التماسات يطلب فيها منه حمايته لأراضيه ، فقال :

أولا [كتب رسالته الأولى في نوفمبر سنة ١٠٩٧ م] نذكرك ونتوسل اليك باسم الرب يسوع بأن ترعى ... طبقا للواجب الكهنوتي والبابوي المائل فيك ... أرضنا ، حتى يستتب الأمن والسلام مع وجهاء القوم ، ويعمل بقية من هم دونهم رتبة على أداء واجباتهم في سلام ، ويكرسون أنفسهم لخدمة الرب . والآن [كتب رسالته الثانية في يوليو ١٠٩٨ م] نتوسل اليك بأن تحافظ على السلام في أرضنا ، وتحمي الكنائس والفقراء من استبداد الطغاة .

وفي التاسع والعشرين من مارس ١٠٩٨ م ، كتب ستيفن البلوي رسالة إلى زوجته يأمرها فيها : (بأن تتصرف بحكمة ، وتدير شئون الأرض الزراعية ، وأن تعامل الأولاد والأتباع الاقطاعيين بكل أمانة) * وإذا استثنينا الكتابة للأهل والأصدقاء ، فقد استعان الصليبيون بوسائل أخرى للتعبير عن حنينهم للأوطان * فقد أرسل روبرت الفلاندرى Robert of Flanders أثارا مقدسة كان قد بعث بها من جنوب إيطاليا إلى وطنه ، وأوصى بأن ترسل تلك الآثار على وجه الخصوص إلى دير واتن Watten الذي شيده والده * وعندما قامت الحرب الصليبية ظل ريموند السانت جيلي Raymond of St Gilles ملتزما بإقامة الحفل الديني

الاحوال ابان الزحف الصليبي

الخاص بالقبديس ايمان St Faith ، الذي يوجد ضريحه في كونيو Conyues الواقعة ضمن حدود اراضيه الاقطاعية ، وعندما مرض ريموند هذا في أغسطس ١٠٩٧ م ظهر القديس جيل St Gilles - الذي كان ريموند حريصا على اقامة الاحتفالات الدينية له قبل الذهاب مع الحملة الصليبية الأولى - لأحد الرجال الساكسونيين وكان برتبة كونت بالجيش ، وأكد له أن ريموند لن يموت هذه المرة ، وفي أبريل ١٠٩٩ م ظهر له القديس بطرس يارثولوميو Bartholomew في الرؤيا وأبلغه أنه يجب عليه أن ينقل الحربة المقدسة the Holy Lance الى جنوب فرنسا ، ويبني لها كنيسة تحفظ بها في أمان في مكان يتعلق عليه Montjoie مونتيجوا ، على بعد خمسة فراسخ من كاتدرائية القديس تروفيموس St Trophimus بمدينة آرل Arles لأن القديس بطرس كان قد أرسل إليها « تلميذه » تروفيموس . وكان التلميذ تروفيموس من أهل مدينة أفسس ، وأحد أتباع الرسول بولس ، وكان يقال انه كان أول أسقف لمدينة آرل Arles . ومن الطبيعي أن يخطر الوطن على بال الصليبيين وهم يحتضرون ، فقد أرسل ريو اللوهياكي Riou of Loheac آثارا مقدسة الى كنيسة القديس المخلص St Saviour في لوهيك ، وهو على فراش الموت . وكان آخر اهتمام أبداه برنارد لوبيل Bernard Le Baile هو تقديم هبة الى دير المحلى في مدينة أوري Aureil .

ويتضح لنا أن الحروب الصليبية قد فرضت ضغوطاً هائلة على من اشتركوا فيها . ففى هذه البيئة الغريبة عليهم ، لم يقتصر الأمر على أهوال الحرب فحسب ، بل امتدت معاناتهم لتشمل التضخم المالى والفقر والمرض والموت ، فكثيرا ما كانوا يعانون الخوف والحنين للوطن . وعانى فرسانهم من الشعور بالذل والهوان بعد أن فقدوا مكانتهم اثر ضياع أسلحتهم وخيولهم . وكان معظم القادة يعانون من متاعب مالية جمة . ولذلك فليس من الصعب فهم الشعور الذى استبد بهم للحصول على الخيول والرغبة فى جمع الغنائم .

أما رجال الكنيسة فقد صوروا الحروب الصليبية فى كتاباتهم ، بعد مرور حقبة من الزمن ، بأنها عمل تعاونى ، وديمقراطى لا مثيل له ، بل وأنها كانت مشروعاً مشتركاً فيه الجميع ، وتحملوا أعباءه ، دون أن يكون لهم قائد عام ، وكان الروح القدس والرغبة فى الخلاص يحثانها على المضى قدما ، فقالوا : « وما كان لأحد أن يقوم بعمل يحقق المنفعة له ، الا اذا أجمعت مشورة الحكماء منهم على ضرورة القيام به ، وأقره الجميع ، ذلك لأن الروح القدس هو الذى يدفعهم للقيام بجميع الأعمال العظيمة ويوحد صفوفهم » .

ومن البديهي أن هذا الوصف كان غير حقيقى . ففى الحقيقة شعر الصليبيون المرتبطون بهم بحاجتهم الطبيعية لوجود قائد عام . وتمت ثلاث محاولات على الأقل لايجاد قائد عام . وكانت المحاولة الأولى فى القسطنطينية فى ربيع ١٠٩٧ م ، فقد تباحث القادة فى المدينة وهم ، بوهيموند

الأحوال إبان الزحف الصليبي.

التاراننتوى Bohemond of Taranto ، وجودفرى البويونى
Robert of Flanders وروبرت الفلاندرى Godfrey of Bouillon
مع الامبراطور الكسئوس Alexius ، بشأن توليه المهمة
الصليبية وقيادة الحملة الصليبية الأولى كقائد وامبراطور
dux et imperator . وليس واضحا من الذى اتخذ الخطوة
التمهيدية فى تلك المباحثات ولا بد أن آية استجابة للخطوة
من جانب الامبراطور كانت سياسية . وعندما حضر ريموند
السانت جيلى Raymond of St Gilles ، وجعل تولى الامبراطور
الكسئوس Alexius القيادة العليا للجيش الصليبي مشروطا
باعتراف الامبراطور بالخضوع لسيطرة ريموند ، اعتذر
الامبراطور عن تولى القيادة العليا للجيش وقال ان هناك
أسبابا تستدعى وجوده فى الوطن . وكانت المحاولة الثانية
قبل التاسع والعشرين من مارس ١٠٩٨ م عندما كتب ستيفن
البلوى Stephen of Blois الى زوجته يبلفها بأنه تم اختياره
قائدا عاما . ونظرا لأن ستيفن هذا كان قد تولى مسئولية
الصندوق العام ، وليس هناك آية اشارة عنه فى السجل
الخاص بالمباحثات السابقة على شهر مارس بشأن رعاية
حصن لا ماهوميرى La Mahomerie الذى كان من المفروض
أن يتم الانفاق عليه من هذا الصندوق العام ، فلا بد أنه
كتب لزوجته بمجرد اختياره . وذكر لنا ستيفن أنه تولى
مهمة القائد ذى النفوذ والسلطان ، ولكن تدل البراهين التى
تحت أيدينا أنه لم يكن لديه أى سلطان يمارسه ، بل ان
مهمته انتهت بانسحابه من أنطاكية فى ٢ يونيو سنة
١٠٩٨ م ، وعدم رجوعه اليها مرة أخرى . وتمت المحاولة

الثالثة في مؤتمر عقد في الرونج The Ruj في الرابع من يناير ١٠٩٩ م عندما كان ريموند السانت جيلي على استعداد لأعطاء جودفري البولوني ، وروبرت النورماندي مبلغا قدره عشرة آلاف صوليدى Solidi ، وستة آلاف صوليدى الى روبرت الفلاندرى وخمسة آلاف صوليدى لتتكرر بالاضافة الى جوادين ، وأعطى القيادة الآخرين مبالغ متناسبة . وكانت خطته ترمى الى قيام أولئك وأتباعهم بالدخول في خدمته ، حتى يمكن شن الهجوم الأخير على بيت المقدس . ولكنهم لم تكن لديهم الرغبة في الرحيل ، ولكن تنكروا قبل الأموال التي عرضت عليه . ورغم الإغراء الذي تعرض له أولئك القيادة ، بعد أن عرض عليهم ريموند الأموال حيث كان يمكنهم سد احتياجات أتباعهم لو قبلوا تلك الأموال ، فانهم كانوا مستعدين للرحيل ، كما كانوا كارهين لفكرة التبعية لريموند والعمل تحت امرته .

وكان واضحا أن هناك حاجة ماسة لوجود قائد عام ، ولكن لماذا كانت فترة وجود القائد قصيرة ؟ ويمكن الاجابة على هذا السؤال على ضوء دراسة تكوين الجيش الصليبي . ويمكن تقسيم الصليبيين الى ثلاث فئات : فئة القيادة The principes or Majores وفئة الطبقة الوسطى The minores or Mediocres وفئة العامة The Plebs or populus . ومن السهل معرفة من كانوا ينتمون الى طبقة أو فئة القيادة ؛ اذ انهم كانوا يدرجون في قوائم ومازال هناك أحد الخطابات الصادرة عنهم . ومن أولئك القادة أدھيمار الممثل البساوي حتى مماته ، ثم بوهيموند التارانتوى Taranto ، وجودفري

الأحوال إبان الزحف الصليبي

البويونسي وهيو القرماني Vermandrois ، حتى رخيالة ،
وريموند السانت جيلي ، وروبرت الفلاندري ، وروبرت
النورماندي ، وستيفن البلوي حتى هروبه . وليس من
الصعب معرفة سبب توليهم تلك المناصب التي شغلوها . فقد
كانوا من علية القوم في غرب أوروبا ، والواقع أن الباشا
أوربان توقع حين عقد مجمع كليرمونت أن يتولى الأمر
قيادة الجيش الصليبي . ومن الطبيعي أنهم مارسوا سلطة
على الجماعات العسكرية الأخرى أثناء الشهور الأولى من
تحركهم صوب مضيق البوسفور : فجيوفري مالاتيرا
Geoffrey Malaterra كاتب سيرة حياة روجر الصقلي
Roger of Sicily ، أشار إلى أن بوهيموند التارانتوي
Bohemond of Taranto انضم للحرب الصليبية لجره تحقيق
طموحاته في بلاد اليونان ، وأصبح واضحا أن تظاهره بحمل
الصليب أعطاه تلقائيا حق قيادة الصليبيين في جنوب إيطاليا
إذ كانوا ، « بدون قائد » . وقويت شوكة القادة بعد أن
أحسن الامبراطور ألكسيوس Alexius معاملتهم ، فقد كانوا
أول من قدم له فروض الطياعة ، فأغدى عليهم الأموال .
وعلى الرغم من تنوع مصادر ثروتهم ، فقد كانوا أكثر ثراء
من بقية الصليبيين . وكانت الخزانة العامة تحت تصرفهم ،
وكانت لديهم فرصة أكثر لزيادة دخولهم . وأثناء حصار
أنطاكية تصرف القادة وفقا للسلطة التي خولها لهم البابا
أوربان في مجمع كليرمونت ، حين يستولون على الأراضي
التي تضم الكنائس الشرقية ، وقد تأكدت هذه السلطة
في مجمع أنطاكية الذي انعقد تحت رئاسة أدهيمار اللوبوي
Adhemar of Le Puy ففرضوا سلطانهم على الأقاليم المجاورة .

وكان يحدوهم الأمل في الحصول على المؤن ، فاستولى
 بوهموند على المنطقة القريبة من البحر غرب أنطاكية
 وشمالا تجاه قيليقية ، أما جودفري البولوني ، وروبرت
 الفلمنكي فقد تجاوزا نهر عفرين Afrin ، وسيطرا على
 الطريق الرئيسي الى الرها ، والذي سيطر عليه فيما بعد
 شقيق جودفري . وكانت المنطقة الخاضعة لتكرده تقع جنوب
 المنطقة الخاضعة لروبرت الفلاندرى Robert of Flanders
 وشرق منطقة أنطاكية ، وسيطر ريموند السانت جيلي
 Raymond of St Gilles على منطقة روج Rug ، وسيطر
 روبرت النورماندى Robert of Normandy على اللاذقية .
 ولابد أن ريموند قد شيد أول أسقفية لاتينية فى منطقة
 البارة على حدود المنطقة التابعة له وفقا لقرار
 أوربان كما سترى فيما بعد . وكان يضااحب الأمراء عدد
 قليل من الأتباع الاقطاعيين والمقربين اليهم . وأبرز أولئك
 الأمراء الأمير جودفري ، وبوهموند ، وريموند . وكان لدى
 أولئك الأمراء جانب من القوة الأصيلة ، لهذا قيل ان خضار
 الصليبيين لبيت المقدس قد أصيب بالضعف على أثر غياب
 بوهموند Bohemond وستيفن البلوى Stephen of Blois ، وهيو
 الفرماندى Hugh of Vermandois . ورغم أن شهود العيان
 قد أشاروا الى الأمراء بمباراة « جيش الأمراء » ، فانه من
 الخطأ أن نرى أولئك الأمراء وكأنهم قادة دائمون لحشد كبير
 من الناس . وكل ما اعتمد عليه أولئك الأمراء هم أقاربهم
 وأتباعهم ، كما اعتمدوا على فرسانهم الذين كانوا يحصلون
 على رواتب نظير خدماتهم .

ولكى ندرك ذلك لا بد لنا من الرجوع الى الطبقة الوسطى
minores التى شملت كبار الاقطاعيين ورؤساء القلاع
وصغار الفرسان ، وقد ضمت هذه الطبقة أهم العناصر التى
تألفت منها الحملات الصليبية . فعلى سبيل المثال ، فان سيدا
اقطاعيا مثل أنسينم الريموننتى Anselm of Ribemont لم يعد
نفسه ضمن القادة Princeps رغم وجود قوة تحت امرته .
وكان تنكرد الذى قاد رهطا من الرجال أثناء الزحف على
بيت المقدس رجلا ينتمى الى هذه الطبقة . وكذلك كان
فرالد التوارى Thouars الذى قاد قوة من البواتيين Poitevin ،
وجولدمير كاربنيل Galdemar Carpenel الذى كان على جانب
كبير من الثراء ، وروجر البرنفيل Roger of Barneville ، وهو
فارس نوماندى تولى قيادة فرقة بصورة شبه مستقلة ،
واستدعى للاشتراك فى مجلس الأمراء ، نظرا لخبرته كقائد
عسكرى وكمفاوض بارع . وفى يونيو سنة ١٠٩٨ م ، لقي
روجر مصرعه أثناء احدى الهجمات ، فترك وراءه أربعة
عشر رجلا من رفاقه المتمرسين على فنون الحرب ، ودفن
بسقيفة الكاتدرائية بمدينة أنطاكية . وكان المقاتلون
الذين كانوا ينتمون للطبقة الوسطى يحملون بيارق الحرب
الخاصة بهم ، ومن المؤكد أن تنكرد وجاستون البيارنى
Gaston of Bearn ، وريما بولدوين الهينولتى Baldwin of
Hainault قد فعلوا ذلك . وكان لهذه البيارق أهمية كبيرة ،
فقد زحف الألمان فى جيش بطرس التاسك ، وهم يحملون
بيرقا خاصا بهم ، وربما كان الجنود المشاة يقسمون أنفسهم
الى فرق ، وكان لكل فرقة منهم بيرق . وكانت الموجة الثانية

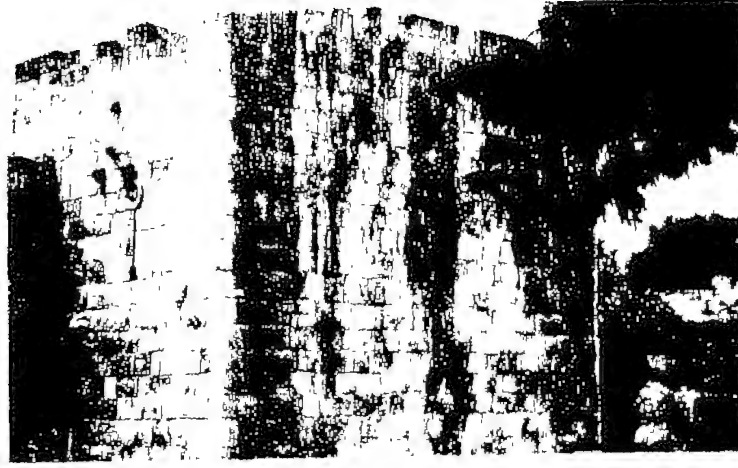
من الصليبيين تحمل البيارق عالية خفاقة • وفى إحدى معارك القتال بمدينة أنطاكية لاحظ الأتراك عدم وجود ريموند السبانت جيلى Raymond of St Gilles ، وبوهيموند ، لأن بيارقهما لم تكن موجودة ، وكان ضياع البيرق أثناء المعركة وصمة عار فى جبين المحارب ، كما كان الحال منع أدھيمار اللوبوى Adhémar of Le Puy فى المعركة فى ٢٩ ديسمبر سنة ١٠٩٧ م • وبعد ذلك بستة أشهر ، وأثناء معركة أنطاكية ، كان حامل البيرق الجديد حريصا على تسليم البيرق لرجل آخر قبل التأهب لخوض المعركة التى أصيب فيها إصابة قاتلة • وفى نفس المعركة ، أنقذ هيو الفرماندى Hugh of Vermandois ، حين تسلم وليم البوفينى William of Beauvais ، من يد آدو البيوجنسى Odo of Beaugency - حامل البيرق - بعد إصابته بالجراح • كما استخدمت البيارق كعلامة على الحماية - فقد كان المسلمون يرفعون البيارق حين يعقدون الصلح أو يستسلمون أو يريدون الأمان وعدم التعرض للهجوم • كما استخدمت البيارق كعلامة على الفتوحات وما يعقبها من سيطرة على ممتلكات الآخرين ، رغم أن رفع البيارق فى هذه الأحوال قد يؤدى الى النزاع بين الفاتحين • لذا فإن امتلاك المقاتلين من الطبقة الوسطى minores لهذه البيارق يستحق وقفة منا • لم يقيم المقاتلون أثناء الحصار أو عمل التشكيلات بالتفرقة بين الأمراء وأتباعهم وبين المقاتلين من الطبقة الوسطى الذين لم يكن لديهم الكثير من الأتباع ، أو ربما كانوا دون أتباع • وكان موقفهم هذا ينبع من وضعهم فى

الاحوال ايان الزحف الصليبي

المجتمع ، ومكانتهم كفرسان ، وثوراتهم في احيان كثيرة .
فقد بدءوا حياتهم دون الانضواء تحت لواء أى سيد من السادة
الاقطاعيين ، وكانت الخدمة تحت لواء الحروب الصليبية
تختلف عن الخدمة فى كنف السادة الاقطاعيين . فكل ما كان
عليهم عمله للانضواء تحت لواء الحروب الصليبية هو أن
يقسموا القسم المقدس وينذروا أنفسهم للعمل فى سبيل الله . ولم
يكن ريموند السانت جيلى Raymond of St Gilles يدلى بحقيقة
قانونية حين قال ، وهو يرد على مطلب الامبراطور الكسيوس
Alexius بأن يقدم له فروض الطاعة ، بأنه قد جاء
لا لكى يجعل رجلا آخر سيدا عليه ، ولا لكى يقاتل نيابة عن
رجل آخر ، بل قد جاء يكافح فى سبيل الله ، فقد ترك دياره
وأهله من أجل نصرة الحق .

ووجدت روابط الدم والخدمات الاقطاعية أساليب
للتعبير عنها على امتداد الحرب الصليبية ، ومنح الاستقلال
الذى تمتعت به الطبقة الوسطى حرية تشكيل الفرق
العسكرية . وكانت الفرقة تتألف من مائتين من الرجال .
وجاءت الحروب الصليبية تعبيرا عن روابط الدم . فقد كان
من الطبيعى أن ينضم الأفراد الى أقاربهم . فقد ذهب ستيفن
الالبمارلى Stephen of Albemarle مع عمه روبرت النورماندى
Robert of Normandy ، وكانت المجموعات المتألفة من الناس
تربط نفسها بأقرب سيد اقطاعى سيرحل الى فلسطين . كما
رافق البريتونيون Bretons ، روبرت النورماندى . كما
كان هناك الفرسان الذين انضموا الى قادتهم . فقد انضم
بولدوين كولدريين ، من مقاطعة اندر Indre الى فرقة

روبرت الفلاندرى ، بينما انضم ونيرتش الفلاندرى
 Winrich of Flanders الى جودفرى البولونى . كما انضم
 فريق من الفرسان الفرنسيين الى بوهيموند التارانتوى
 Bohemond of Taranto ، وكان المقاتلون من الطبقة المتوسطة
 Minores يخدمون تحت لواء أى فريق يحتاج اليهم أثناء زحف
 الحملة الصليبية ، أو أية مهمة قتالية أخرى . فقد خدموا
 مع روبرت النورماندى Robert of Normandy ، كما خدموا
 أيضا مع بوهيموند ، وربما مع هيو الفرماندى Hugh of
 Vermandois . وكان من الطبيعى أن يحول الفرسان ولاءهم
 اذا منيت القوة التى يخدمون بها بالكوارث ، أو رحل القائد .
 فقد كان كلارمبولد الفندوى Clarendbold of Vendeuil
 ودرجو النسلى Drogo of Nesle وهارتمان الدلنجنى Hartmann
 of Dillingen ، وتوماس المارلى ، ووليم النجار
 William the Carpenter يخدمون فى جيش امتش الليننجنى
 Emich-of Leiningen . وبعد أن تشتت شمل هذا الجيش على
 حدود البحر ، ذهب كلارمبولد ، ودرجو ، وتوماس ، ووليم
 الى ايطاليا حيث انضموا الى هيو الفرماندى . وظل هارتمان
 مستقلا حتى أجبره الفقر على الدخول فى خدمة جودفرى
 البولونى Godfrey of Bouillon . وبعد رحيل هيو الفرماندى
 تمكن النخبة التى انضم ودرجو الى بولدوين البولونى Baldwin of
 Boulogne ، كما أمثلت وليم اقطاعية فى مدينة أنطاكية
 تحت حماية بوهيموند Bohemond ، كما سافر فريدريك
 الزماريتى Frederick of Zimmera والفارس قولشر الشارتى



أحد الأبراج الحصينة في سور مدينة القدس.



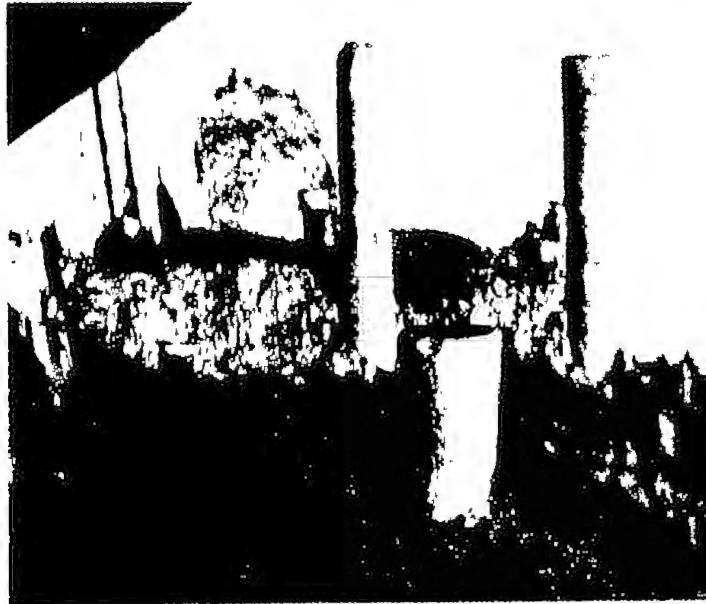
بوابة قلعة صليبية في صحراء الأردن منقورة في صخرة وتتصل بالقلعة عن طريق حصد



محاربان ألمانيان من القرن الثاني عشر.



تاج عمود من كاتدرائية القديس مرنان في مدينة تولوز الفرنسية يصور شيطاناً يشد الفوس المصلبة



أعمدة رومانية قديمة أعيد استخدامها لتدعيم أسوار عسقلان المطلة على البحر



مخطوط انجليزي قديم يعود إلى عام ١١٥٠م، يصور المعركة بين دافود ويلك التي كثيراً ما استخدمها الصليبيون كرمز للحرب المقدسة



تاج عمود يعود إلى بداية القرن الثاني عشر ويصور أزياء المحاربين وأسلحتهم في فرنسا آنذاك.



تاج عمود يقال إنه يصور أحد الرهبان المحاربين.



قلعة ممارى، وهى فى الأصل قلعة رومانية



قلعة مديق التى كانت تشكل الحد الجنوبى لإمارة أنطاكية



قلعة الكرك فى جنوب الأردن.



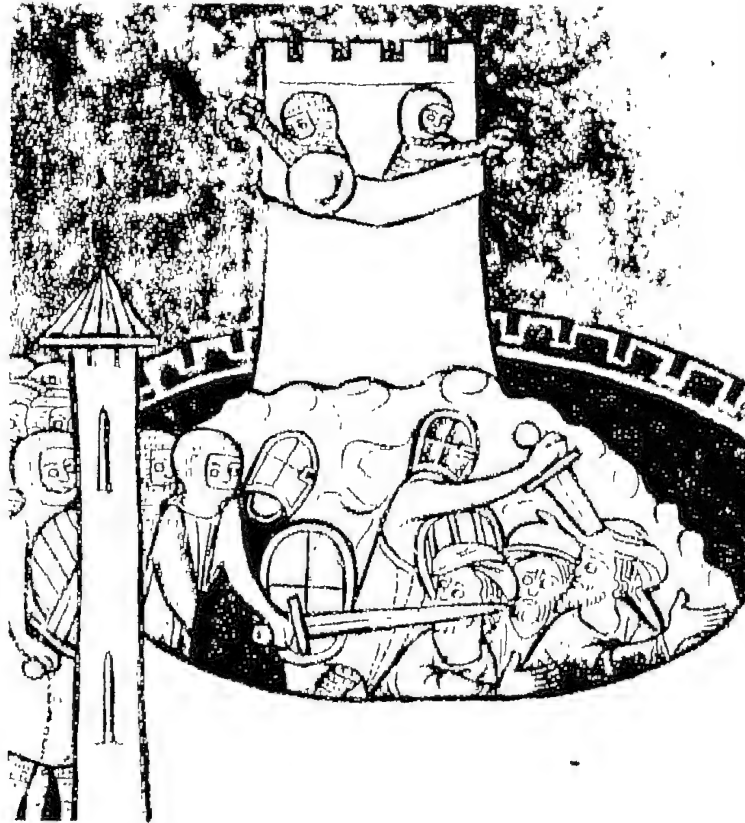
رحره معمارية تصور فارساً في رداء المحاربين الفرنسيين في منتصف القرن الثالث عشر



إحدى العلاع الصليبية المعامة على العرات عند تقاطعه مع الطريق المؤدى إلى إمارتى الرها و أنطاكيه



نقش بصور حسيماً ممسكاً بنسوس قتال من الطرار الذي كان مستخدماً في الشرق في عصر الحروب الصليبية



مدينة أنطاكية حيث يرى الحدود الصليبيين يفتكون بأهل المدينة (مخطوط من تكا ١٢٩٠م).



نقش يصور القبض على المسيح، لاحظ أزياء الجنود الحربية (قبرص ١٢٠٠م).



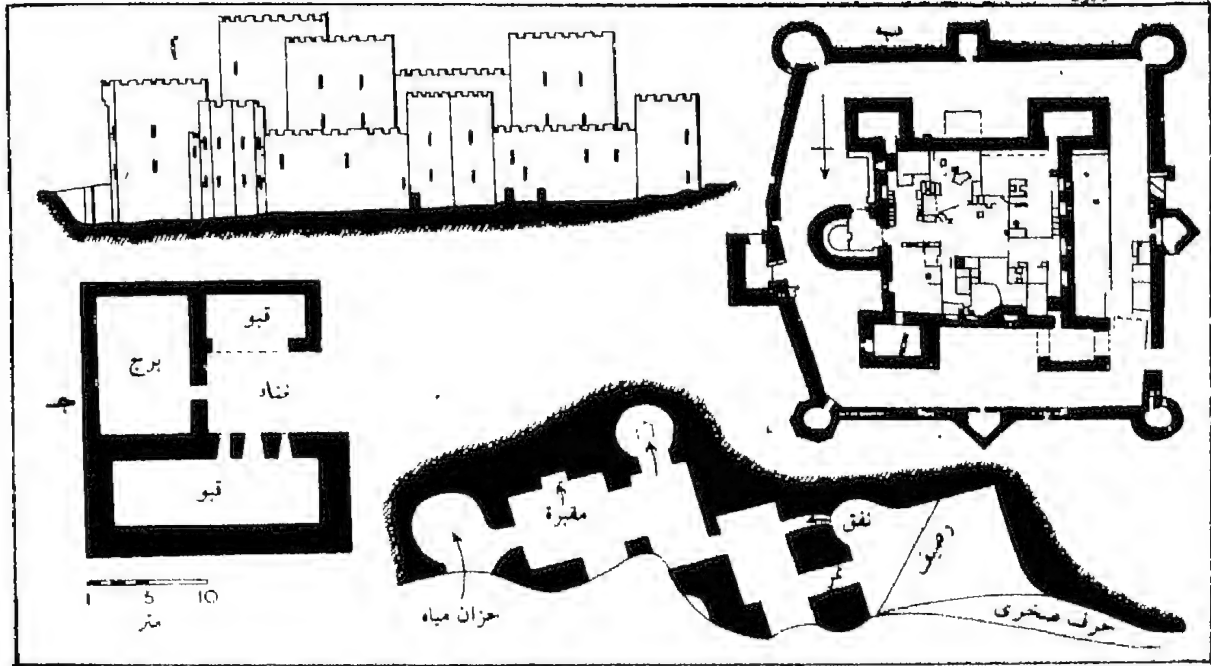
مخطوط يصور المعدات والأسلحة التي كانت مستخدمة في جيش ريتشارد قلب الأسد.



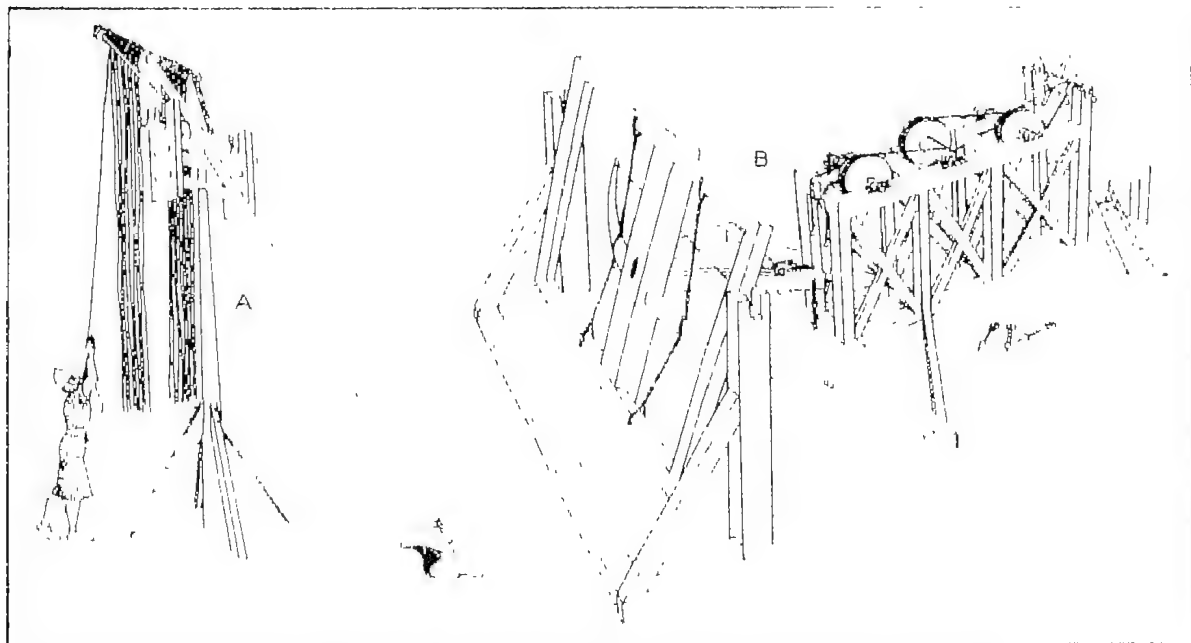
عش يصور جنديا يرتدى زى المحاربين الأوربيين (بداية القرن الثالث عشر).



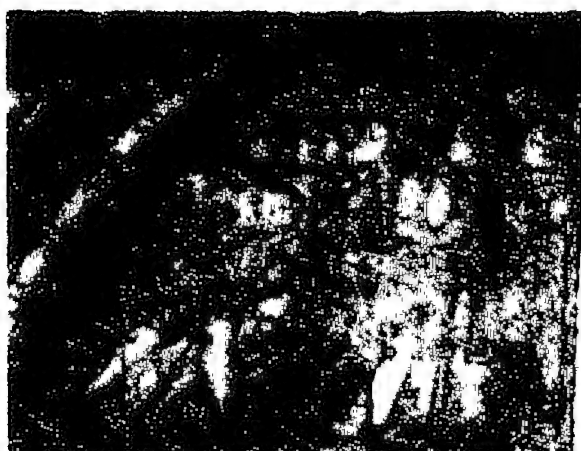
عش صو، العدة الحربية
لأفراس الصليبيين.



(أ) رسم تحيلى لإحدى الفلاع التى أسسها الفرسان الهوسبتالية تصور نظام القلعة المركزية، (ب) مسطع أفقى لها، (جـ) جزء من قلعة موريليه فى فلسطين، (د) الجزء العلوى من قلعة عين حبيب المنقورة فى الصخر.



أ — منجنيق يستخدم فى هدم الأسوار (القرن الثانى عشر).
ب — قوس آلى صمم استخدمه الصليبيون.



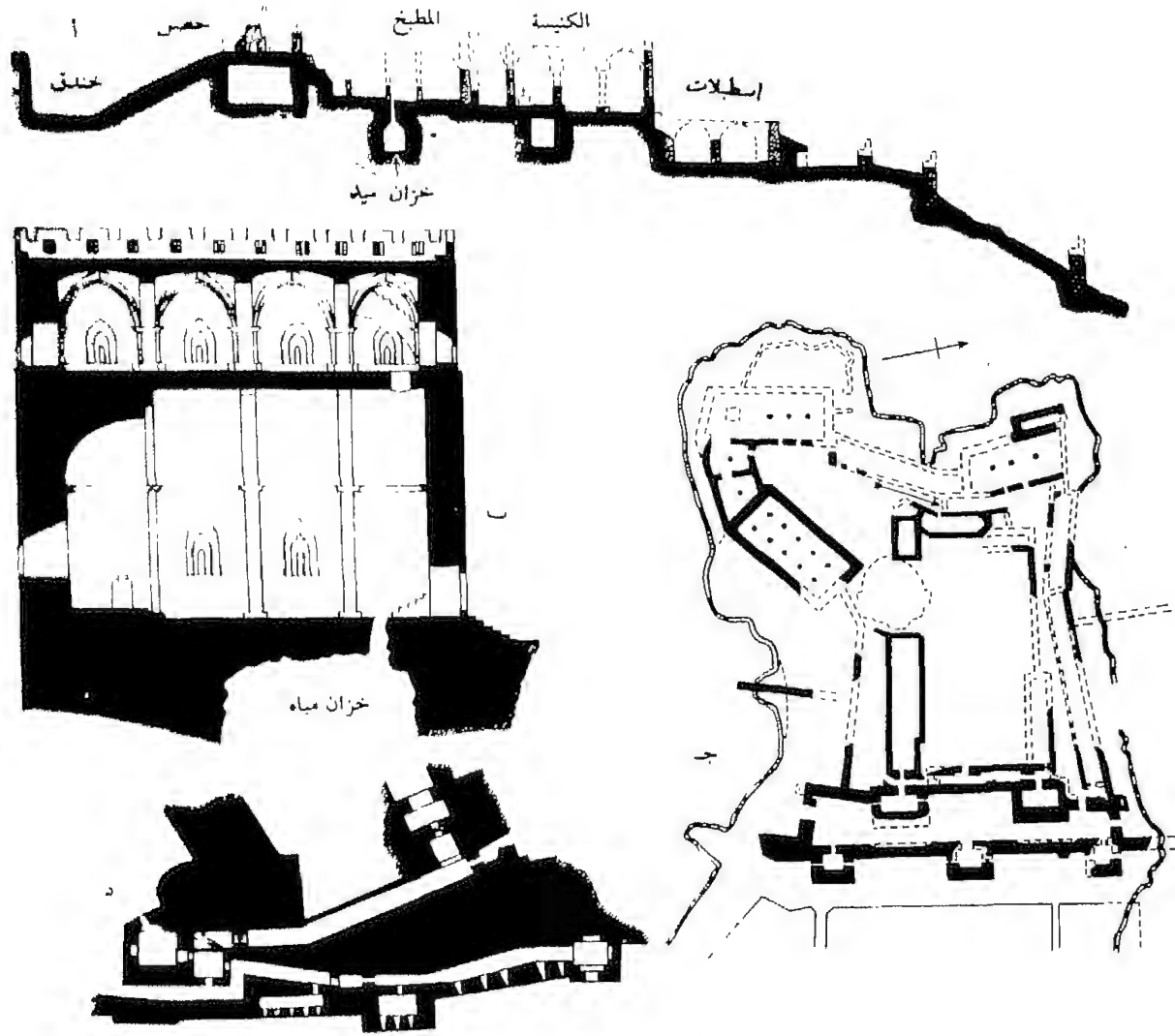
نقش يصور فرساناً و حدود مشاة من ميليشيا مدينة فيرونا.



نقش يصور حصار مدينة القدس أثناء الحملة الصليبية الأولى (بداية القرن الثاني عشر).



نافذة من الزجاج المعشق تصور أحد الفرسان الصليبيين (منتصف القرن الثالث عشر).



قلعة مونفور في الجليل (١٢٢٦ - ١٢٢٩).

(أ) قطاع طولى في القلعة التي أسسها فرسان المبيد.

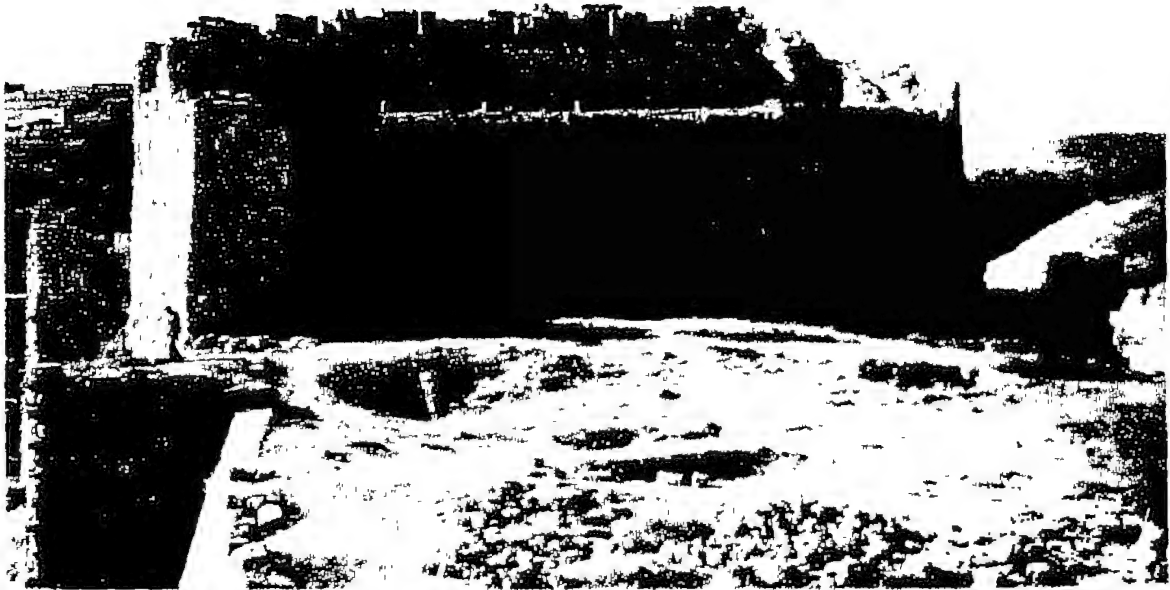
(ب) قطاع طولى في الحصن.

(ج) مسقط لفتى للقلعة الساحلية المعروفة باسم قلعة الحجاج في جنوبى جبل الكرنةك (القرن الثالث عشر).

(د) مدخل قلعة الكرك في سوريا (حالياً في الأردن).



قلعة فرعون على جزيرة قبالة ساحل سيناء.



قلعة الكرك، القسم العلوى من الواجهة الجنوبية لمسقل القلعة، الذى أعيد بناؤه فى عصر صلاح الدين.



إحدى قلاع الامبتارية (الهوسبتالية) فى أرمينيا.



برج جبيل الذى يعتبر من أفضل نماذج المعاليل الحربية فى العصور الوسطى.



رسم جلدی صلیبی پخرج لملاقاء جيش الأمير نور الدین زنکی (۱۱۶۳).

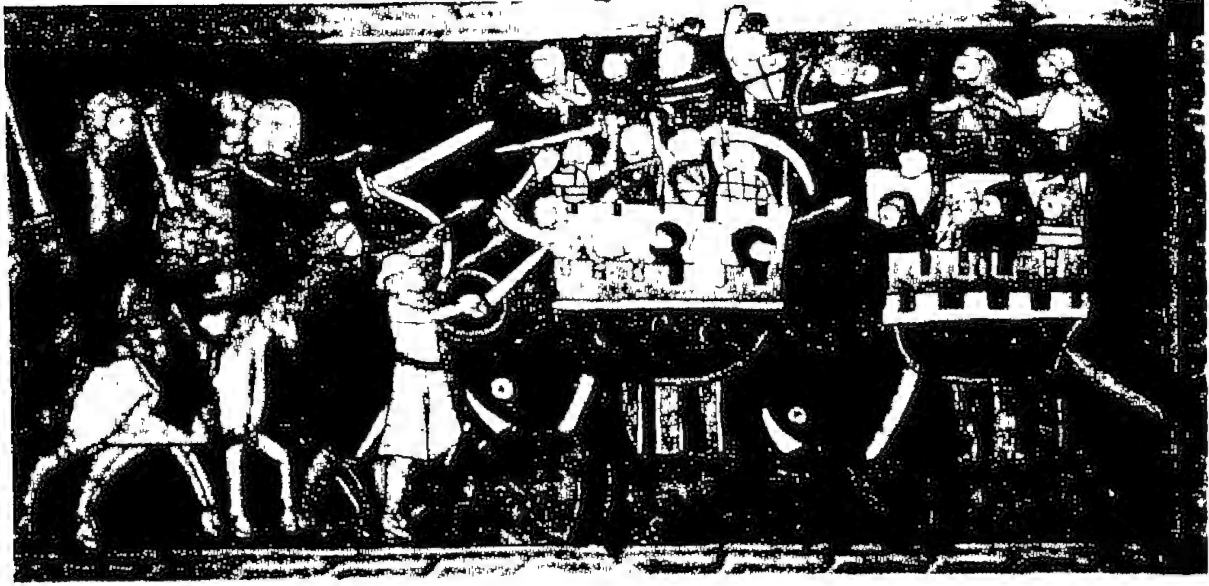


ختم ریتشارد قلب الأسد.



اسد یفتك بفارس اوروبی.





مخطوط يصور معركة بين جيش الإسكندر الأكبر وجيش هندي (عكا ١٢٨٧م) وعلى الفيل الأول نرى جنديين يلتقيان بسـوع من القذائف الحارقة التي كانت مستخدمة آنذاك.



مخطوط يصور الملك نمرود وجنوده (عكا ١٢٨٦) ونرى في الصورة خليطاً يجمع ما بين الطرز التنزيلية والغربية والإسلامية.



تاج عمود يصور مباراة بين جنديين.



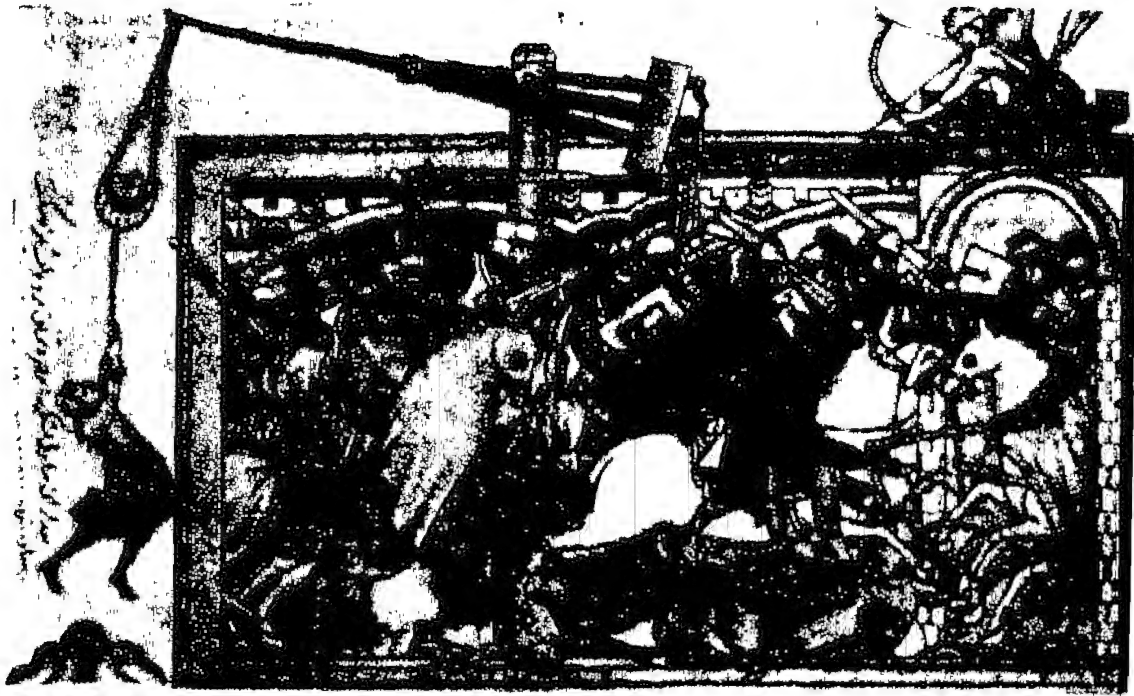
جنود ألمان يهاجمون إحدى القلاع (نهاية القرن لثالثى ء



كوكبة من الفرسان الإيطاليين مسلحين بالرمح و الدروع المستديرة
والقمصان المدرعة. من مخطوطة تعود إلى عام ١٢٩١م.



مدخل كنيسة فرنسية يصور مجموعة من المحاربين يعود إلى عام ١١٨٥.



مخطوط يصور مجموعة من الفرسان الفرنسيين يهاجمون قلعة، لاحظ شكل للملجانيق.



نقش حشبي يصور محارباً إيطاليا من القرن
الثاني عشر.

نقش من كنيسة القديس بارثولمئوس في ليج يصور
محارباً المنيأ من القرن الثلث عشر يلبس قميصاً
مدرعاً وجودة مدببة.



نقش من قبر المسيح في القدس يعود إلى عام ١٣٠٠ تقريباً
يصور جنديين من جنود الحراسة الألمانية، لاحظ شكل
الخوذات والدروع المدببة.

الأحوال إبان الرحف الصليبي

Fulcher of Chartres إلى آسيا الصغرى مع بطرس الساسك .
وانضم فريدرىك إلى جودفرى البويونى فيما بعد . وانضم
أشارد المونتميرلى Achard of Montmerle ، وأنسيلم الريموننتى
Anselm of Ribemont — اللذان كانا يخدمان فى كنف هيو
الفرماندى فى وقت من الأوقات — إلى ريموند السانت جيلى ،
بعد أن ترك هيو الحملة الصليبية . وخدم هيو التشموننتى
Hugh of Chaumont ورالف البيوجنسى Ralph of Beaugency
لفترة من الوقت مع بوهيموند Bohemond ، بعد انسحاب
ستيفن البلوى Stephen of Blois . وعند وفاة أدهيمار
اللوبيوى Adhemar of Le Puy نقل فرسانه ولاءهم إلى ريموند
السانت جيلى ، الذى كان تربطهم به علاقة وثيقة . وأصبح
وليم هيو William Hugh ، من أخلص أتباع ريموند .

وقام الصليبيون الأثرياء بتعيين الفقراء منهم فى
خدمتهم مقابل أجر وذلك فى مراحل تالية للحرب الصليبية .
وربما كان المؤلف المجهول لكتاب أعمال القربة Gesta
Francorum فارسا نورمانديا من جنوب إيطاليا ، وكان قد
سافر مع بوهيموند ، ويبدو أنه دخل فى خدمة ريموند
بايليت Raymond Pilet كما فعل غيره ، مقابل أجر .
ويبدو أنه زحف إلى بيت المقدس تحت قيادة ريموند السانت
جيلى ، الذى عمل عنده ريموند بايليت ورجاله . وفى
المرحلة الأخيرة نشب صراع على السلطة بين ريموند السانت
جيلى ، وجودفرى البويونى مع استخدام المال كوسيلة لتحويل
الولاء . وكانت الأموال تصل إلى جودفرى من أخيه فى البرها

الحملة الصليبية — ١٤٥

الحملة الصليبية الاولى

فى ذلك الحين • وفى الرابع من يناير ١٠٩٩م وافق تنكرد ابن أخت بوهيموند على الدخول فى خدمة ريموند مقابل مبلغ كبير من المال • وبعد حدوث نزاع غير معروف بشأن هذا الاتفاق ، انفصل عن ريموند وانضم الى جودفرى ، ولا بد أنه دخل معه فى اتفاق مماثل ، لأنه منذ الاستيلاء على بيت المقدس اعتبر نفسه أحد فرسان جودفرى ، مما ساعد على خلق مشاعر غير ودية أحدثت انشقاقا خطيرا فى صفوف الجيش • فهجر جاستون البيرنى Gaston of Bearn ، الذى قاد القوات التابعة له بنفسه ، ريموند الذى كان يعمل معه كتابع له • وكان جودفرى قد أرسله مع تنكرد لاحتلال بيت لحم ، فكان مسئولاً عن ادارة آلات الحصار بقيادة جودفرى ، وروبرت الفلاندرى ، وروبرت النورماندى ، أثناء حصار بيت المقدس كما ساعد تنكرد فى احتلال منطقة المعبود • ومن المحتمل أن كلا من جولدمار كاربينيل Goldemar Carpenel ، ووليم المونبلياي William of Montpellier — وهما من الشخصيات المهمة فى قوة ريموند المحاربة — قد سلكا نفس الدرب ، حيث انهما ظلّا مع جودفرى فى فلسطين عندما عاد ريموند الى أوروبا فى الخريف التالى •

وهكذا نرى أن تركيبة طبقة القادة كانت متغيرة ، فلم يكن أتباع القائد من التماسك والثبات بحيث يتمكن من فرض سيطرته ويمد نفوذه على الآخرين •

ولم يقدّر رجال الدين الذين صاحبوا الحملة الصليبية بتوحيد صفوف هذه الحملة • وكان أدهيمار اللوبوى Adhemar Le Puy بمثابة القوة التى تؤلف بين صفوف الحملة ، وكان له سلطة إصدار التشريعات ، ولكن سرعة

الأحوال إبان الزحف الصليبي

مواقف وأنشطة رفاقه عملت على بث الفرقة بين صفوف الحملة بعد وفاته . فقد غادر عشرة أساقفة أبرشياتهم في غرب أوروبا على الأقل ، غير أن أحدهم وهو أودو الببيوى Odo of Bayeux ، مات في جنوب إيطاليا ، فعاد جلبورت الافريوى Gilbert of Evreux الى وطنه اثر ذلك . أما الآخرون فهم أساقفة ستراسبورج Strasbourg ، وأسقف أورانج Orange ، وأسقف أبت Apt البورجندي Burgundy وأسقف لو بوى Le Puy في جنوب فرنسا ، وأساقفة أريانو Ariano وفولينو Foligno ، ومارتيرانو Martirano ، وأناني Anagni في إيطاليا . وبالإضافة الى ذلك ، كان هناك ما لا يقل عن اثنين من رؤساء الشماسة وخمسة من رؤساء الأديرة ، وبضعة رهبان وراهبة من دير القديسة ماري St Mary بمنطقة تريير Trier ، وقد أسر الراهبة أحد الأتراك ثم أغواها أثناء القضاء على جيش بطرس الناسك ، وما لبث الصليبيون أن فكوا أسرها ، ولكنها فرت الى عشيقها التركي . وكان هناك عدد كبير من القساوسة ، ويمكن حصر أسماء ثلاثين منهم . وكان هناك عدد آخر من رجال الكهنوت الأقل رتبة ، وكان بطرس الناسك نفسه بينهم . وارتبط معظم القساوسة بالأساقفة والأمراء وعملوا معهم كمساعدين لهم أو تابعين لهم . وكان لأدهيمار حاشية خاصة من القساوسة والكهنة . وكان لدى جودفري البويونى رئيس لأحد الأديرة يدعى بولدوين بالإضافة الى رئيس شمامسة متز Metz وربما رئيس شمامسة تول Toul . وكان

لدى ستيفن البلوى قس يدعى الاسكندر ، وآخر هو فولشر الشارترى كاتب الحولية Fulcher of Chartres الذى انتقل الى خدمة بلدوين من سولونا فى اكتوبر ١٠٩٧ م ، وأصبح قسا خاصا له . وصار كاتب الحوليات ريموند الأجوليرى Raymond of Aguilers ، الذى تمت رسامته كهنوتيا خلال الحرب الصليبية أحد قساوسة ريموند السانت جيلى ، وكان منهم بطرس الناربونى الذى كان أسقفا للبارة فى سوريا ، وكان فى صحبة ريموند أيضا أسقف أبت Apt . وكان فى صحبة بوهيموند التارانتوى Bohemond of Taranto اثنان من الأساقفة الايطاليين على الأقل . وكان أرتولف الشوكوى Arnulf of Chocques قسا لدى روبرت النورماندى ، غير أنه كان لديه أيضا اثنان من القساوسة على الأقل فى صحبته وهما فيليب المونتجومرى Philip of Montgomery وروبرت اليرونى Robert of Rouen ، وكان للقرار الذى اتخذه البابا أوربان الثانى فى مجمع كليرمونت أهمية خاصة ، وتكمن أهميته فى أنه نص على تعيين أول بطريرك لاتينى فى فلسطين ، وأول أسقف لاتينى فى فلسطين من النورمان . وأدى هذا التعيين الى حمل المرء على الاعتقاد بإمكانية أن يصبح الدوق روبرت أحد حكام بيت المقدس فى المستقبل . واذا عدنا لموضوع الطبقة الوسطى minores فقد كان روجر Roger قسا خاصا لأنسيلم الريمبونتى Anselm of Ribemont وكان بطرس دزيرىوس Peter Desiderius قسا خاصا لايذوراه الديى Isord of Die . وكان بطرس البيكاوى Peter of Picca قسا خاصا لبرنارد السكاپريكاوى

الأحوال إبان الزحف الصليبي

Bernard of Scabrics ومن الجدير بالذكر أن الكهنة الدير رافقوا الحملة الصليبية لم يكونوا من صفوة رجال الكنيسة المعاصرة فقد عمل عدد كبير منهم لدى بيوت عليّة القوم *

وبرغم ذلك فقد كانوا يعتدون بأنفسهم ، فعندما انعقد اجتماع للأساقفة والقادة العلمانيين في أنطاكية تحت قيادة أدهيما Adhémar لمناقشة موضوع إقامة كنيسة لاتينية أصبح هذا الاجتماع معروفا باسم مجمع أنطاكية . شارك كل من اسقف أبت Apt ، والقس ريموند الأجوليرى Raymond of Aguilers ، وقس آخر يدعى سمعان Simeon وبطرس برثولوميو Peter Bartholomew الرائي ، الذي اختاره رجال الدين بمقاطعة بروفنسال Provençal . ومن المرجح أن رجال الدين عاشوا بمفزل عن العامة . وكانوا تحت رئاسة أدهيما ممثل البابا حتى وفاته في أول أغسطس ١٠٩٨ م ، على الرغم من أن البابا عين اثنين على الأقل من بين الكهنة للعمل قساوسة للأمرأ وهما . أرنولف الشوكي Arnulf of Chocques ، والاسكندر للعمل كمفوضين مساعدين . ومن المحتمل أن الأسقف وليم الأورانجي William of Orange وبطرس الناربوني Peter of Narbonne قد حصلوا على تفويضات أيضا ، إذ أخذ وليم الأورانجي على عاتقه تحمل المسؤولية الى أن وافقه المنية في العشرين من ديسمبر ١٠٩٨ م . وبعد أن انفرط عقد الجيش ، أصبحت السلطة مقسمة بين بطرس الناربوني الذي صار أسقفا للبارة ، ورجل الدين Peter of Narbonne

الحملة الصليبية الاولى

الوحيد الذى استطاع الصمود فى وجه الأمراء ، وتزعم قيادة القساوسة المصاحبين لريموند السانت جيلى Raymond of St Gilles ، وبين أرنولف الشوكى Arnulf of Chocques ، الذى تولى قيادة رجال الدين بالقوات الأخرى .

أما أولئك القوم الذين كرسوا أنفسهم للعمل لدى عامة الناس ، فلم يكونوا معروفين بالاتجاه العقلى المستقل ، او تزعم حركة الاصلاح بالكنيسة . وكانت المدة الأخيرة من القرن الحادى عشر الميلادى فترة تغير سريع فى الفكر الكنسى ، وكانت الحملة الصليبية تعبيرا عن هذا التغير فى الفكر ، غير أن رجال الدين المسيحى بصفة عامة كانوا جماعة من الرجال من أصحاب النظرة الرجعية . لقد كان أدهيما رجل اصلاح يتمتع بالكفاءة . وكان وليم الأورانجى أيضا صاحب شخصية متميزة ، وكان البابا قد أرسله الى جنوة فى مهمة تتعلق بالحروب الصليبية ، وعلق ريموند الأجليرى على حالة الضعف التى اعترت رجال الدين المسيحى المرافقين للحملة الصليبية نتيجة لوفاة هذين الأسقفين اللذين كان فى استطاعتهم مقاومة الضغوط التى مارسها الشخصيات العلمانية . وكان أسقف فولينو Foligno ، وهو بونفيليوس المبارك Blessed Bonfilius مصلحا غيورًا ، وعاش كناسك فى الأرض المقدسة لمدة عشر سنوات بعد الحرب الصليبية الأولى . كان ستيفن البلنسى Stephen of Valence صاحب سيرة فاضلة . وكان بطرس النربونى Peter of Narbonne على درجة كبيرة من النزعة الاستقلالية والكفاءة ، واشتهر بعلمه الواسع ، وعاش حتى العشرينات

الاحوال ابان الزحف الصليبي

من القرن الثانى عشر جامعا بين منصبى أسقف البارة ورئيس أساقفة أفامية Apamea . وكان أرنولف الشوكى Arnulf of Chocques - الذى صار فيما بعد بطريركا لبیت المقدس - عالما مشهورا . وكان قبل ذلك معلما خصوصيا لسيسليا Cecilia ابنة وليم الأول ملك إنجلترا ، ومعلما خصوصيا أيضا لرالف الكاينى Ralph of Caen كاتب سيرة حياة تنكرد Tancred . وكان روبرت النورماندى - الذى كان أرنولف يعمل قسيسا ومستشارا لديه - قد وعد بأن يساعد أرنولف فى تولي منصب أسقف نورماندى بمجرد أن يصبح هذا المنصب شاغرا ، وذلك بعد الحاح شقيقته على ذلك . وكان أرنولف خطيبا مفوها وكانت مواعظه مثار اعجاب الكثيرين من الصليبيين . وكتب شهود الهميان ثلاث أو أربع روايات ، قام القساوسة بكتابتها كلها أو بعضها ، وهؤلاء القساوسة هم ريموند الأجوئيرى ، وبطرس التيدبودى Peter Tudebode وفولشر الشارترى . وكان ريموند خير مثال على القس الذى يعظ فى المنازل وكان فولشر متوسط الثقافة .

ومن ناحية أخرى كان أرنولف الشوكى Arnulf of Chocques مشهورا بالتفوه بالألفاظ المنحطة فضلا عن ولعه بمغازلة النساء ، ويقال انه تم تأليف الأغاني المبتدلة أثناء الحروب الصليبية للتشهير به . وكان صديقه الخميم الأسقف أرنولف المارتيرانوى Arnulf of Martirano رجلا فاسدا

ويكاد أن يكون أميا • أما أدلبرو اللوكسمبورجى Adelbero of Luxembourg فقد كان شابا أرس تقراطيا وشغل وظيفة رئيس شمامسة متر Metz ، وقد ذهب مع بعض أصدقائه ومعهم امرأة جميلة ليلعبوا النرد dice بين الشجيرات النامية بالقرب من أنطاكية ، غير أن جماعة من المسلمين نصبوا لهم كميناً وقتلوه • كما أن برتراند الباسى Bertrand of Bas the tithes ، وهو كاهن فى كاتدرائية لوبوى Le Puy ، كان قد وضع يده على عشور بوزاك of Beauzac بطريقة غير شرعية • ولما تعرض لمرض خطير فى عرض البحر - وربما كان ذلك فى طريق العودة للوطن - طلب من رفاقه أن يشهدوا بأنه تركهم للتوجه الى كنيسة الأبرشية التى يتبعونها • وانضم عدد من الرهبان الى الحملة الصليبية دون الحصول على اذن من رؤسائهم ، وكان أحدهم من كلونى Cluny ، وقد شارك فى الحملة ، « ليس بدافع الورع وانما من منطلق الطيش » • فقد ضبطوه مع امرأة ، وضربوه بالسياط علنا أمام الجميع • ومن الطبيعى أن تجذب الحرب الصليبية اهتمام المتحمسين والمحتالين ، ومن بينهم أتباع فرقة شاذة كانت تحت رياسة امثش اللينجنى Emich of Leiningen ، وهم الذين بجلوا اوزة اللينجنى ، واعتقدوا أنها مملوءة بالروح القدس the Holy Spirit كما قام عدد من الأفراد برسم صلبان على أجسادهم عن طريق الوشم باللون الازرق أو الوشم بالنار ، وربما كانوا تحت تأثير حالة من الهستيريا أو ضحية للخداع • وكان الأب بولدوين Abbot Baldwin القس التابع لحدود فرى البويونى أكثر أولئك

الأحوال إبان الزحف الصليبي

تأثرا وشم جبهته بالنار بعلامة الصليب ، ومول رحلته الى الشرق بما قدمه المؤمنون من اعانات ، فقد كان أولئك المؤمنون يعتقدون بأن احد الملائكة يقودهم الى الشرق . وفي أنطاكية أعلن الأب بولدوين توبته ، وأصبح فيما بعد رئيسا لدير القديسة مريم وأول رئيس أساقفة لاتيني في قيصريّة Caesarea . وعلى الرغم من عدم وجود دليل على أن أدهيمار قد سبق له حمل السلاح ، فمن المؤكد أنه كان لديه قوات تحت امرته . كما كان هناك أحد الكهنة ، وهو قس من بروفنسال Provençal وكان مولعا بالقتال ، واستخدم القوس والنشاب ضد اليونانيين وهو في مؤخرة سميّة . وعندما نفذت السهام الصغيرة لديه ، استخدم الأحجار والأواني الفخارية الصغيرة ، وبذلك اقحم نفسه في القتال مخالفا أوامر القبايون الكنسي التي حظرت القتال على رجال الدين ، وكانت الحاجة تقضى بضرورة طاعة هذه الأوامر . وما كان يمكن للمرء أن يتصور امكان قيام رجال الدين بفرض القيود على الصليبيين ، في الوقت الذي كان قادة أولئك الصليبيين اسيادا لرجال الدين .

ومع ذلك فقد احتفظ رجال الكنيسة ببعض السلطة من خلال حقهم وواجبهم في القاء العظايا ، ويعتقد المعلقون أن أدهيمار سلم ، « مهمة التعليم الكهنوتي » ، وهو على فراش الموت الى أرنولف . وهناك عدة عظايا دينية رهيبة العبارة ، نقلها كتابها عن أصحابها كما هي دون تغيير ، غير أن الدليل على صدق محتوى العظايا الدينية لا يتوافر الا من خلال العظايا التي ألقيت في الموكب التكفيرى العظيم الذي سار حول مدينة بيت المقدس في الثامن من يوليو ١٠٩٩ م ،

حين خف حصار المدينة ، وانقسم الجيش بسبب المشاعر العدائية التى انتشرت بين المقاتلين بعد أن فر تنكره Tancred مع عند ريموند السانت جيلى ، وذهب الى جودفرى البويونى . وتوقف الموكب عند جبل الزيتون وهناك ربما انقسم الى مجموعات أو أنه استمع الى مواعظ دينية ألقاها أرثولف الشوكى ، وبطرس الناسك ، وريموند الأجليرى ، وغيرهم . وتعرض الوعاظ فى حديثهم لموضوعين هما : نعمة الرب التى مكنت الصليبيين من الوصول الى مكان صعوده الى السماء ، والحاجة الى الوثام المتبادل بينهم . وتأثر الجيش بهذه الموعظة تأثرا بالغا .

ولعب رجال الكنيسة دورا ايجابيا أيضا عندما قاموا بمهام التعبد الخاصة بأسرار الكنيسة المقدسة . فكان القداس يقام بانتظام ويتكرر قبل خوض غمار المعارك المهمة ، كما حدث قبل معركة أنطاكية ، وقبل أن يخرج الجيش المسيحى من بيت المقدس لملاقاة المصريين فى أغسطس ١٠٩٩م . ويبدو أن كل الصليبيين اعترفوا لكهنتهم ومارسوا سر التناول المقدس بعد عبور مضيق البوسفور « عند مداخل أرض الأتراك » ، وقبل القيام بأى عمل عسكرى . وتوجد اشارة واحدة تدل على حدوث أمر كان كثير الوقوع : وهو أن المصابين اصابات خطيرة أقبلوا على ممارسة سر التناول المقدس ، بعد مسحهم بالزيت . وكان الصليبيون يحتفلون باستيلائهم على الأماكن المقدسة ، بعد تخليصها من أيدي المسلمين ، بممارسة طقوس التطهير . ولسوء الحظ ، فإن البراهين المتوافرة لدينا لا تشير الا الى حادث واحد من هذه الحوادث التاريخية ، وهو استعادة كاتدرائية القديس بطرس

الأحوال إبان الزحف الصليبي

فى أنطاكية من أيدي المسلمين ، بعد أن كانوا قد حولوها الى مسجد . وتم وضع صورة المسيح والقديسين فى أماكنها . وقام الصليبيون باغادة ترميم هذه الصور . وتمت دعوة رجال الدين الاغريق واللاتين ، وتم اعداد أثواب كهنوتية من الغنائم التى جمعت عندما تعرضت أنطاكية للسلب وللنهب بعد الاستيلاء عليها . وقبل خوض المعارك الحاسمة توقع الصليبيون الحصول على البركات المقدسة . وارتدى أدهيمار ورجال الدين الملابس البيضاء وباركوا القوات الصليبية قبل معركة أرضروم وأنطاكية ، وخرج الجيش من بيت المقدس فى شهر أغسطس ١٠٩٩ م ، ويقال انهم عثروا على جزء من الصليب الحقيقى ، واحتفظوا بهذا الأثر ، وكانوا يكتنون له كل احترام وتبجيل . وكانت الصلوات الشغل الشاغل لرجال الدين عندما تدور رحى الحرب . وعندما شن الصليبيون هجوما مضادا لفك الحصار الذى ضرب عليهم أثناء وجودهم داخل أنطاكية فى الثالث والعشرين من يونيو ١٠٩٨ م ، وانطلق أدهيمار وجماعة من رجال الدين الذين كانوا يرددون الصلوات وتبعهم قساوسة آخرون ، ارتدوا الملابس البيضاء ، وكانوا حفاة ويحملون الصليبان - يرددون الدعوات ، وهم على أسوار مدينة أنطاكية . وكانت الشموع الضخمة تضاء فى الكاتدرائية وفى كنيسة تحمل اسم مريم ابنة عمران لزيادة الأثر النفسى الذى تحدثه تلك الصلوات . ووقف قساوسة وكهنة وهم فى زيهم الكهنوتى الأبيض يصلون خلف برج محاصر عند معرة النعمان فى ديسمبر ١٠٩٨ م ، ويقال انه عندما توقف النشاط داخل برج عند محاصرة بيت المقدس فان صلاة القساوسة وهم فى زيهم الكهنوتى الأبيض

جعلت الحركة تدب في ربوع البرج الذي توقف عن العمل .
وأثناء المعركة المحدودة التي سبقت معركة عسقلان
نظم بطرس الناسك صلاة مستمرة قدمها رجال الدين في
بيت المقدس . وفي الحقيقة كان الجيش الصليبي في حالة
صلاة مستمرة ، فكل مسيرة وكل حادث كبير ، وكل خطوة
يخطوها الجيش لبدء مرحلة جديدة من مراحل الزحف ،
كانت مصحوبة بصلوات الشفاعة . وكان هناك اهتمام
شديد بأداء الطقوس الدينية بين القوات المتحاربة . وكان
الصليبيون يهتمون اهتماما شديدا بالتعاليم الدينية التي
تحض على تحمل المسؤولية ، وكان رجال الدين يترنمون
بهذه التعاليم في صلواتهم على مدى خمسة أيام متصلة ،
ويشاع أن عيسى عليه السلام أبلغ القس ستيفن البلنسي
Stephen of Valence بهذه التعاليم في رؤى عام ١٠٩٨ م .
وكانت الصلاة التي أدخلها بطرس بارثولوميو Peter
Bartholomew الرائي ، والخاصة بالحربة المقدسة ، مثار
دهشة رجال الدين حين سمعوا هذه الصلاة من هذا الرجل
الأمي . وكان حرص فارس يدعى متى - وكان ضمن فرسان
بطرس الناسك - على أداء الشعائر الخاصة بزيارة الأماكن
المقدسة بالقسطنطينية أمرا جديرا بالملاحظة .

وكانت صلوات الحروب الصليبية تبرز بكل وضوح
الطقوس الدينية المصاحبة لزيارة الأماكن المقدسة . وخلقت
الحرب الصليبية انطبعا في نفوس المعاصرين كأنها دير
مسلح متنقل ، وفي حالة صلاة مستمرة . وفي مرتين شبه
ريموند الأجوليرى نظام الجيش أثناء المعركة بالموكب
الكنسي . وكان أمرا شائعا في ذلك العصر أن تجد مخاوف

الاحوال ايان الزحف الصليبي

الصليبيين وآمالهم متنفسا لها فى صورة مواكب تكفيرية . وبعد أن داهم زلزال معسكر الصليبيين عند أنطاكية فى الثلاثين من ديسمبر ١٠٩٧ م ، لم يكتب أدهيمار بأمر رجال الدين بإقامة الصلوات والقداصات ، وانما أمرهم بالسير فى مواكب . وفى آخر يونيو ١٠٩٨ م وأثناء الاستعدادات التى استغرقت ثلاثة أيام قبل أن يقوم الصليبيون الذين كانوا داخل أنطاكية بشن هجمة مفاجئة لفك الحصار الذى ضربه كربوغا حولهم ، كانت هناك مواكب دينية سار الجميع فيها حفاة من كنيسة الى أخرى داخل المدينة . وفى الثالث عشر من يناير ١٠٩٩ م قاد كل من ريموند السانت جيلى ، وبطرس الناربونى ، ورجال الدين جيشا من معرة النعمان متجهين صوب الجنوب وهم حفاة . وكان بطرس بارثولوميو قد نقل التعليمات التى تقضى بالآ يزيد اقتراب الجيش من بيت المقدس على فرسخين . ويذكر لنا أحد التقارير الخاصة بالتعليمات التى نقلها أدهيمار للصليبيين أن موكبا عظيما شق طريقه خارج مدينة بيت المقدس ، بصحبة رجال الدين الحفاة الذين كانوا يرتدون لباس الكهنوت ، ويحملون الصليبان ويدقون الطبول ويغنون بالمزامير ، وانتقل هذا الموكب من مكان مقدس لآخر خارج أسوار المدينة المقدسة . وعلى جبل الزيتون أقيمت المواظب الدينية ، وبعد سقوط بيت المقدس فى الخامس عشر من يونيو ١٠٩٩ م ، سار موكب دينى مهيب آخر وكان الجميع حفاة ، وكانوا ينشدون ، « أنشودة جديدة للرب The Lord » . وتحرك الموكب الى القبر المقدس ، وواصل مسيرته حتى كنيسة القيامة The Temple . وفى الماشر من أغسطس ١٠٩٩ م ،

وبعد أن ذهب الجيش الصليبي لملاقاة المصريين في فلسطين خرج رجال الدين الاغريق واللاتين في بيت المقدس في موكب وكانوا حفاة يرتدون الملابس الكهنوتية ويحملون الصليبان ، ومروا على القبر المقدس وكنيسة القيامة . ومنذ أن وصل الصليبيون الى بيت المقدس قامت جماعات منهم بزيارات مقدسة لنهر الأردن ، حيث أجروا طقوس التعميد من جديد . وكانت الحملات الصليبية خير تعبير عن مشاعر التوبة المتأججة في صدور الصليبيين ، بكل ما عرف عن هذه الحملات من تنظيم للمسيرات ، واقامة الشعائر الدينية ، كما عبرت مشاعر التوبة عن نفسها في صورة تقديم العشور والصوم . وصام الصليبيون في آخر يونيو ١٠٩٧ م قبل مغادرة مدينة نيقية ، وفي منتصف أبريل ١٠٩٩ م قبل أن يفضوا الحصار على مدينة الرقة ، وقبل القيام باختصار الحاكم الجديد لمملكة بيت المقدس في الثاني والعشرين من يوليو ١٠٩٩ م . ووضع أدھمار سنة جديدة تتمثل في الصيام ثلاثة أيام ، وذلك بعد وقوع زلزال في الثلاثين من ديسمبر ١٠٩٧ م ، قبل معركة أنطاكية التي دارت رحاها في الثامن والعشرين من يونيو ١٠٩٨ م ، ثم تكرر هذا الصوم قبل المحنة التي تعرض لها بطرس بارثولوميو Peter Bertholomew في الثامن من أبريل ١٠٩٩ ، وقبل الموكب الديني حول بيت المقدس في الثامن من يونيو ١٠٩٩ م . ولا ريب أن هذا الصيام المتكرر كان له وقع كبير في نفوس الصليبيين ، فما كان بإمكانهم أن يمتنعوا عن هذا الصيام ، لأن عدم الصيام كان يعنى ازدياد حدة مشكلة المجاعة التي كانوا يعانون منها بالفعل . ويروى أنه أثناء

الاحوال ابان الزحف الصليبي

صيام الصليبيين فى أنطاكية ، وصل الأتراك الى أسوار المدينة ، ومعهم أرغفة من الخبز الأبيض لاغراء الصليبيين الذين يتضورون جوعا داخل المدينة ، والسخرية منهم * وتصبح الانجازات التى قام بها الصليبيون أكثر روعة - الى الحد الذى لا يصدق - حين نعلم أنهم كانوا يقبلون على خوض المعارك وهم جياع ، وكانوا يحرصون على تزويد جيادهم بمزيد من العلف ، فى الوقت الذى كان ينبغى عليهم ملء بطونهم قبل خوض المعركة * وقد يتساءل المرء قائلا كيف كان لأولئك القوم طاقة على الحرب ، وهم يتضورون جوعا ١٩ *

وقام رجال الدين بوضع سلسلة من صيغ القسم المقدس التى كان لها أثر كبير فى جعل الجيش الصليبي متماسكا * ومن الممكن اعتبار هذا القسم المقدس نوعا من التجديد للنذور القديمة الأولى ، وربما عند بدء محاصرة نيقية ، وعند بدء محاصرة أنطاكية ، أقسم الصليبيون على مواصلة تطويقهم للمدينة الى أن تسقط مهما تكن مدة الحصار * وأقسم كل من روبرت النورماندى ، وجودفرى البويونى ، وروبرت الفلاندرى بآلا يهربوا من المعركة بعد أن شاهدوا علامات الهروب الجماعى الذى حدث من مدينة أنطاكية فى يونيو ١٠٩٨ م * وأضاف تنكرد Tancred قائلا بأن لديه الأموال التى تمكنه من دفع رواتب الجند ، وأنه لن يهرب من بيت المقدس ، طالما بقى معه أربعون فارسا تحت امرته * وعند الزملة كان هناك تجديد للقسم المقدس ، وتوسلات لشفاعة القديس جورج St. George عند انشاء أسقفية لاتينية عند قبره بالقرب من مدينة اللد Lydda ،

وما كان لقوة الدين الرامية لتوحيد صفوف الصليبيين واقتناعهم بأنهم يدافعون عن قضية مقدسة ، أن تساعد قيادة الجيش الضعيفة على أن توحد صفوف الجيش الممزقة . وتفتت شمل الجيش الصليبي بسبب الاختلافات القومية . وعلى الرغم من أن الحملة الصليبية الأولى كان ينظر اليها على أنها مشروع فرنسي وعمل قومي ، فإنها احتوت على أعداد كافية من جنسيات أخرى الى الحد الذي أعطى انطبعا لمن شارك فيها بأنهم كانوا في جيش يتكون من جنسيات مختلفة . وبالإضافة الى ذلك فإن سكان فرنسا ذاتها لم يعتبروا أنفسهم ينتمون الى أمة واحدة . فعلى الرغم من أن مصطلح « فرنجة » اشتمل على أناس من غرب ألمانيا ، فقد كان أهالي بروفنسال Provençals يعاملون ، وكأنهم ينتمون الى جنس آخر غير الفرنجة ، وتوترت العلاقات بينهم وبين الفرنسيين . ومن الجدير بالذكر أنهم تخلوا عن صيحة المعركة : « هذه ارادة الله Deus hoc vult » ، التي استخدمها الفرنسيون الشماليون ، والنورمان في جنوب فرنسا ، واستخدموا صيحة أخرى هي . « الله في عوننا » . ويقال ان صيحة المعركة جاءتهم عن طريق شخص كثير الرؤى ونصحهم باستخدامها . وتفاقت العلاقات المتوترة بين الجماعات التي اعتبرت نفسها تنتمي لأجناس مختلفة بسبب الخلافات حول الغنائم .

ومع وجود الانقسام بين الصليبيين ، وعدم وجود قائد قومي بينهم ، كان لابد من وجود لجان تنظم أمورهم . وعلى قمة هذه اللجان كان هناك مجلس الأمراء الذي ازداد

فيه عدد الحاضرين من وقت لآخر . وشارك الأساقفة ممثل البايا في اجتماعات المجلس أحيانا ، وحضر تنكره في مناسبة واحدة على الأقل ، وتمت دعوة روجر البارنفيلي Roger of Barneville المحنك لحضور مداولات المجلس . وعقد هذا المجلس بعض اجتماعاته في كاتدرائية أنطاكية واختار أعضاء المجلس السفراء الذين سيمثلون الجيش كله وناقشوا الخطط الحربية . وفي شتاء ١٠٩٨ - ١٠٩٩ م كانت هناك مباحثات مضيئة بشأن الوقت الذي يجب فيه استئناف الزحف على بيت المقدس . وكان المجلس منعقدا لدراسة وضع المؤن حين يشتد العجز ، وينبئ بالخطر ، واختار المجلس أسقفا للرملة واللد Lydda . وانهقد هذا المجلس في وقت خرج في أنطاكية . وأثناء الاجتماع المهيّب وعد الأمراء بعضهم بعضا بعدم ترك ميدان القتال . كما أنه انعقد أيضا لبحث من يجب أن يحكم أنطاكية ، وربما بيت المقدس ، على الرغم من أن القرارات الرسمية تم اتخاذها في اجتماع أكثر عددا . فلم يكن هذا الاجتماع هو الاجتماع الوحيد من شوعه الذي كان يحضره الأمراء ؛ إذ انهم كانوا في بعض الأحيان يحاولون معرفة آراء أتباعهم في اجتماعات مصفرة ، ومن حين الى آخر كان الجيش كله يحضر اجتماعا عاما ، فقد اختار الأمراء ستيفن البلوى Stephen of Blois قائدا عاما في اجتماع ضم كل أفراد الجيش ، وقال ستيفن : « ان كل الأمراء اختاروه وبموافقة كل أفراد الجيش » . ويبدو أن المناقشات المتعلقة بنظام الحكومة في أنطاكية وبيت المقدس دارت على نفس المكان ، ويمكننا معرفة الاجراءات التي اتخذت أثناء انعقاد الاجتماعات في كاتدرائية أنطاكية حيث انتحى

الحملة الصليبية الأولى

الأمراء والأساقفة جانبا عن الباقين وتجمعوا حول ما كانوا يعتقدون أنه العرش الأسقفى للقديس بطرس ، وأصدروا قرارا أبلغوه للناس فيما بعد . وأصر عامة الصليبيين على انتهاج طريقة متطرفة في أكتوبر ١٠٩٨م عندما تقرر تنصيب أسقف لاتيني في البارة . وأراد ريموند السانت جيلي أن يتصرف وفقا لقرار أوروبان في مجمع كليرمونت وعلى نفس المنوال الذي اعتاده في فرنسا ، وذلك بمناقشة التعيين مع القساوسة ورؤساء تابعيه فقط ، قبل أن يتخذ قرارا شخسيا . بيد أن عامة الشعب الصليبي طالبوا بعملية التصويت ، ومن ثم تحديد المرشح الذي اختاره ريموند عن طريق التصفيق . ومن الجدير بالذكر أن طريقة الاختيار هذه التي طالب بها جميع الصليبيين الذين تأثروا بأفكار الإصلاح ، لم تكن هي الطريقة المتبعة حين تم تعيين أسقف الرملة واللد . وفي ذلك الحين كان كل الأمراء موجودين في الجيش ، وفي فبراير ، وأبريل ، ويونيو ١٠٩٩م ، كانت هناك اجتماعات عامة أيضا لمناقشة أمر الزحف صوب بيت المقدس ، وما كان يلقاه من استحسان ، وفي اجتماع آخر تقرر القيام بمسيرة تكفيرية في الثامن من يوليو من نفس العام .

وهكذا كانت هناك لجنة تضم كبار السادة تتولى شئون الحرب الصليبية معظم الوقت . وليس هناك شيء غير عادي في ذلك ، بيد أنه لا أحد من هؤلاء الرجال الكبار كان واثقا من قوته ، كما لم يكن أحد منهم متأكدا من ولاء أتباعه له ، إذ كان في استطاعتهم الانصراف عنه والانضمام الى غيره بسهولة . وباستثناء فترة القيادة القصيرة التي تولها

الاهوال ايلن الزحف الصليبي

ستيفن ألبوى ، وربما خلالها أيضا كان أدهيمار يسيطر على هذه اللجنة : ففي ليلة العاشر من يونيو ١٠٩٨ م ، شاهد ستيفن البلسي Stephen of Valence المسيح فى المنام ، وأبلغه بأن ، « لا يوجد سيد أعلى بينكم ، وإنما على الشعب الثقة فى الأسقف أدهيمار أكثر من أى شخص آخر » . وليس من المدهش أن موت أدهيمار فى الأول من أغسطس ١٠٩٨ م قد أضعف عزيمة الجند . وفى بداية الأمر انتشر القادة فى المناطق التى يمكن الحصول منها على المؤن والعلف بالسطو والنهب ، وسيطر عليهم الخوف من الوباء الذى راح أدهيمار ضحية له . بيد أنهم بعد عودتهم واجتماع كلمتهم لم يتمكنوا من الموافقة على الخطوة التالية وظلوا منقسمين على أنفسهم لمدة ستة أشهر ، قبل أن يسيروا متثاقلين خلف ريموند السانت جيلى الذى أجبره أتباعه على الزحف الى بيت المقدس ، وما من شئ يستطيع الكشف عن مواطن الضعف فى الجيش أكثر من وجود قيادة ممزقة .

ان نوعية القيادة ، أو بالأحرى الافتقار اليها انعكس على معنويات الجند وانضباطهم ، وكان بالجيش عناصر منحلة وسط هذا الحشد الهائل والمتنوع من الجند ، بل ان هذا الجيش عانى المشكلات المتعلقة بالجريمة وفساد الأخلاق ، رغم أن كثيرا من المعلقين حاولوا اضافة طابع النقاء والطهارة على هذا الجيش . وفى غرب أوروبا اعتقدت بعض الدوائر أن الانضباط كان جيدا أثناء محاصرة نيقية ، وأثناء حياة أدهيمار ، وكان هناك شئ من السيطرة على الفوضى حتى أثناء شتاء عامى ١٠٩٧ - ١٠٩٨ م . وفى ذلك الحين أصدر الأمراء والأساقفة ورجال الدين تشريعات لكل الجيش

الصليبي تنص على معاقبة استخدام الأوزان والمكاييل الزائفة ، والجوع للخداع ، والسرقه ، والفش ، والزنا ، وكانت عقوبات هذه الجرائم هي السجن والجلد والكى بالنار . فعلى سبيل المثال كان الزناة يجردون من ملابسهم ويجلدون بالمعسكر . وكانت كثرة عدد النساء - سواء اللاتى جئن من أوربا للحج ، أو النساء الشرقيات - تمثل مشكلة خاصة ، ولكنها كانت مشكلات فردية ، وذلك لأن قوانين وشرائع الحج كانت تقضى بالامتناع عن ممارسة العملية الجنسية . وكان الحل الذى توصل اليه أدهيمار اللوبوى Adhémar of Le Puy بسيطاً . فمع بداية ظهور المجاعة فى ديسمبر ١٠٩٧م أصدر قرارا بطرد كل النساء من معسكر الرجال سواء المتزوجات أو غير المتزوجات ، ومعنى ذلك أنه قد تم عزل النساء فى معسكر خاص بهن . وانتهى عزل النساء بعد سقوط أنطاكية بنتائج طيبة ، غير أنه عندما أصبح الصليبيون محاصرين داخل أنطاكية ، وأحاط المسلمون بالمدينة أمر أدهيمار بالعودة الى عزل النساء ثانية .

وفى يوليو ١٠٩٨م ، وعند موت أدهيمار ، تنازع الأمراء حول امتلاك أنطاكية ، وانهار النظام كليه . ولجأ القادة ومعهم أتباعهم الى عمليات السلب والنهب ، وتبهم عامة الصليبيين . ويقال ان كل فرد أخذ ما أراد لأنه لم يكن هناك قضاة لمحاكمة المجرمين . وزاد الموقف سوءا بعد موت أدهيمار ، واستمرار الانقسامات بين الأمراء الصليبيين . ولم يقم رجال الدين باتخاذ أية مبادرة من أجل تحقيق الانضباط ، بالرغم من أن الأساقفة شاركوا الأمراء فى محاولة

الأحوال ابن الزهف الصليبي

للفصل في المنازعات التي قامت بشأن امتلاك انطاكية ،
وقام رجال الدين من بروفنسال Provençal بفرض العقاب
على بطرس بارثولوميو Peter Bartholomew ، وهو ما
سنعرض له فيما بعد . وفي رؤيا بطرس بارثولوميو اشارة
الى عدم وجود العدل في الجيش ، وفي احدى الرؤى التي
كانت ليلة الخامس من أبريل ١٠٩٩ م ، أمر المسيح بوجود
نظام جديد للعدالة في المعسكر الصليبي مع وجود قضاة من
سلطتهم حق مصادرة ممتلكات المذنبين . وان كشفت هذه
الرؤى عن شيء ، فانما تكشف عن مدى القلق الذي ساور
الصليبيين العاديين بسبب غياب القانون .

كانت حالة الفوضى ثقيلة الوطأة على الفقراء بصفة
خاصة ، ممن كانوا لا يتبعون قائدا شهيرا . واتضح
استقلالهم عن القادة في الطريقة التي سلكها المنادون heralds
قبل معركة انطاكية عندما كانوا يدعون الفقراء للانضمام
الى أية فرقة عسكرية يرغبون في الانضمام اليها . غير أن
استقلال الفقراء كان موطن ضعف من الناحية الواقعية
لأنه كان يعنى حرمانهم من حماية الشخصيات الكبرى لهم ،
وكان الحل الذي اهتمدى اليه بعضهم هو تنظيم أنفسهم في
صورة مجموعات . وانتشرت اشاعة في أوروبا ، أن الأولاد
اليتامى قاموا بتشكيل فوج عسكري وتوجهوا الى انطاكية .
وهناك جماعة مشهورة من المقاتلين أطلق عليها اسم الطافور
The Tafurs ، وكان يتولى أمر قيادة الجماعة فارس
رومانى فقد كل شيء ، وجرد من رتبته ، وأصبح أحد الجنود
المشاة . وتزايدت أعداد القصص عن ذلك القائد المهم .

وذلك بعد الحملة الصليبية الأولى وتحول الى أسطورة كشخصية مهمة كانت تتعامل مع الأمراء معاملة الند للند تقريبا . وربما كان رد فعل ظهور تلك الجماعة وظهور حركات مماثلة بين الفقراء أنه في شهر فبراير أو مارس ١٠٩٩م ، وافق ريموند السانت جيلي ، ومستشاره على تعيين بطرس الناسك قائدا رسميا للفقراء مع منحه صلاحية توزيع واحد على عشرين من كل الغنائم . وكان بطرس يحظى باحترام الفقراء وربما بقبولهم أكثر من القادة الذين كانوا من بينهم .

وفي الحقيقة بدأ صوت العامة من الصليبيين يسمع مع شتاء عامي ١٠٩٨م - ١٠٩٩م ، وأن هؤلاء هم الذين عملوا على مواصلة الحرب فيما بعد خشية المجاعة . وفي منتصف نوفمبر ١٠٩٨م ، عندما لم يتمكن الأمراء من تقرير ما يفعلون ، تجاسر العامة على انتقادهم ، وهددوا باختيار فارس ليكون قائدا عاما عليهم . وفي الثالث والعشرين من نوفمبر أجبر عدد كبير منهم كلا من ريموند السانت جيلي ، وروبرت الفلاندرى على أن يتوليا قيادتهم صوب معرة النعمان . وبعد سقوط معرة النعمان فيما بين الحادى عشر والثانى عشر من ديسمبر ، كان هناك تأخر مرة ثانية عندما كان الأمراء يرتجفون من شدة البرد . وزدا على الضغوط والمطالب الشعبية قاد ريموند الحملة الصليبية جنوبا ، ودعا الأمراء الآخرين الى اجتماع كبير حيث عرض عليهم أن يعملوا فى خدمته لقاء أجر ، غير أن أتباعه قاموا بتدمير أسوار معرة النعمان فى الخامس من يناير عام ١٠٩٩م ، عندما سمعوا أن المؤتمر انتهى الى طريق مسدود . وكان

الأحوال إبان الزحف الصليبي

ريموند يتميز غيظا غير أنه لم يكن أمامه خيار سوى معاودة المسيرة تجاه بيت المقدس فى الثالث عشر من يناير ١٠٩٩م بعد أن حرم من وجود قاعدة عسكرية له ، وفى الوقت نفسه ، فإن عامة الصليبيين الذين ظلوا فى أنطاكية أصبحوا أكثر سخطا . وانحنى كل من جودفرى البويونى ، وروبرت الفلاندرى ، وبوهيموند أمام الضغط الشعبى ، ودعوا الى اجتماع عام فى الثانى من فبراير ١٠٩٩م ، حيث تقرر حشد القوات فى اللاذقية فى الأول من مارس لمتابعة سير الحملة جنوبا .

وفى وقت المعاناة من الجوع والخوف كاثت القيادة دون المستوى المطلوب ، وبخاصة بعد موت أدهيمار . وأخيرا ، فإن عامة الصليبيين هم الذين أجبروا القادة على الزحف صوب بيت المقدس .

الفصل الرابع

أفكار الصليبيين

يتأثر أى انسان حين يقرأ الخطابات التى كتبها الصليبيون ويطلع على الحكايات التى رواها شهود العيان ، فقد كان يسيطر على الصليبيين الشعور بالمعجب والدهشة ، وقد أصابهم هذا الشعور بسبب تعاظم المهمة التى خرجوا من أجلها ، وبدأ يسيطر عليهم حين تركوا آسيا الصغرى واقتربوا من أنطاكية . وفى رسالة كتبت فى الثامن عشر من أكتوبر ١٠٩٧ م ، لخص كل من أدهيمار وبطريق بيت المقدس اليونانى الانجازات التى تحققت وقالوا : « ان عددنا قليل بالنسبة للمسلمين . والواقع أن الله يدافع عنا » . وتأكد هذا المفهوم فى يناير التالى ١٠٩٨ م فى خطاب أرسله الأساقفة فى الجيش الصليبي فقالوا : « كيف يواجه شخص ألف شخص ؟ فإذا كان عندنا نبيل واحد فلدى الأعداء أربعون ملكا ، وإذا كان عندنا فوج من الجنود regiment فلدى الأعداء فيلق ، وإذا كان لدينا جندي من المشاة فلديهم سيل ، وإذا كان لدينا قلعة فلديهم مملكة . اننا لا نثق فى أى حشد ولا فى أى قوة ولا فى أى سلطان .

وانما نثق في درع المسيح الواقى ، وفى عدالة قصيتنا ،
فى ظل حماية جورج George ، وثيودور Theodore
وديميترىوس Demetrius ، والقديس بليز St Blaise ،
المسيح الذين رافقونا بأمانة » .

وفى ظل افتقار الجيش الصليبي الى المؤن ، والى حسن
القيادة ، كان رجال الدين يعززون الانتصارات التى كان
يحققها ذلك الجيش الى عون الله له . وبعد استيلاء الصليبيين
على انطاكية وبيت المقدس ، وايقاع الهرايم بالجيوش
الاسلامية ، انطلقت الأناشيد الصليبية تردد ، « ان يد الله
معنا تشد أزرننا وتدود عنا » . وعندما كان المقاتلون
يسترجعون الحوادث التاريخية التى مروا بها ، كانوا يدهشون
مما وقع بهم ، فكانوا يقولون : « من ذا الذى لا سبب
بالدهشة ، فما نحن استطعنا مقاومتهم بل وبقينا أحياء
رغم قلة عددنا » . وكان طبيعيا بالنسبة لهم أن يسترجعوا
مآثر بنى اسرائيل ويقارنوها بمآثرهم . فكانوا يهتدون
بصبر أيوب ، وقت المعاناة ، وأثناء زحفهم ومشقاتهم
ونعيمهم ، وكانوا يتمثلون الاسرائيليين الذين خرجوا من
مصر ، وذهبوا فى رحلة شاقة الى أرض الميعاد . وكان أدهيمار
يمثل بنى الله موسى [عليه السلام] بالنسبة لهم ، وكما
فعل المكابيون Maccabees [أسرة معروفة فى تاريخ
العبرانيين] فقد حاربوا من أجل بيت المقدس ، وواجهوا
الموت ، وظهر عطف الله عليهم وتأييده لهم فى صمود
معجزات . وفاقحت المعجزات التى تحققت أثناء الحروب
الصليبية جميع ما تحقق لبنى اسرائيل والمكابين فى حين لم
تزد معاناة الصليبيين عن المعاناة التى تعرض لها القدامى

من بنى إسرائيل أو المكابيين الدين سار الصليبيون على هديهم
واتخذوهم قدوة لهم .

وازداد عمق ايمانهم الراسخ بأنهم يعملون في ظروف
عامة فوق الطبيعة ، اذ بعد فترة من الهدوء أصبحت الأحوال
الجوية مضطربة ، بمجرد تحركهم من آسيا الصغرى الى
سوريا . ففي أوائل أكتوبر ١٠٩٧ م ، ظهر مدنب ، Comet
له ديل يشبه السيف — وقد ورد ذكره من قبيل المصادفة في
السجلات الصينية والكورية . وعندما اهترت الأرض أثناء
زلزال وقع في الثلاثين من ديسمبر توهجت السماء وتحولت
الى اللون الأحمر ، ثم ظهر ضوء باهر على شكل صليب ،
وربما كان ذلك اشارة مبكرة الى ، « الأضواء التي تصاحب
الزلازل » . وفي ليلة الثالث عشر من يونيو ١٠٩٨ م ،
سقط نيزك meteor من العرب على معسكر المسلمين خارج
أنطاكية . ويبدو أن ليلة السابع والعشرين من سبتمبر
كانت ليلة غير عادية ، اذ ظهر شفق قطبي aurora ، وكان
ضخما لدرجة أمكن معها مشاهدته في جزء كبير من نصف
الكرة الشمالي . وفي الخامس من يونيو ١٠٩٩ م ، حدث
حسوف للقمر عندما اقترب الصليبيون من بيت المقدس .
وتم تفسير تلك الأمور على أنها بشائر للنصر المسيحي .
وقيل آنذاك انه لو انعكست الآية وحدث كسوف للشمس
بدلا من حسوف القمر ، لكان ذلك نديرا بهزيمة الصليبيين .
وبالطبع كان ذلك العصر هو العصر الذي كان الناس يهرعون
فيه بحثا عن آراء المنجمين وتدوينها . ويقال ان الأسقف
جيلبرت الليزيوي Gilbert of Liseux ، في غرب أوروبا
كان قد تنبأ بهجرة شعوب غرب أوروبا قبل دعوة البابا أوربان

الفكر الصليبي

لذلك فى مجمع كليرمونت ، وكذلك تنبأ منجم مسلم بالشيء نفسه، عند مقابلته مع الكونت روبرت لوفريزون الفلمنكى Robert Le Frison of Flanders الذى كان فى طريقه الى بيت المقدس لزيارة الأماكن المقدسة فى الثمانينيات من القرن الحادى عشر . وأثناء الحملة الصليبية الأولى ، كشف أحد تلاميذ أرنولف الشوكى Arnulf of Chocques له عن نبوءة تدل على انتصار الصليبيين فى أنطاكية ، وكان ذلك التلميذ من المنجمين . وهناك مثال كان شائعاً عن اهتمام الصليبيين بعلم التنجيم ويظهر هذا المثال فى قصة كانت شائعة بينهم خلال الأسابيع التى سبقت وقوع المعركة فى أنطاكية ، ووردت القصة فى أعمال الفرنجة Gesta Francorum ، وفى تاريخ بطرس التيودوبودى History of Peter Tudebode وتذكر لنا هذه القصة الحوار الذى دار بين القائد التركى كربوغا - الذى كان مغروراً وجاهلاً وساذجاً - وبين والدته التى حاولت أن تثنيه عن خوض معركة ضد الصليبيين ، على أساس أن مقاومة المسلمين لهم ستكون عديمة النفع لأن الصليبيين لا يحاربون وحدهم ، فهم أبناء الله ، كما أن غزوهم لسوريا ، قد تنبأ به الكتاب المقدس ، وأكدت الحسابات الفلكية صدق هذه النبوءة .

والواقع أن اكتشاف الصليبيين لبعض الآثار المقدسة التى كانوا يكتفون لها احتراماً فائقاً ، ساعد على تدعيم المهمة التى جاءوا من أجلها ، والتى أنبأت عنها السماء بكل ما كانت تأتى به من خلواهر غير طبيعية ، كما أنهم كانوا يحملون بعض الآثار المقدسة حين تركوا أوروبا . كما أخذ ريموند السانت جيلى كأس القربان الخاص بالقديس روبرت

الشيز - ديوى Robert of Chaise - Dieu * وبالإضافة الى ذلك كان جودفرى البويونى يحمل معه مذخرا reliquary يحتوى على آثار مقدسة للقديس سمعان St Simeon ، حين تأهب لخوض معركة أنطاكية - واعتقد مؤلف النسخة البروفنسالية Provençal Version لأنشودة أنطاكية Chanson d'Antioche أن سمعان هو الذى ابتهج عند ظهور الطفل يسوع فى المعبد . غير انه لو افترضنا أن ما جاء بالأنشودة كان صحيحا ، فمن المرجح انها كانت تخص القديس سمعان الترايرى St Simeon of Trier الذى كان ناسكا صقلييا بونيا ، واستقر به المقام فى تريير ، بعد أن كان يعيش فى فلسطين فى أواخر القرن الحادى عشر الميلادى . ومات هناك ، لذا كان من اللائق نقل رفاته مع الجيش . وكان أدهيمار يحمل معه قطعة من الصليب الحقيقى ، والتى يظن أنه قد أحضرها معه من غرب أوروبا ، أو وجدها فى القسطنطينية أثناء زحف الحملة ، وتم نقل هذا الصليب الى مقر معركة أنطاكية - وبعد موت أدهيمار ورحيل الصليبيين عن أنطاكية ، قام كل من جودفرى البويونى وروبرت الفلاندرى بنقل هذا الصليب وبقية الآثار الأخرى الموجودة بكنيسة أدهيمار من أنطاكية الى اللاذقية ، مما ضايق شخصا كثير الرؤى كان مع ريموند السانت جيلى ، فقد زاره شبح أدهيمار فى حلم ، وأبلغه رسالة تتعلق بنقل بقايا الصليب - وكلف ريموند السانت جيلى وليم هيسو المونشيلى William Hugh of Monteil بالبحث عن هذا الصليب وعاد وليم هيسو بهذا الصليب الى معسكر الرقة ، منا آثار أتباع ريموند فحرقوا خيامهم * وبذلك مهدوا

الفكر الصليبي

الطريق إلى فك الحصار واستئناف الزحف . وكان الصليبيون قد وقفوا على حقيقة الأوضاع حين فشل بطرس بارثولوميو Peter Bartholomew في اجتياز المحنة التي تعرض لها . وزادت درجة تقديسهم للآثار المقدسة بعد اجتيازهم القسطنطينية ، حيث استطاعوا جمع كمية كبيرة من الآثار منها ، وكذلك حينما أتاحت لهم فرصة تبجيل الأيقونات العجيبة - مثل - أيقونة المسيح في أنطاكية ، التي تركها المسلمون في قبور كاتدرائية أنطاكية بعد أن حولوها إلى مسجد . ويقال إن أحدا لم يستطع نقل هذه الأيقونة من مكانها ، وقد لقي رجل تركي مصرعه حين حاول انزالها . وكانت هذه الآثار المقدسة - التي هي عبارة عن بقايا آثار القديسين المعروفين لدى الصليبيين - بمثابة حلقة الوصل بين هذه البيئة الشرقية الغربية التي لم يألها الصليبيون ، وبين بيئتهم الأصلية . ولا يشق علينا تصور المشاعر المضطربة في صدور الصليبيين حينما شاهد الجيش الصليبي معالم بيت المقدس ، ولو قدر لهذه المعالم ذات الأهمية الدينية الفائقة أن تكون بغرب أوروبا ، لصارت أهم مراكز العبادة هناك . فها هي مدينة صور التي زارها المسيح عيسى [عليه السلام] ، وها هي مدينة قيصرية ، حيث كان الرسول بطرس يلقي موعظته في بيت قائد المائة . ويقال إن حاكم مصر قد هدد بالقضاء التام على كافة الأشياء المتعلقة بعيسى [عليه السلام] حتى لا يأتى الفرنجة ويطالبوا بها . ولكن فلسطين كانت تغض بالآثار المقدسة ، وظلت الأرض تحتفظ في جوفها بهذه الآثار التي أخذت تتكشف أمام أعين الصليبيين يوما بعد يوم .

والواقع أن الصليبيين كانوا قد بدعوا يجمعون الآثار المقدسة بمجرد أن غادروا أوطانهم . فأعطى الدوق روجر Roger روبرت الفلاندرى بعض الآثار المقدسة فى مدينة أبوليا Apulia . وفى الامبراطورية البيزنطية سرق جيربو الليلي Gerbault of Lille ذراع القديس جورج St George من أحد الأديرة اليونانية . وعند موت جيرارد البوكى Gerard of Buc عهد الى ذلك الفلاندرى بالمحافظة على ذلك الأثر ، فاحتفظ به فى خيمته . وبسبب محبته الشديدة للقديس أصبح يعرف ، « بابن القديس جورج » . وما أن اجتاح الصليبيون سوريا حتى تم اكتشاف آثار مقدسة أخرى . وتم اكتشاف مذخر reliquary فى كنيسة القديس أندرو St Andrew فى أنطاكية ، وكان يحتوى على اصبعين من أصابع القديس . وتلقى بطرس دزيرىوس Peter Desiderius تعليمات بأن يجمع أربع ذخائر reliquaries للقديسين الأربعة ، وهم : القديس سيبريان Cyprian ، والقديس ايماخوس Epimachus ، والقديس لوينتئوس Leontios والقديس يوحنا ذهبى الفم John Chrysostom من كنيسة القديس St Leontios بأنطاكية . ووجد بطرس هذا ومعه ريموند السانت جيلى ، ووليم الأورانجى ، وريموند الأجولىرى المذاخر الأربعة ، ومعها مذخر خامس ليس عليه توقيع صاحبه ، على الرغم من أن بعض السكان المحليين اعتقدوا أن هذا المذخر يخص القديس ميركيورى St Mercury ولأسباب لاهوتية ، لا يصح تكريم عظام لا يعرف صاحبها ، لذا تركوا العظام التى وجدوها فى مكانها بالكنيسة .

افكار الصليبيين

بيد أن بطرس دزيرىوس Peter Desiderius رأى القديس جورج St George . فى المنام مرتين ، وأبلغه القديس جورج بأن تلك الرفات المجهولة تخصه أيضا . وطلب من بطرس أن يحفظها مع آثار القديسة ثيكلا St Thecla وكما سنرى عاد كثير من الصليبيين الى بلادهم ومعهم آثار مقدسة حصلوا عليها من الشرق ، ومن بين هؤلاء القسازس النورمانى ايلنجر بيجود Ilger Bigod الذى كان نائبا لتنكرد Tancred ، القائد العام للقوات الصليبية فى بيت المقدس ، والذى كان قد كشف عن مخبأ به خصلة من شعر السيدة العذراء Our Lady ، كانت قد مزقتها بيدها حزنا على المسيح عيسى [عليه السلام] .

ويقال ان الحربة المقدسة التى طعن بها الجندي الرومانى جنب المسيح ، كانت أقرب الاستكشافات ، ففى الفترة الواقعة بين ٣٠ ديسمبر ١٠٩٧ م ، و ١٠ يونيو ١٠٩٨ م قال بطرس بارثولوميو Peter Bartholome وهو كاهن من جنوب فرنسا - بأنه رأى خمس رؤى للقديس أندرو St Andrew الذى انتقل به الى معسكر المسلمين فى أنطاكية على نحو يشبه الاعجاز ، كما انتقل به الى كاتدرائية القديس بطرس . ثم ما لبث هذا الرجل أن أخرج الحربة التى كانت مدفونة بالأرض على مقربة من الهيكل . وكان القديس أندرو قد قال بأن من يحمل الحربة لن يهزم فى حرب أبدا . وحين تعرض الصليبيون لمحنة شديدة بعد أن تعرضوا لحصار المسلمين فى أنطاكية ، أبلغ بطرس جميع الأمراء بما رآه فى المنام . وعلى الفور دخل بطرس فى حماية الكونت ريموند Count Raymond الذى عهد الى ريموند

الأجوليرى Raymond of Augilers بأمر رعايته - ولدينا
عدة روايات تفصيلية للحوادث التاريخية التالية المتعلقة
بالحربة ، وان عبر كل طرف من الأطراف عن هذه الحوادث
التاريخية من وجهة نظره ، وقال بطرس بارثولوميو ان
القديس أندرو جاءه فى المنام مرة أخرى فى تلك الليلة
حيث أكد له على أن الله أمر باعطاء الحربة الى ريموند
السانت جيلى ، وأصدر تعليمات مفصلة بخصوص قداس
الاحتفال الدينى The Office للاحتفال بالمشور على
الحربة .

ان شائعة اكتشاف الحربة حولت معنويات الصليبيين ،
وكانت إحدى العوامل المهمة فى اتخاذ قرار الخروج من
أنطاكية «شن هجوم مضاد لفك الحصار ومقاتلة جيش
كزيوغا» - ونظر الصليبيون الى تلك الحربة بكل احترام ،
وحرص ريموند السانت جيلى على تنفيذ تعليمات القديس
أندرو من أجل المحافظة عليها - ومن الواضح أن الحربة
كانت مصدر ربح لريموند ؛ لأن العطايا انهالت عليها - حتى
أدهيمار قدم منحة صغيرة - واستفادت خزانة ريموند ،
وفيما بعد اتهمه الناس بأنه شخص جشع - ومن ناحية
أخرى أبدى القادة الآخرون الارتياب - بل والعداء - فى
البعض الآخر فيما يتعلق بالحربة ، فقد كانت هناك بالفعل
حربة أخرى بالقسطنطينية ، ولم يختلف رد فعل أدهيمار
عن رد فعل أى أسقف كاثوليكي آخر ، ازاء المزاعم غير
العادية وغير الدينية المبالغ فيها ، لذا فقد عبر عن ارتياحه
صراحة فى أمر الحربة علنا - وهذا حذو أدهيمار كل من
أرنولف الشوكى Arnulf of Chocques ، وأسقف أبت Apt

الفكر الصليبي

وانتابت الشكوك كلا من روبرت النورماندى ، وروبرت
الفلاندرى ، وتنكرد ، وبوهيموند ، واعتقدوا أن بطرس
أحضر معه مجرد قطعة من الحديد الى الكاتدرائية . بيد أن
شعورا بالبهجة والحماس قد سيطر على الجيش . ولاد
المتشككون فى أمر الحربة بالصمت بعض الوقت ، فى الوقت
الذى كانت تجرى فيه بعض الحوادث التاريخية وفقا لما
يرتضيه المؤمنون ، وكان ريموند السانت جيلى Raymond
of St Gilles مريضا أثناء معركة أنطاكية ، فتبع رجاله -
الذى كان بينهم ريموند الأجليرى Raymond of Aguilers
حامل الحربة - أدهيمار Adhemar . وبدأ الأمر وكان أدهيمار
نفسه أمر بحمل الحربة فى المعركة . بل وشاعت رواية تحكى
أن أدهيمار نفسه كان يحمل الحربة . على أن أكثر القصص
غريبة هى التى قالت ، ان جيشا من القديسين والموتى
الصليبيين شاركوا المسيحيين فى معركة أنطاكية وان هذا
الجيش قدم التحية للحربة عند مرورها ، وذلك بأن نكس لها
بيارقه وأعلامه .

وهناك رواية أخرى تقول انه قبل الهجوم المضاد الذى
شهه الصليبيون لفك الحصار الذى وقعوا فيه فى
أنطاكية ؛ عرض أدهيمار الحربة على كل القادة على
التعاقب ، غير أنهم جميعا رفضوا حملها على أساس أنهم
يرغبون فى المشاركة الفعلية فى القتال ، ولذلك وافق
أدهيمار على حملها بنفسه ، وأقنع ريموند السانت جيلى أن
يعمرها له . ونتيجة لذلك ساد اعتقاد لدى الأوساط
الأوربية - حتى الراقية منها - بأن هذه الحربة هى الحربة
الحقيقية ، ويرجع ذلك الى الاعتقاد الخاطيء بأن أدهيمار

قد سلم بأنها الحرب الحقيقية * وزاد على ذلك ظهور أسطورة في القرن الثالث عشر تقول انه قد تم اكتشاف أحد أكفان المسيح في دير كادوان Cadouin ، في نفس مكان الحرب . واحتفظ أدهيمار بالكفن ، وعزا الصليبيون انتصارهم في أنطاكية للحربة ، وذكر ريموند الأجوليرى أنه لم يصب احد من الذين كانوا يقاتلون بالقرب منها * وبلغ الحماس حدا جعل القادة أنفسهم - بما فيهم بوهيموند ، وروبرت النورماندى ، وروبرت الفلاندرى - يعزون سبب انتصارهم الى هذه الحرب حين كانوا يبلغون أخبار انتصارهم للبابا * وبالإضافة الى ذلك ، فقد تم دفن جثمان أدهيمار في الحفرة التى وجدوا فيها الحرب * وذكر بطرس بارثولوميو أن أدهيمار جاءه فى المنام ، واعترف له بأن الحرب حقيقية ، وأن الله عاقبه على عدم ايمانه بصحتها *

ولفترة من الوقت ارتفعت الروح المعنوية لدى الجيش الصليبي * ونظر عامة الصليبيين الى ريموند السانت جيلى على أنه القائد الطبيعى للصليبيين لأنه عهد اليه بحمل الحرب ، وأبلغه بطرس بارثولوميو بالمكان الذى يضع فيه الحرب فى جنوب فرنسا بعد انتهاء الحرب الصليبية * بل اضطر قائد المتشككين - أرنولف الشوكى Arnulf of Chocques أن يعد بأنه سيعمل على اصلاح ما وقع فيه من خطأ على مسمع من الجميع ، وذلك بعد أن واجه اجتماعا أقر فيه جميع الحاضرين بأنهم مروا برؤى تؤكد حقيقة الحرب ، غير أنه لم يف بما وعد به * وتزايد تأييد الجيش له منذ شهر أبريل ١٠٩٩م ، بعد أن اتسمت رؤى بطرس بارثولوميو Peter Bartholomew بالغرابة * وكان بوهيموند وفرسانه

الفكر الصليبي

يسخرون من هذه الرؤى وحنق بطرس بارثولوميو على
أرنولف الشوكى ، فاقترح على رجال الدين بأن يمر بمحنة ،
وصادف ذلك الاقتراح هوى فى نفوسهم ، فوافقوا على
الفور . لذا ارتدى الزى الكهنوتى وحمل الصليب ، واجتاز
حفرة مشتعلة بأخشاب شجرة الزيتون فى الثامن من ابريل
٩٩٠م ، واجتاز هذه المحنة بسلام ، وقيل انه اصيب
بالأذى بعد ذلك ، حين تزاومت حوله الجموع ، لجمع الرماذ
المتبقي فى الحفرة . ويقال ان طائرا شوهده يحلق فوق
رأسه ، وان رجلا يرتدى الزى الكهنوتى قد شوهده وهو
يتقدمه فى اجتياز النيران . والواقع أن بطرس قد ذكر
أنه تقابل مع المسيح وسط الحفرة المشتعلة بالنيران .
ولكنه أصيب بأذى شديد ، ومات بعد مضي اثنى عشر يوما
على هذه الحادثة . وكان من الطبيعى أن يقف الصليبيون على
حقيقة الأمر . وشعر أرنولف الشوكى ، والأسقف أرنولف
أسقف مارتيرانو Arnulf of Martirano بضرورة الحاجة الى خلق
بديل ينصب حوله اهتمام الصليبيين ، فوضعا صورة ذهبية
للمسيح على احدى آلات الحصار التى كان يستخدمها جودفرى
البويونى Godfrey of Bouillon أثناء حصار بيت المقدس ،
وشجعا على تقديم الهبات لها ، بيد أن ريموند السانت جيلى
ظل مقتنعا بأن هذه الحربة هى الحربة الحقيقية ، وحنق على
أرنولف الشوكى ، وأرسل رجاله لمطاردته وطرده . واضطر
روبرت النورماندى وروبرت الفلاندرى الى حمايته .
وبعد سقوط بيت المقدس فى أيدي الصليبيين نفذ ريموند
بعض التعليمات التى وردت اليه من القديس أندرو عن
طريق بطرس بارثولوميو ، وقام بتنفيذها بكل وقار وجهالة
اذ انها منافية للعقل ، ومثيرة للمضحك ، فقد كانت تلك

التعليمات تقتضى بأن يعبر نهر الأردن على رمث (طوف) ، وهو مرتد قميصا قصيرا وينطلونا قصيرا breeches ، وأن يجدد تعميد نفسه بنفسه ، ثم يحتفظ بتلك الملابس الداخلية مع الحربة . وحمل كاهنه الحربة أثناء معركة عسقلان ثم أخذها معه الى القسطنطينية فيما بعد ، ويبدو أنه فقدوها فى آسيا الصغرى بعد تعرض الصليبيين لنكبة سنة ١١٠١م . ورغم هذا يحتمل أن القشيرة المعدنية سقطت من على الحربة قبل ذلك التاريخ ، اذ ان قطعة منها ظلت موضع تبجيل فى بيت المقدس فى العشرينيات من القرن الثانى عشر . وبعد ذلك بقرن قالت كنيسة أردر Ardres ان أرنولد الأردرى Arnold of Ardres كان قد أحضر معه قطعة صغيرة من الحربة .

واذا كانت الحربة هى أكثر الآثار غرابة ، فان الصليب الحقيقى كان أشهرها جميعا . فما أن وضعت قطعة الصليب فى كنيسة القبر المقدس حتى اختفت قبل الحملة الصليبية الأولى . وتم اكتشاف قطعة الصليب للمرة الثانية فى الخامس من أغسطس ١٠٩٩م على يد أرنولف الشوكى Arnulf of Chocques بطريرك بيت المقدس الجديد ، الذى كان قد قام بالبحث حتى وجد الصليب مدفونا فى ردهة atrium كنيسة ، وربما كان فى رقعة الأرض التى بها القبر المقدس ، وذلك بعد عملية تنقيب مشابهة لتلك التى أجريت عند اكتشاف الحربة المقدسة . وحمل أرنولف تلك القطعة من الصليب فى معركة عسقلان . ومنذ ذلك الحين ظلت تحفظ فى كنيسة القبر المقدس ، ويحملها الصليبيون معهم فى كل معركة يخوضونها ، اذ كانت مصدر تبجيل

عظيم فى العالم المسيحى اللاتينى الى أن فقدوها فى معركة
حطين ١١٨٧ م .

ان العلامات التى ظهرت فى السماء ، واكتشاف الآثار
المقدسة ، والأطيار التى كانت تظهر لبعض الصليبيين ،
التي سأحدث عنها فيما بعد ، والتي صاحبت الانتصارات
الرائعة التي حققها الصليبيون قد جعلتهم اكثر ميلا الى
الاعتقاد فى امكان تحقيق المعجزات . فكانوا يؤمنون فى
امكان ترايد عدد الجنود وقت الحرب ، كما اكتسب الزمان
أهمية غير طبيعية لديهم . فعلى سبيل المثال ، استولى
الصليبيون على بيت المقدس فى عيد تفرق تلاميذ المسيح
وحزنهم عليه ، وبذلك حول الصليبيون هذا العيد الذى اتسم
بطابع الحزن من جانب تلاميذ المسيح ، الى مناسبة للاحتفال
بعد سيطرتهم على بيت المقدس . وكان الصليبيون يرون أن
حملتهم الصليبية تتسم بطابع الاعجاز مثل أى حدث حربى
ورد ذكره فى العهد القديم من الكتاب المقدس . لذلك
صاروا ينظرون الى أى تزامن للحوادث والمواقف على أنها
معجزات ، منها على سبيل المثال عندما أصيب أحد الرجال
بجرح خطير فى معركة النعمان وعاش أسبوعا دون طعام ،
أو عندما أصاب أحد الصليبيين حماسة زاجلة تابعة
للمسلمين ، فقالوا : « فبعدها لم يتمكن الحمام من مجرد
الطيران حتى يصيبنا بأذى » . - أو عندما أربكت حركات
القطعان الشاردة جيش المسلمين ، وساعدت على تقدم
الجيش المسيحى أثناء معركة عسقلان . ومن ناحية أخرى ،
نظر الصليبيون الى الحوادث الطبيعية غير المتوقعة على أنها
حدثت بفعل العناية الالهية . فعلى سبيل المثال ، هبت ريح
شديدة غطت على صياح الصليبيين أثناء دخولهم مدينة

الحملة الصليبية الأولى

أنطاكية ، كما أن المطر الخفيف ساعد على انعاش الصليبيين ، عند خروجهم لملاقاة العدو فى أنطاكية ، وملاً المطر خندقاً مائياً أمام مدينة أنطاكية ؛ وبذلك باءت بالفشل كافة محاولات العدو لحرمان الصليبيين من الماء أمام معرة انعمان . وساعد يوم ملبد بالفيوم الصليبيين فى معركة عسقلان .

واندهش الصليبيون حين أدركوا أن قدرة الله قد ساعدتهم على استيعاب المبادئ التى اقراها البابا أوربان ، وذلك حين لبى « فرسان الصليب » دعوته لحشد الحملات الصليبية . ولم يكن الصليبيون جماعة من الحمقى ، فعلى الرغم من مبالغتهم فى عدد جنودهم ، فانهم كانوا يدركون مواطن الضعف لديهم ، وضعف قيادتهم ، ونقص مؤنهم . واعتقد الصليبيون أنهم خرجوا للجهاد فى سبيل الله ، وبدأت الدعوة للحرب الصليبية من هذا المنظور ، وكانت ضيغة المعركة ، « هذا ما يريد الله Deus hoc Vult » . وظهر هذا الايمان الراسخ فى أول خطاب مازال موجوداً حتى الآن عن الحملة الصليبية كتبه ستيفن البلوى Stephen of Blois فى الرابع والعشرين من يونيو ١٠٩٧م بعد سقوط نيقية . وأشار ستيفن فى الكتابات التى أملاها الى الحملة الصليبية على أنها « جيش الله » ، وكانت هناك تعبيرات مغايرة وصفتها خطابات أخرى مثل « فرسان المسيح » . ووصف الصليبيون استسلام نيقية على أنه نصر منحه الله لهم ، كما قالوا ان الرحمة الالهية أحبطت النوايا الشريرة التى أضمرها الأتراك . وظلت فكرة الحرب فى سبيل الله مقبولة تماماً لدى الجميع . وأنهم كانوا يخوضون حرباً مقدسة فى سبيل اعلاء كلمة الله الذى ظهرت مساعدته المادية لهم

بكل وضوح • وكلما حقق الصليبيون انتصارا زاد تمسكهم بهذه المعتقدات • وأشاعوا أن مقاومة المسلمين لن تجدى لأنهم يحاربون ضد مشيئة الله • « والا لماذا ولي القائد الاسلامي كربوغا الادبار ، فى الوقت الذى كان تحت امرته الرجال والجياد ؟ » •

وبالاضافة الى ذلك ، فقد ظهرت نبوءات الله بشأن الحملة العسكرية ، ففي سبتمبر ١٠٩٩م ، اتضح للمشاركين فى تلك الحملة ان انتصارهم جاء وفقا للنبوءات التى وردت فى الكتاب المقدس ، اذ جاءت هذه النبوءة ، « الله الذى وسعت رحمته كل شىء نفذ وعوده التى وعد بها فى الأزمنة القديمة » • وقد أيد ذلك البابا بسكال الثانى Paschal II فى أبريل ١١٠٠م • فقال البابا بسكال الثانى فى هذا الصدد : « أنتم توفون بما وعد به الرب شعبه من خلال النبى • فقد قال النبى : « سأحيا معهم وأمشى معهم » • وقد عاش الله فى قلوبكم بفضل ايمانكم كما سترونه من خلال هزيمتكم لأعدائه • فمما لا شك فيه أن الرب قد تجدد معجزاته القديمة » •

وتجلت قدرة الله أيضا من خلال ما شاهده بعض الصليبيين من رؤى متعددة • وفى هذه الرؤى كان الله أو المسيح يعنفهم أو ينصحهم ، اما شخصا أو عن طريق الوسيط من القديسين أو الموتى من الصليبيين ، الذين حسبما شاع الاعتقاد كانوا يشاركون فى القتال بجانب الأحياء من حين لآخر • ويقال انه فى أوائل أغسطس ١٠٩٧م ظهر القديس جيل St Gilles فى المنام الى كونت سكسونيا ، وأكد له أن ريموند السانت جيل Raymond of St Gilles سيشفى من المرض الذى يعانى منه • وبعد الثامن عشر من

الحملة الصليبية الاولى

أكتوبر ١٠٩٧م يقال ان بطريك بيت المقدس اليوناني شاهد في المنام المسيح بنفسه يصنع تاح الاستشهاد على رموس قتلى المعارك الصليبية . وسم يشا بطرس بارنولوميو أن يخبر القادة بما شاهده في المنام حتى يونيو ١٠٩٨م ، وان كانت تلك المشاهدات قد حدثت في الثلاثين من ديسمبر ١٠٩٧م ، في وقت الزلزال الذي تعرضت له أنطاكية . وأثناء عبور آسيا الصغرى بدأت القوى الخارقة للطبيعة تفرض نفسها .

وعلى الرغم من أن الرؤى كانت تحدث للمسيحيين الشرقيين واللاتين أيضا ، وتحدث على نطاق واسع بين طبقات الصليبيين ، فان عدد الرؤى التي شاهدها صليبيون من جنوب فرنسا ، واقليم بروفنس Provence لا يقل عن ست رؤى وكلها لاتباع ريموند السانت جيلى ، وأدهيمار اللوبوى Admémair of Le Puy ومن بين الذين شاهدوا رؤى أسقف ابنت Apt ، القس سيمون ، والقس برتراند Bertrand ، وكلاهما من باسى ، وشاهد كل منهما رؤيا واحدة ، وشاهد قس من بوجوندى السفلى Lower Burgundy رؤيين ، واسمه ستيفن البلسى Stephen of Valence . وشاهد قس آخر ست رؤى واسمه بطرس دزيريوس Peter Desiderius الذى كان قسا خاصا عند ايسورد الديى Osoard of Die وشاهد بطرس بارثولوميو Peter Bartholomew ثلاث عشرة رؤيا . ومن الممكن وجود شيء ما في اتجاهات الصليبيين من جنوب فرنسا ، وفي بروفنسال Provençal ساعد على حدوث الرؤى المتكررة التي تتم أثناء النوم وكان ينظر اليها على أنها رؤى صادقة Vision . ومن الواضح أنهم كانت لهم شهرة خاصة في هذا المجال ، وقد يرجع ذلك إلى ايمان

ريموند السانت جيلى الراسخ بالرسائل التى نقلها أشخاص كل منهم كثير الرؤى . ومن الجدير بالذكر أنه برغم عدم ظهور القديس جيل St Gilles سوى مرة واحدة ، فإن القديسين الآخرين اللذين لهما كل احترام وتبجيل عند ريموند وهما القديس روبرت St Robert ، والقديس فيث St Faith لم يظهرا على الاطلاق . وعامل جيش جنوب فرنسا رسائل بطرس بارثولوميو التى وردت فى الرؤى بكل جدية واهتمام . وكما علمنا فقد غيرت الرؤى صيحة الحرب battle-cry ، وكان هناك شعور بالقلق لأن الصليبيين الذين كانوا على مقربة من بيت المقدس لم يكونوا حفاة كما أمرهم بطرس وفقا لنص المنام الذى شاهده . وقد قام القس ريموند الأجوليرى Raymond of Aguilers بتسجيل كافة التجارب المرتبطة بهذه الرؤيا واثرها على الصليبيين . وهناك ميل فى الوقت الحاضر الى حذف كل التفاصيل التى أوردها القس ريموند على أساس أن أسلوبه وتصويراته كانت مستمدة من الكتاب المقدس ، والطقوس الدينية ، ومن ثم لم يكن أسلوبا وصفيا كاملا ، بيد أن ذلك كان أسلوب معظم الكتابات المعاصرة . ومن حين لآخر أيدت كتابات ريموند ما ورد عن ذكر الرؤيا التى نسبت الى ستيفن البلسى Stephen of Valence ، ويطرس بارثولوميو Peter Bartholomew ، وبالإضافة الى ذلك فقد كان فى حوزته قدر كبير من المعلومات المفصلة التى توحى بأنه كان يكتب ما كان يعتقد أنه الحقيقة وشاركه كل أفراد جماعته الاعتقاد نفسه . ومن ناحية أخرى فإذا كان قد قبل صحة معلومات البطريرك اليونانى ، وستيفن البلسى بعد أن أقسم ستيفن على صدق ما قاله ، فإنه عاد وأبدى شكوكه فيما

شاهده بطرس بارثولوميو فى منامه وشاركه كثير من كبار رجال الكنيسة الموجودين معه تلك الشكوك .

وهناك روايات تحكى عن قيام المسيح بعدة زيارات . ولقد أشرت الى رؤيا البطريرك اليونانى . وكان هناك ظهور ملحوظ فى ليلة العاشر من يونيو ١٠٩٨ م . وفى فترة المحنة الحقيقية فى أنطاكية ذهب ستيفن ومعه آخرون للصلاة فى كنيسة القديسة مريم St Mary . واستغرق زملاؤه فى النوم غير أنه شاهد شكلا وسيما أثناء صلاته وسأل ستيفن إذا ما كان يعرفه ، وعندما شاهد ستيفن صليبا خلف رأس ذلك الشكل أدرك أنه المسيح . واعترف الشكل بأنه المسيح . وأمر المسيح ستيفن بأن يعترف بإيمانه ، واستفسر عن تشكيل قيادة الجيش ، وذكره بالمساعدات التى قدمها للصليبيين . وعبر المسيح عن لومه الشديد لسلوك الصليبيين المشين فى أنطاكية . وفى تلك اللحظة ظهرت السيدة العذراء ، والقديس بطرس St Peter للشفاعة عن المسيحيين ، وعندئذ أبدى المسيح شفقة ورحمة ، ثم أمر ستيفن بأن يبلغ الأمراء بالعودة الى طريق الفضيلة والتقوى . وأنه سيقدم لهم مساعدة قوية خلال خمسة أيام ، وكان ذلك اكتشاف الحرية . وفى الوقت نفسه أمرهم بأن ينشدوا فى القداس الاختفالى اليومى ترنيمة ، « كونوا رعايا الكنيسة Congregati Sunt » .

وبعد ذلك بتسعة أشهر ظهر المسيح لبطرس بارثولوميو فى الخامس من أبريل ١٠٩٩ م . وفى هذه المرة كان الصليبيون أمام الرقة ، وكانوا منقسمين فى الرأى بشأن مواصلة حصار المدينة أو الاندفاع صوب بيت المقدس .

الفكر الصليبي

وكان ريموند السانت جيلي رافصا فك الحصار عن المدينة وليس من المدهش أن يرى بطرس رؤيا تعطي تأييدا مقدسا لوجهة نظر ريموند المذكور . وجاء كل من المسيح ، والقديس أندرو St Andrew ، والقديس بطرس St Peter ، ورجل أسمر الى بطرس عندما كان مستغرقا في التأمل في كنيسة الكونت التابع له ، وكان يفكر بشيء من العيرة والحسد بشأن تجربة ستيفن البلنسي . وأعلن المسيح عن نفسه ، ثم تعيرت صورته ، وظهر مرة ثانية وهو معلق على صليب خشبي ، عاريا الا من مؤزر من القماش الأرجواني ينتهي بأشرطة بيضاء وحمراء وحضراء ، والرسل من حوله يشدون من أزرقه . وأبلغ المسيح بطرس بأن الصليبيين يستطيعون الوصول الى درجات متميزة ، على قدر إخلاصهم للمهمة التي أتوا من أجلها ، وعلمه كيفية التعرف على الخونة الذين يجب اعدامهم فورا . وأصدر تعليمات لتنظيم الجيش ، وأعطى بطرس سلطة اصدار قرار الحرمان الكنسي ، في حالة اتباع القضاة الطريق المستقيم . وقبل أن يموت بطرس بارثولوميو أبلغ ريموند الأجليري أن المسيح قابله وسط اللهب وأمسك بيده وقال انه سيؤدي حسديا ، لأنه شك في رؤاه الباكرا وعلى الرغم من ذلك ، فإنه لن يدخل نار جهنم .

وفي مرات أخرى ، ظهر المسيح ملتزما الصمت ففي الفترة ما بين ٣٠ ديسمبر ١٠٩٧م و ٢٢ سبتمبر ١٠٩٨م ظهر المسيح سبع مرات لبطرس بارثولوميو في شكل شاب واقف وصامت ، في حين تكلم كل من القديس أندرو St Andrew ، وأدهيمار الذي كان قد مر على وفاته وقت

قصير . وفي الخامس عشر من يونيو ١٠٩٨ م تم التعرف على شخصية المسيح عن طريق جرح في قدمه ولم يحدث ذلك الا بعد مرور اربع مرات على ظهوره . وعندما تكلم المسيح الى الأشخاص الذين شاهدوه في الرؤى ، عبر لهم عن غضبه لتفشي الخطيئة ، وأعلن ارتياحه لوجود الشفاعة ، وللأداء السليم للشعائر الدينية والحياة المستقيمة . وكان المسيح يقدم التشريعات . كما عبر المسيح عن كراهيته الشديدة لعير المسيحيين .

ومعظم الدين ظهروا في الرؤى كانوا من القديسين في غالب الأحوال . وظهر لكل من اسقف أبت Apt ، ولبطرس بارثولوميو رجل طويل أسمر جاحظ العينين أصلع تقريبا (هل كان هذا هو القديس حنا ذهبى المم St John Chrysostom والمعروف من احدى الأيقونات اليونانية ؟) ، وشاهد ستيفن البلسى رؤيا عبارة عن شاب يحمل شمعتين وهو في صحبة القديسة أجاثا St Agatha ، ورسول مقدس أبلغ بطرس دزیدريوس Peter Desiderius أن يجمع الآثار المقدسة . وكان لكل من القديسة أجاثا ، والقديس نيقولاس Nicholas دور أساسى ، غير أن سيدتنا [مريم ابنة عمران] ، والقديس ديميتريوس St Demetrius ، والقديس جورج St George والقديس جيل St Gilles والقديس مرقس Mark وميركيورى Mercury وبطرس كانت لهم أدوار أساسية ومهمة .

وليس من المدهش أن الحب الشديد للسيدة العذراء كان احدى السمات البارزة للحملة الصليبية . وكان مخططا في الأصل أن تبدأ الحملة الصليبية في الرحيل الى الشرق في يوم عيد الاحتفال بصعود السيدة العذراء مريم الى

السما Assumption [أى فى الخامس عشر من أغسطس]
 عام ١٠٩٦ م . وعندما عبرت جماعة أدهيمار آسيا الصغرى
 كانت تحمل راية عليها صورة العذراء مريم . وظهرت العذراء
 مريم ثلاث مرات ، فى مرتين منها قامت بدور الشفيعه .
 وشاهد ستيفن البلنسى أهم هذه الرؤى فى منتصف شهر
 أبريل ١٠٩٩ م ، عندما ظهرت فى شكل بشرى صامت وبمها
 القديسة أجاثا St Agatha ، وروح أدهيمار التى قامت
 بنقل أوامرها نيابة عنها . فكان على ستيفن أن يعطى خاتمه
 الى ريموند السانت جيلى ومعه رسالة شفوية على أساس أنه
 هدية من العذراء مريم . واذا ما نادى ريموند السيدة
 العذراء فسيلقى العون من الله . ويجب أن يحمل الحرية
 المقدسة من كان مرتديا الثياب الكهنوتية وأن يتقدمها
 الصليب . وأنهى أدهيمار حديثه بانثياده ترنيمة عن مريم
 العذراء وأنشدت من خلفه جوقة من المنشدين من السماء .
 وكانت السيدة العذراء قد بدأت تأييدها للحرب الصليبية
 واستخدام القوة . وكانت أهم سمة تميزت بها الحملات
 الصليبية هى سمة الولاء لها فى منتصف العصور الوسطى .
 وليس من المدهش أن يظهر القديس بطرس فى رؤيا
 للأحياء . لكن الشيء المدهش هو الدور الصغير نسبيا الذى
 لعبه ، اذا ما وضعنا فى الاعتبار أن البابا هو الذى دعا
 للحرب الصليبية ، وأن الحرب الصليبية قامت تحت قيادة
 البابوية فى جو مميز من الرومانسية الكارولنجية
 Carolingian romance ، وكان ينظر الى الحملة الصليبية الأولى
 على أنها حملة فرنسية ، وفاخر الفرنسيون بما ورثوه من
 ولاء ومحبة للقديس بطرس والكرسى البابوى الرسولى .

الحملة الصليبية الأولى

وظهر بطرس الرسول مرات معدودة بالنسبة لغيره ، اذ كانت النظرية البطرسية Petrine theory - المهيمنة على الادارة البابوية - عامل كبت وتقييد ، وفى معظم التطورات ربط الصليبيون بطرس بكرسيه الأسقفى فى أنطاكية أكثر من كرسية الثانى البابوى فى روما * بل ان الامراء ذهبوا بعيدا الى حد دعوة البابا أوربان للذهاب الى أنطاكية « المدينة الجديدة والأولى ذات الاسم المسيحى » ، حيث دعى التلاميذ من أهل منطقة الجليل بفلسطين The Galileans بلفظ « مسيحيين » يعد أن تم تتويج بطرس الرسول * وقالوا فى هذا الصدد يدعون البابا أوربان للمجيء الى أنطاكية . « سم تتويج بطرس الرسول فى هذه المدينة ونحن نرجوكم - باعتبارك أب الكنيسة ورئيسها - أن تأتى الى هذه المدينة لتتولى مهمة الأب ، والراعى للكنيسة خلفا لبطرس الرسول ، حتى تكمل رسالته الدينية » *

ومن الجدير بالذكر أن الميول الشخصية للمشاركة فى الحملة الصليبية كانت نابعة من الطوائف الغربية ، وكان هناك تحول طفيف نحو تبجيل القديسين الشرقيين ، ونحو الربط بينهم وبين القديسين العربيين * وعندما انتقل الصليبيون الى خارج حدود العالم المسيحى مروا فى منطقة حافلة بالشخصيات * وفى الوقت الذى لعب فيه القديسون الغربيون أدوارا ثانوية نسبيا فى العبادات ، كان القديسون خارج العالم المسيحى اللاتينى فى ذلك الحين يلعبون أدوارا أكثر أهمية وبصفة شهيرة * وكان أعظم شئ بالنسبة لأهالى أنطاكية أن يظل القديس بطرس الرسول فى مقدمة أفكارهم ، وبالنسبة للجندى اليونانى فان

القديسين هم الذين يساعدون الجيش المسيحى على الدفاع عن أراضيتهم *

والواقع أن اثنين من القديسين كانا ييزان القديس بطرس ، وكان لهما ارتباطات خاصة بالشرق ، على الرغم من أنهما كانا مبجلين فى الغرب أيضا * وأحدهما هو القديس جورج St George * ويبدو أن أول هذه التداخلات لتغيير الأحوال جاء بعد سرقة الأثر المقدس للقديس جورج لأن أحد الأتراك الفارين بعد معركة أرضروم Dorylaeum ادعى أنه فى اليوم الأول من يوليو ١٠٩٧ م ، شاهد اثنين من الفرسان كانا يتوليان قيادة الصليبيين وتلمع درعهما ، ووجهاهما فى غاية البشاشة * فيما بعد تم التعرف عليهما ، فتبين أنهما القديسان جورج وديمترىوس Demetrius * وفى يناير ١٠٩٨ م كتب الأساقفة اليونانيون واللاتين فى الجيش عن هذا الأمر ، فقالوا انهم تحت حماية القديس جورج ، وثيودور ، وديمترىوس ، وبليز Blaise * وينام عليه ، فقد كان الصليبيون على استعداد لقبول ما ادعاه البعض من مشاهدة جيش من الملائكة القديسين والموتى من الصليبيين وهم يحملون رايات بيضاء ويمتطون خيولا بيضاء تحت قيادة القديس جورج ، والقديس ديمترىوس ، والقديس ميركيورى * وقد شارك هذا الجيش فى مساعدة الصليبيين أثناء معركة أنطاكية التى وقعت فى الثامن والعشرين من يونيو ١٠٩٨ م * وترك هذا الحادث التاريخى غير العادى انطبعا قويا لدى الصليبيين ، اذ لا بد أنه كان وراء ظهور صورة القديس جورج على عملات ولاية أنطاكية بعد خضوعها للصليبيين ، وفى أوروبا ظلت مساعدة القديس

جورج للحملة الصليبية موضوعا للرسومات والتماثيل لعشرات السنين . وبعد ذلك بعدة أشهر خاطب القديس جورج ، فى المنام ، شخصا كثير الرؤى ، يدعى بطرس دزديرىوس Peter Desiderius بشأن مذخر آخر به آثار مقدسة له فى أنطاكية ، ورغب القديس بأن يحمل الجيش هذا المذخر reliquary . وفى ذلك الحين تزايدت محبته من قبل الجميع ، واعتبروه حامل لواء الجيش . وعندما وصل الصليبيون الى الرملة بالقرب من اللد Lydda فى المكان الذى قيل انه دفن به ، اختاروا أسقفا لاتينيا ، وقدموا الهبات لكنيستته وأقاموا صلاة شفاعته له .

وظهر قديس آخر هو القديس أندرو St Andrew تسع مرات على الأقل لبطرس بارثولوميو Peter Bertholomew ومرة واحدة لبطرس دزديرىوس Peter Desiderius . وجاء فى وصف القديس أندرو انه رجل كهل ، شمره أحمر يتخلله بعض الشعر الأبيض ، ولحيته بيضاء كثة ، وأسود العينين . وكانت الزيارات الخمس الأولى تتعلق بالحربة المقدسة ، بيد أن بطرس بارثولوميو ذكر أنه أثناء تلك الزيارات أبلغه أندرو أيضا أن الله أحب الصليبيين ، وأنه قد اختارهم من دون البشر جميعا ، وأن القديسين سيعودون للحرب بجانبهم ، وبمد أن اكتشف الصليبيون الحربة المقدسة ، أبلغ بطرس أوامر القديس أندرو للصليبيين ، حيث أمرهم بتقديم صدقات خمس مرات استعدادا لخوض معركة أنطاكية ، وان لم يستطيعوا ذلك ، ينبغى تقديم خمس صلوات ربانية — Peternosters احياء لذكرى المسيح . وذكر بطرس أن القديس أندرو أبلغه بضرورة أن يتمسك المسيحيون بالايمان بالبعث

الفكر الصليبي

Resurrection ، وطلب منهم أن يؤمنوا بأن قتلهم سيحاربون بجانبهم في المعركة . وكان القديس أندرو قد أصدر تعليمات بشأن صيحة المعركة ، وقد منعهم من أن ينشغلوا بجمع الفنائم . وفي الثالث من أغسطس ١٠٩٨ م تدخل القديس أندرو في النزاع القائم بشأن أملاك أنطاكية - من خلال بطرس - وانحاز الى جانب ريموند السانت جيلي . وأمر الصليبيين بتعيين بطريرك لاتيى ، وأن يساعدهم الفقراء ، وأن يستلوا من أجل هداية الله لهم ، وهم في طريقهم الى بيت المقدس وأمر بمعاملة المسيحيين الذين ارتدوا عن دينهم ، واعتنقوا الاسلام أثناء وقوعهم في الأسر عند المسلمين ، وكأنهم من المسلمين . ويجب أن يسجن بعضهم ليكونوا عبرة لغيرهم . وفي النصف الثانى من سبتمبر قيل ان القديس أندرو ظهر وأبلغ بأنه غضبان ؛ لأن المدخر الذى به أصابع يده والذى اكتشف فى مدينة أنطاكية ، ليس موضوعا فى المكان الجدير به ، ولكى يؤكد على أهمية ذلك رفع يده عاليا ، فظهر عدم وجود بضع أصابع . ووعد ريموند السانت جيلي بظهور علامة على قدرة الله وتتمثل هذه العلامة فى الشمعة الضخمة التى أراد ريموند إشعالها من أجل الاحتفال بعيد القديس فيث St Faith ، فلن تستمر هذه الشمعة الضخمة المشتعلة على الرغم من وجود شمعة صغيرة بجوارها ستظل مشتعلة لمدة تزيد على ثلاثة أيام . وكان قد أمر ريموند بأن يعلن توبته وندمه ، ولم يوافق على آراء مستشارى ريموند . وكان قد حذر ريموند من امتطاء صهوة جواده على مدى فرسخين من بيت المقدس . وفى الأول من ديسمبر ، عندما كان الجيش الصليبي أمام معرة النعمان ، ظهر القديس أندرو مرة ثانية بصحبة القديس

بطرس الذى تولى أمر الحديث وظهر القديسان هذه المرة فى ثياب رثة ، ويعلو الفغار وجهيهما * وأبلغ بطرس دزيريوس عن ظهور القديس أندرو فى أوائل مايو ١٠٩٩م ، حيث قدم القديس أندرو كلمات تشجيع الى ريموند السانت جيلى * غير أنه أنذره بضرورة توزيع الغنيمة بالعدل لأنه ان فعل ذلك ، فلن يمنحه الله بيت المقدس فحسب ، وانما سيعطيه الله مصر أيضا *

من الواضح أن الرسائل التى أبلغها القديس أندور والرؤى - المتعلقة بالحربة المقدسة ، ودور ريموند السانت جيلى ، والنزاعات بالجيش - كانت ذات مغزى كبير * فهذه الرسائل كانت عنصر تنوير وارشاد ، كما كانت ترتبط بالسياسات الداخلية للحملة الصليبية * واستتمالت تعاليم القديسين أولئك الصليبيين الذين سمعوا بأخبار الرؤى ، لأن أولئك القديسين ، كانوا يقدمون لهم اجابات عن مسائل كانت عالقة بأذهانهم ، ورغم أن هذه المسائل تبدو هامشية لنا كانت قضايا تحيرهم واختلطت هذه التوجيهات بالنصائح الدينية والولاء الدينى ، فكان لهذا كله أثره فى ازدياد حماس الصليبيين للمهمة التى خرجوا من أجلها *

وقد ساعد كل ما تقدم على تدعيم الايمان الراسخ بأن الحرب الصليبية كانت حربا فى سبيل الله * وليس هناك ريب فى أن الصليبيين اعتقدوا بأنهم خاضوا تلك الحرب تحقيقا لمبدأ العدل فشجع احتلال بيت المقدس أحدهم على انشاد أنشودة الشكر والتمجيد paean of Praise التى كانت تحتوى على معلومة دينية مهمة تظهر بكل وضوح مدى

الفكر الصليبي

الارتباط بين نجاحهم وبين البعث the Resurrection وتجديد الكنيسة ، وتقول كلمات الأنشودة . « انه يوم جديد . . . هذا اليوم الذى كسرت فيه شوكة كل الكفار ، واشتد أثر المسيحية ، وتجدد فيه ايماننا . ان هذا اليوم من صنع الرب ، ولذا يحق لنا أن نفرح ونبتهج . وذلك لأن الله تجلى على شعبه وأنعم عليه . . . ويحق لنا أن نحتفل بهذا اليوم . . . الذى تحققت فيه الاستجابة لصلوات الكنيسة ، وفزنا فيه بالمدينة والأرض التى وعدها الله بها الآباء واستردها الأبناء . وفى هذا اليوم نشهد قداس عيد الفصح the Office of Easter ، لأنه فى هذا اليوم صعد المسيح من القبر من بين الأموات بإرادته وأراد لكنيسته البقاء بفضل نعمته » .

وسوف نظل نذكر دائماً أن-الابا أوربان الثانى دعا الى الحرب الصليبية تحقيقاً للهدفين : الهدف الأول هو تخليص المسيحيين من الأذى الذى لحق بهم على أيدي المسلمين ، والثانى هو تخليص بيت المقدس من أيدي المسلمين . وأما الهدف الأول فلا يوجد الكثير من الأدلة والشواهد الدالة على تحقيقه فى كتابات المشاركين ، حيث استفاض لوالغ فولشر الشارترى Fulcher of Chartres فى كتابه فى الحديث عن معاناة نصارى بيت المقدس وهم أخوان الصليبيين فى الدين . وأشار ريموند الأجولى Raymond of Augiers الى أحوال المسيحيين السيئة الذين عانوا تحت حكم المسلمين . وتمثالت أصداء ذلك فى المواقف المعتدلة التى اتخذها الصليبيون تجاه النصارى بالشرق بصفة عامة ، برغم عداثهم الشديد للهرطقة الشرقيين . والواقع أنه فى إحدى الرسائل تم تصنيف « اليونانيين » ضمن أولئك

الهراطقة في سوريا ، ولكن الكاتب ربما لم يكن يقصد بهذه الاشارة الارثوذكس . وفي الحقيقة ليس هناك دليل على أى حقد أو حتى حسد تجاه الشعب اليونانى ، على الرغم من وجود فكرة عن عدم مقدرتهم العسكرية وأن الحكومة البيزنطية وموظفيها كانوا ظلمة وموصومين بالخيانة . وورد وصف المسيحيين الشرقيين كاخوة فى العقيدة ، وأنهم عانوا من الوثنيين ، وأنهم بحاجة الى المساعدة والثأر لهم . ولذلك حرص الصليبيون على تصويرهم على أنهم كانوا يحاربون من أجلهم ، وأنهم لم تمتد أيديهم الى أمتعة اليونانيين .

وفاقت قضية الاستيلاء على بيت المقدس قضية مساعدة النصارى فى المشرق فى الأهمية . ويبدو أن الصليبيين اعتقدوا ، وفقا للقانون الكنسى ، أن الأرض التى كانت تابعة للعالم المسيحى ، لا بد لها أن تظل مسيحية ، وظهر ذلك فى خطاب أرسله قادة أنطاكية الى حاكم دمشق [المسلم] يوضحون فيه أن خطتهم قاصرة على الاستيلاء على الأراضى التى كانت تابعة لليونانيين . وبالإضافة الى ذلك ؛ فمدينة بيت المقدس شهدت آلام المسيح بين ليلة العشاء الأخيرة وقيامه من بين الأموات Resurrection وشهدت عمل يدى الله على الأرض ، لذلك فهى ليست مجرد قطعة من أرض ، بل انها تضم كذلك الآثار المقدسة ، فهى ارث المسيح ، لذا فان الهدف من الحرب الصليبية كان تحرير بيت المقدس ، وعلى وجه التخصيص تحرير القبر المقدس من دنس الوثنيين . وهذا يفسر الاشارات الكثيرة التى نادى بالذهاب الى طريق القبر المقدس the Via Sancti Sepulchri والأعمال التى أجريت « من أجل الله ومن أجل القبر

المكار الصليبيين

المقدس » . ولذلك فأول ولاية أقامها الصليبيون في آسيا الصغرى تولاهما بطرس الأوبسى Peter of Aups ، « على أن يكون الولاء لله وللقيب المقدس وللأمراء ، وللإمبراطور البيزنطى » . وبالطبع كان هذا هو السبب الذى جعل الحملة الصليبية عملية أداء فريضة الحج pilgrimage ، وأشار الصليبيون الى أنفسهم « على أنهم حجاج القبر المقدس » ، حيث ذهبوا الى هناك ليفوا بنذورهم .

وكان هناك شعور جعلهم يعتقدون بأنهم يحاربون من أجل نشر المسيحية . وفى سبتمبر ١٠٩٩م كتب كل من دايمبرت البيزى Daimbert of Pisa ، وريموند السانت جيلى Raymond of St Gilles يقولان : « ان قوة المسلمين قد اندحرت ، فى الوقت الذى أخذت فيه الكنيسة تمتد حاليا فى كل الاتجاهات من البحر للبحر » . وفى المراحل الأخيرة من الحرب الصليبية كان لدى البعض طموحات فى غزو مصر ، كمقدمة للاستيلاء على بيت المقدس . وبعد ذلك بوقت قصير كان هناك حديث عن السيطرة على آسيا . وأثار ذلك مسألة التفكير فيما اذا كانت الحرب من أجل اجبار الغير على اعتناق النصرانية أيضا . ولا يمكن للمرء أن يغض النظر عن الحوادث المروعة التى وقعت فى أوروبا فى ربيع وأوائل الصيف من عام ١٠٩٦م ، ومما لا شك فيه أن فكرة الحرب التى نادى بنشر النصرانية قد اقترنت بازدياد الحكم الوثنى ، وكشفت فكرة الحرب هذه عن نفسها فى المواقف التى اتخذها الصليبيون والبتي تقضى بارغام الآخرين على اعتناق النصرانية ، حتى لو اقتضى الأمر استخدام القوة ، غير أن المواقف التى اتخذها الصليبيون كانت تعنى بطبيعة الحال بالحكومات التى تحكم

الشعوب الأخرى ، أكثر من اهتمامها باجبار الآخرين على اعتناق النصرانية . ومن مدينة نيقية ، فى صيف ١٠٩٧ م ، أرسل قادة الحرب الصليبية وفدا سياسيا الى الخليفة الفاطمى فى مصر يعرضون عليه اعتناق النصرانية أو الحرب ، ونفس الخيار قدمه بطرس الناسك الى كربوغا حاكم الموصل عن طريق وفد سياسى صليبي . كما رفض ريموند السبانت جيلى عقد اتفاقية مع أمير طرابلس ما لم يتنصر الأخير . غير أنه باستثناء المذابح الجماعية المنظمة التى مارسها النصارى ضد الأمنين من غير النصارى فى أوروبا لرفضهم اعتناق النصرانية ، لا يتوافر الدليل على أن الصليبيين قد أخطأوا فهم الدور الذى يحاربون من أجل تحقيقه ، فأمنوا بضرورة تحويل الآخرين الى النصرانية . ورغم أن الجاليات اليهودية فى فلسطين قد عانت كثيرا ؛ فانها لم تخضع لجميع ما تعرض له اليهود فى منطقة الراين . وقد جرت محاولات مؤخرا لاثبات أن صورة الاضطهاد التقليدى الذى تعرض له اليهود على أيدي الصليبيين فى فلسطين يجب أن تتغير كثيرا . وتعرضت الجاليات اليهودية لخسائر فى الأرواح عندما نهب الصليبيون المدن التى استولوا عليها . وقام الصليبيون فى بيت المقدس باتلاف معبد اليهود Synagogue ، وكذلك أدراج التوراة Torah Scrolls واستولوا على مكتبة طائفة القرائين Kareite library ، وتم بيع الكثير من اليهود فى أسواق النخاسة . غير أنه يبدو أن الغالبية العظمى من اليهود تم اطلاق سراحهم مقابل دفع الفدية ، كما تم شراء جزء من مكتبة القرائين مرة أخرى . وعلى الرغم من أن عرض اعتناق النصرانية حدث من حين الى آخر ، فليس هناك ما يؤكد أن الرفض كان يعنى التعرض

افكار الصليبيين

للموت . وعلى الرغم من أن الجالية اليهودية في بيت المقدس قد تمت ابادتها ، فلقد اتضح أن « الصليبيين قد تخلصوا من الجاليات اليهودية التي كانت بالفعل في حالة يرثى لها» . والواقع أنه اذا ما نحينا حالة مختلفة بعض الشيء من حالات اجبار غير النصارى على اعتناق النصرانية بالاكراه ، ونعنى بذلك تعميد القساوسة للجنود الأتراك المحتضرين الذين سقطوا في ساحة المعركة ، فلن نجد سوى حالتين خارج أوروبا لاجبار الآخرين على اعتناق النصرانية بطريقة جماعية وبالقوة والاكراه ورد ذكرهما في المصادر التاريخية ، رغم أن أحد هذه المصادر مشكوك فيه .

وفيما يلي الإشارة المشكوك في صحتها في الوصف الذي قدمه الراهب روبرت Robert عندما استولى ريموند السانت جيلي على مدينة البارة في آخر سبتمبر ١٠٩٨ م ، فجاء في هذا الوصف : « وأمر الكونت بأن يقيد الجميع بسلاسل من حديد ، وأن يتم ضرب عنق كل من لا يعلن ايمانه بالمسيح . » وعلى ذلك لم ينج فرد واحد من هذا الحشد الغفير ما لم يعلن اعترافه بالمسيح ، ويتم تعميده . ومن ثم خلت مدينة البارة تماما من المسلمين ، وصارت كلها تدين بالمسيحية . »

بيد أنه من غير المحتمل وجود أية محاولة لاجبار المسلمين في البارة على اعتناق النصرانية تحت تهديد السلاح ، إذ لم يكن الراهب روبرت ضمن من شاركوا في الحملة الصليبية ، كما أن تأكيده على استخدام القوة لاجبار الآخرين على اعتناق النصرانية لا يوجد له ما يؤيده في أى مصدر آخر ، على الرغم من أن كل الكتابات التاريخية المعاصرة وافقت على حدوث مذبحة رهيبة ، في اقليم كان به

نصارى من أهل المنطقة ، وذلك قبل انشاء الأسقفية اللاتينية الأولى . وكتب ريموند الأجوليرى ، الذى كان موجودا فى مدينة البارة وقت وقوع المعركة يقول بأن الكثيرين من سكان تلك المدينة تم قتلهم أو تم بيعهم فى أسواق النخاسة فى أنطاكية ، أما الذين أعلنوا الاستسلام فقد أطلق سراحهم ، ومما سبق يتضح أن العقوبة الرادعة للرد على مقاومة أية مدينة ، تمثلت فى تدمير هذه المدينة تدميرا شاملا والقضاء على سكانها .

ومع ذلك فالحالة الأخرى مدعمة بالوثائق . ففى منتصف يوليو ١٠٩٨م قام ريموند بايليت Raymond Pilet بتمويل حملة عسكرية كبيرة على نفقته الخاصة ، وقادها الى المناطق الريفية بجنوب أنطاكية . وفى السابع عشر من يوليو وصل الى مكان محصن شرق مدينة المعرة ، يدعى تل ميناس ، والذى كان تحت سيطرة نصارى من أهالى سوريا ، وفى الخامس والعشرين من الشهر نفسه استولى على قلعة قريبة من ذلك المكان ، كان بها عدد كبير من المسلمين . وتم قتل كل من رفض اعتناق النصرانية من المسلمين فى تلك القلعة . وبعد ذلك بيومين قام جماعة من المسلمين بمدينة المعرة بالتصدي لقوة ريموند بايليت ، ومن معه من النصارى السوريين الذين تعاونوا معه ، وأجبروا كل النصارى على الارتداد على أعقابهم بعد معركة حامية الوطيس . وعلق الراهب روبرت على ذلك بأن ريموند بايليت كان يعانى الاحساس بالكراهية الشديدة للأتراك ، بيد أنه من الأنسب القول بأنه يتحالفه مع المسيحيين المحليين من أهل البلاد الأصليين قد ورك نفسه فى الصراعات الدينية بين الأهالى .

الفكر الصليبي

المجلىين ، على أية حال ، لم يكن هذا التدخل أمرا مألوفاً في سلوك الصليبيين بعد أن غادروا أوروبا .

ان عدم توافر الأدلة على التحول الاجبارى الى النصرانية فى آسيا ، وما تلا ذلك من اصطباغ الحرب بانصبغة التبشيرية ، لا ينبغى أن يدفعنا الى التسليم بأن الصليبيين كانوا متسامحين مع المسلمين ، فقد كان لدى الصليبيين رغبة جامحة فى الانتقام من المسلمين ، فكانت ألفاظ الصليبيين تفوح بالكراهية والبغضاء للمسلمين . والواقع أنه كان هناك اعجاب بأساليب القتال الجيدة لدى الأتراك الذين كانوا يعتقدون أنهم والفرنسيين ينحدرون من أصل مشترك . وهو ما لم يعارضه المسيحيون ، بل زادوا على ذلك بقولهم : « لا يوجد رجل يمكن أن يكون فارساً بالطبيعة سوى الفرنسى المولد أو التركى » . واذا ما اعتنق الأتراك التعاليم النصرانية « فمن المستحيل أن نجد أشجع أو أحر من هؤلاء المحاربين الأشداء » . غير أن هذا القول كان أمراً نادراً ، إذ ان القاعدة المتبعة لدى الصليبيين كانت أسلوب الذم فى حديثهم عن الأعداء فقالوا عن المسلمين انهم برابرة وغير متمسكين بقواعد الأخلاق الحميدة ، وضعاف الايمان . ولذلك كان هناك اعتقاد سائد بين النصارى بأن مصير المسلمين حتفهم . ونظر النصارى الى المسلمين على أنهم أعداء الله والمسيح والنصرانية . وأنهم عبدة للشيطان وأماكن عبادتهم هي أماكن عبادة للشيطان . وكان من السهل اعتبار بعضهم سحرة ومشعوذين : فعندما كان المسيحيون يدكون أسوار مدينة بيت المقدس ، شاهدوا امرأتين ومعهما أطفالهنما عند الأسوار ، فظنوا هاتين المرأتين من الساحرات اللائئى جئن لافساد العمليات العسكرية .

ومن ناحية أخرى ، كان الصليبيون ينظرون الى أنفسهم على انهم شعب الله أو المسيح وعباده وأنصاره أو جنوده ، ويقاتلون فى سبيل الله • والاهم من ذلك كله فقد كانوا « فرسان المسيح » برعم عدم وجود دليل على استعمال هذا التعبير حتى مارس ٩٨٠م • وكما يتوقع المرء عند وصف جيش يتكون من رجال ونساء من شعوب متعددة فقد ظهر العرب بمظهر من يذهب لمساعدة الشرق ، غير أنه كان هناك تأكيد على المساهمة الخاصة التى قام بها الفرنسيون استجابة لدعوة البابا أوربان • فضلا عن ذلك كانت الحرب الصليبية مشروعا فرنسيا من أجل المحافظة على جلال وهيبة الكنيسة الرومانية والفرنسية • ففدت الحملة الصليبية وكأن الكنيسة الفرنسية بأسرها فى حالة ترحال للحج وزيارة الأماكن المقدسة • وكانت حكاية هذا الحج هذه أروع حكاية يحكيها الفرنسيون « الذين أمرهم الله بالذهاب للحج فى بيت المقدس بأسلحة القتال » • وبرزت على السطح التقاليد الفرنسية القديمة القائلة بأن الفرنجة هم شعب الله المختار • « مبارك الشعب الذى اختار المسيح ربا » • وتشبع هذا المفهوم بالروح الرومانتيكية الكارولنجية Carolingian romance والواقع أنه ابان الدعوة للحرب الصليبية انتشرت اشاعة فى ألمانيا تقول بأن شارلمان قد بعث من بين الموتى • واستطاع معظم القادة ارجاع سلسلة نسبهم الى شارلمان ، ويبدو أن ثلاثة منهم ، هم روبرت الفلاندرى ، وحوذفرى البويونى ، وشقيقه بلدوين كانوا يدركون ذلك بصفة دائمة • وذكر رالف الكاينى Ralph of Caen كاتب

سيرة تانكرد Tancred أنه فى سنة ١١٠٠م جلس بلدوين ليل شالمان على عرش داود كملك لبيت المقدس ، وعند

وصفه لمعركة أرضروم Dorylaeum قال انه فى استطاعة
المبرء القول ان رولاند وأوليفر Roiland and Oliver بطلى
انشودة رولاند - قد ولدا من جديد ، كما اعتقد الصليبيون
الذين عبروا بلاد المجر Hungary ، أنهم سلكوا طريقا بناء
شارلمان .

وفى الواقع كان الصليبيون مقتنعين بأن الله اختارهم
من بين كل البشر للقيام بالمهمة التى أخذوا على عاتقهم
تنفيذها فقالوا : « من الواضح أن الله هو الذى اختاركم
وحفظكم من كل سوء ، وأنعم عليكم بفتح هذه المدينة والمدن
الأخرى ، ولم يكن ذلك نتيجة لما أوتيتهم من قوة ، وانما
لغضب الله على العاصين لتعاليمه وعقابا لهم ، وفتح لكم
الأبواب ، وانتصرتهم فى المعارك الضارية لأن الرب هو
القائد والسيد » .

وبالطبع ليس معنى ذلك أن الصليبيين اعتقدوا أنهم لم
يرتكبوا ذنوبا ، ولم يعصوا الله أحيانا ، فقد رأوا أن الله
أراد ألا تسقط مدينة الرقة فى أيديهم . إذ ان تأييد الله لهم
لا يعنى أنه لا يسمح لهم بتذوق مرارة الفشل . وبين الفينة
والفينة عانى بعض الصليبيين اليأس كما حدث أثناء ليلة
الذعر والهلع فى أنطاكية فى العاشر أو الحادى عشر من يونيو
١٠٩٨ م ، أو عندما بلغت الامبراطور الكسيوس Alexius
أنباء كاذبة عن التدمير التام للجيش الصليبي فى أنطاكية
عندما كان الكسيوس وجيشه وبعض الصليبيين يتقدمون عبر
آسيا الصغرى ؛ مما دفع جوى شقيق بوهيموند الى التحدث
بكلام لاذع ، قال فيه انه أوشك على أن يفقد ثقته فى الله .
ويقال ان أحدا لم يجروا على الصلاة لمدة عدة أيام بمن فيهم

القساوسة * غير أن تلك الأمور كانت حالات غير عادية ،
 بقدر ما يستطيع المرء القول * وتضمن خطاب كتبه أنسيلم
 الريبمونتى Anselm of Ribemont ، فى يوليو ١٠٩٨م رد
 فعل طبيعيا لتلك النكسات اذ ذكر فيه : « ان الله الذى كلنا
 أبنائوه يحبنا ويعلمنا على هذا النحو » * كما وردت فكرة
 العقاب عند الله والتي وردت فى العهد القديم بصورة ملحوظة
 فى خطاب كتبه دايمبرت البيزاوى Daimbert of Pisa ، وريموند
 السانت جيلى Raymond of St Gilles فى سبتمبر ١٠٩٩م :
 « ولمدة تسعة أشهر قيد الله قدرتنا على العمل ... وأذلنا
 خارج أنطاكية الى أن تحول كل غرورنا الزائف الى تواضع *
 وتدهورت أحوالنا ولم يبق معنا سوى مائة جواد صالحة
 للحرب فى الجيش كله ، ثم فتح الله علينا خزائن نعمته
 ورحمته وفتح لنا أبواب المدينة » *

وكانت الآلام والحرمان والمحن والبلايا هي العقوبات
 التى ابتلى بها الله الصليبيين الذين خالفوا أوامرهم أو وقعوا
 فى المعاصى * وكانت تلك العقوبات تكملة لأعمال الكفارة
 Penance التى يمارسونها عن طيب خاطر * وكتب فولشر
 الشارترى Fulcher of Chartres معلقا على الحوادث التاريخية
 فى الشتاء الفاجع لعامى ١٠٩٧ - ١٠٩٨م قائلا : « فى
 اعتقادي أن هذا قدره الله منذ أمد بعيد ، وما حدث
 للصليبيين فى مثل هذه الكارثة الكبرى إنما من أجل تطهيرهم
 من خطاياهم ، كما يتم اختبار الذهب بالنار ثلاث مرات ،
 وتطهيره سبع مرات بالنار أيضا » * وكانت الحملة الصليبية
 تتماشى مع ما جاء فى المقطع الأخير من الصلاة الربانية ،
 واختيارا الهيا لايمان ونوايا المشاركين فى تلك الحملة *

وعندما وصل الجيش الصليبي الى بيت المقدس ، قام ريموند السانت جيلي بجولة لزيارة الأماكن المقدسة التي تقع خارج أسوار المدينة . وعندما شاهد الكنيسة المقامة على جبل صهيون Mount zion قال للمرافقين له ما يلي : « اذا تركنا هذه الأماكن المقدسة التي منحنا الله اياها ، ثم سيطر عليها المسلمون ، فماذا يحدث لنا ؟ ... اننا اذا لم نحافظ على تلك الأماكن المقدسة فلن يعطينا الله تلك الأماكن التي تقع داخل أسوار المدينة » .

واعتقد الصليبيون بأنهم نذروا أنفسهم وتطوعوا للقيام بهذه الحملة بوحى من الروح القدس ، وأن انجازاتهم هي تنفيذ لمقاصد الله . كما نظروا الى أنفسهم على أنهم يقومون بأعمال البر المسيحي ، ورغم تعدد ألسنتهم واختلاف بلادهم ، فقد جمعتهم محبة الرب والجوار . وكان البابا أوربان قد طلب منهم المشاركة في الحملة الصليبية بدافع من محبة المسيح وكانوا مقتنعين بأنهم قد أوفوا بندورهم . ففي الواقع وجدوا أنفسهم يقومون بتنفيذ تعاليم المسيح بحرفيا ، وهي التي استشهد بها البابا ، « إن أراد أحببكم أن يتبعني فليترك نفسه ويحمل صليبه ويتبعني » ، « وكل من ترك بيته أو اخوته أو أخواته أو والده ووالدته أو زوجته أو أولاده ، أو أرضه ، من أجل ، فسينال مائة ضعف ، وسينعم بالحياة الأبدية » . وكان للصليب أهمية فريدة ، كما أن اتخاذ صورته ، بل وعمل الوشم على أجسادهم بعلامته بتحمس شديد ، وكذلك اتخاذ طريق الصليب ، والدعوة الى حملته ، كل ذلك أدى الى اتباع أسلوب الحياة الديرية ، وقبول حياة قائمة على اماتة الجسد ، وذلك بكبح الشهوات . وأصبح طريق الخلاص متاح « للعلمانيين » هو التسليح بالصليب ،

ومن ثم نعلموا بتقداسته ، وحاربوا من أجل نصرته . وظهرت صورة الصليب عندما وضع الجميع قطعة من القماش على ملابسهم على شكل صليب وثبتوها بالخياط . هذا بالإضافة الى أن تلك الصورة صارت تعنى المشاركة فى الحرب الصليبية ، ذلك لأن تعبير Cruce Signati (هؤلاء الذين يضعون صليباً من القماش) صار يعنى على الفور أولئك الذين ندرؤا أنفسهم للمشاركة فى الحرب الصليبية . وبالنسبة للأوربيين الشماليين الذين وصلوا فرنسا وهم فى طريقهم الى الشرق ، فقد رسموا الصليب بأيديهم لكى يعرف الآخرون أنهم ضمن الجماعات الصليبية . واعتقد الصليبيون أنهم يعبرون عن الحب لآخوانهم فى الانسانية عندما ينفدون قول المسيح : « ليس هناك حب أعظم من هذا أن يضع المرء نفسه من أجل أحبائه » . (يوحنا : ١٥ : ٣٠) وفى أوقات المحبة كانوا يذكرون بعضهم البعض بتمهدهم بالاتحاد فى الحب المسيحى .

وكما شاهدنا تعرض الحب المسيحى لله ولجاره فى الانسانية لشيء من التعريف ؛ لأن هذا الحب ارتبط كذلك بحب الصليبي لوالديه أو لأسرته . ومن ثم أصبح هناك مبرر للانتقام وشن حرب الثار Vendette ضد غير النصارى الذين أوقعوا الأذى بالمسيح باحتلال أرضه واضطهاد أبناء الله . بيد أن التوكيد على المحبة المسيحية كان له أهمية أخرى ، لأنه على ضوء الفهم الواضح بأن الله كان مع الصليبيين فى حربهم تولد اعتقاد راسخ لدى الصليبيين بأن قتلهم شهداء عبروا عن محبتهم لله عندما نالوا الشهادة . وعبر عن ذلك فيما بعد جويرت الشوجنتي Guibert of Nigent البيكاتب

الديرى فقال : « اذا كانت هناك حاجة تدفع الصليبيين الى تحمل آلام العقاب على خطاياهم ، فان اراقة دمائهم وحدها من اقوى الطرق للتكفير عن هذه الخطايا » . ومن الممكن تقسيم هؤلاء الشهداء الى ثلاث درجات أو طبقات . وتتكون الطبقة الأولى من أولئك الذين ماتوا من المرض ولذلك فان مراتب الشهداء تشمل كل أولئك الذين ماتوا ميتات فاضلة ، وهم الفارس اينجوراند السانت بولى Enguerrand of St Pol الذى ظهر فيما بعد فى المنام لأحد المسيحيين وكذلك أدهيمار اللوبوى Adhemar of Le Puy . على أن كل من كتبوا عن الحرب الصليبية ، سواء أكانوا من شهود العيان أم غير ذلك ، اعتقدوا أن أدهيمار قد ذهب الى الفردوس ، باستثناء ريموند الأجوليرى Raymond of Aguilers ، الذى اعتبروه يتعذب بعض الوقت فى الآخرة بسبب شكوكه فى الحرب المقدسة . غير أن أولئك الكتاب مالوا الى التأكيد على حياته الطاهرة على الأرض أكثر من تأكيدهم على استشهاده ، بيد أن خطابا كتبه رئيس أساقفة ريمز Rheims ، ورد به اسم أدهيمار ، واسم وليم الأورانجى William of Orange الذى كان قد مرض ومات فى حوالى العشرين من ديسمبر ١٠٩٨ م ، اذ انهما ، « مع أولئك الذين ماتوا فى سلام ، ونالوا تاج الاستشهاد المجيد » . وتضم الفئة الثانية من الشهداء الكهنة والعلمانيين ، الذين كان ينظر اليهم كشهداء بحكم العرف والتقاليد لأنهم ماتوا على أيدي الآخرين ، اذ انهم قتلوا وهم غير مقاتلين ، أو غير مسلحين ، أو لأنهم رفضوا التخلي عن الايمان المسيحى بعد أن وقعوا أسرى فى أيدي المسلمين . ومثال ذلك رينولد بورشت Raynald Porchet ، وهو أحد الفرسان النورمان من جنوب ايطاليا ، وكان قد أسره

المسلمون فى السادس من مارس ١٠٩٨ م . وقام المسلمون الذين أسروه يعرضه على أسوار مدينة انطاكية فى حوالى الثالث من أبريل من أجل المطالبة بالفدية ، غير أنه رفض ذلك بكل تحد ، وشجع قادة المسيحيين على مواصلة محاصرة المدينة بكل عزم وعناد، وأبلغهم أن حامية المسلمين ضعيفة . ثم أنزله المسلمون من فوق السور وأحضروه أمام قائد المسلمين الذى عرض عليه اعتناق الاسلام مقابل أى طلب يريده . وطلب رينولد امهاله بعض الوقت لدراسة العرض، بيد أنه قضى ذلك الوقت فى التضرع الى الله ليدخله الفردوس . واستشاط القائد المسلم غضبا عندما أبلغه المترجم أن رينولد كان يردد كلمات تدل على رفضه للاسلام . عند ذلك أمر القائد الاسلامى بضرب عنق رينولد على مشهد من كل الصليبيين الأسرى ، وأحرق جثته علنا وسط ركام ضخم من الحطب . ويبدو أن الاعجاب بشخصية رينولد قد صار واسع الانتشار تماما . فهناك رواية مفصلة طرأ عليها تعديل الى حد ما - تحكى قصة رينولد هذا فى أنشودة أنطاكية Chanson d'Antioche . وفى حوالى ١١٣٠ م كان يشار الى رينولد على أنه أحد القديسين .

وتتكون الفئة الثالثة من الشهداء من هؤلاء الذين ماتوا فى المعركة، وكان روجر البورنفيل Roger of Barneville أحدهم ، وهو الذى سبق الحديث عنه . ولكى ندرك ادراكا كاملا أهمية هؤلاء الشهداء فعلى المرء أن يتذكر أن الاستشهاد يقتضى ضمنا قبول الموت عن طيب خاطر من أجل العقيدة ، وأن يفكر مليا فى موت المسيح ، ولذا فالموت استشهادا هو أسمى أعمال الحب والمثال البالغ حد الكمال للموت المسيحى . ان الشهيد يقدم حياته هدية الى الله وهو عمل غاية فى

الفكر الصليبي

الجدارة والاستحقاق ويستحق فاعله أن ينظر إليه الله على الفور . ان الفكرة التي تمثلت في استطاعة الانسان أن يبال الاستشهاد عندما يمارس بنفسه أعمال العنف لم تكن جديدة . ويرجع تاريخ هذه الفكرة الى عام ٧٩٩ م حين وردت في التاريخ المسيحي العربي لأول مرة ثم ترددت هذه الفكرة في مصادر قليلة بعد ذلك . ثم ترايد استخدامها في القرن الحادى عشر . بيد أن الأدلة على الايمان بالشهادة أثناء الحرب لم تكن كثيرة قبل عام ١٠٩٥ م ، وحتى لو افترضنا وجود هذه المصادر التي سيكشف عنها الزمن ، الا أن الكثير من هذه المصادر لم يخرج الى حيز الوجود الا أثناء الحملة الصليبية الأولى . وعلى الرغم من أن فكرة الاستشهاد في الحرب كانت تنتشر بسرعة الى حد ما بعد الحملة الصليبية - ربما يعود ذلك الى المؤلفين لأنشودة رولان the Song of Roland ثم الى مؤلفات كل من ميلستتر اكسودوس Millstatter Exodus ، وجودفري المونماوثى Geoffrey of Monmouth وكتابات حول دفاع آرثر Arthur عن بريطانيا - فانه بعد قرن كتب أحد المؤلفين أثرا أدبيا عن الحياة الدينية قائلا : « ادرسوا تاريخ حياة الشهداء المقدسين وآلامهم ، وانكم لن تجدوا أى شهيد كان يتمنى أن يقتل من قام باضطهاده . انه نوع جديد من الشهيد الذى يرغب فى قتل غيره » . ولا يمكننا تجنب القول بأن هذه الفئة من المحاربين التي قبلت ما وقع بها من عسف فى وداعة ، لم تكن مقبولة بصفة عامة عام ١٠٩٥ م .

فضلا عن ذلك نحن لا نعرف السبب الذى جعل رجال الدين يبشرون من يقتل فى الحرب الصليبية بالاستشهاد

منذ بدء الدعوة للحملة الصليبية * ولا يوجد لدينا سوى خطابين من الخطابات التى تحتوى موعظة البابا أوربان فى كليرمونت * وقام رجل بتدوين الخطاب الأول بعد ان سمع موعظة البابا مباشرة ، أما الخطاب الثانى فقام بتدوينه رجل آخر لم يسمع من البابا مباشرة * ونوه البابا فى هذين الخطابين الى الاستشهاد * وفى الخطابات التى أرسلها الصليبيون حتى مارس ١٠٩٨م لا توجد اشارات واضحة وخالية من الغموض ، عن الاستشهاد ، برغم وجود عبارات فى خطاباتهم تشير الى أن رفاقهم يموتون لينالوا الحياة الأبدية ، ويموتون من أجل المسيح الذى مات من أجلهم ، وقد بدأت تلك العبارات فى الظهور فى يناير ١٠٩٧م * وتجدد الإشارة الى أن كاتب احدى الرسائل فى نوفمبر ١٠٩٧م طلب اقامة الصلوات من أجل الموتى ؛ مما يوحى بأن هذا الكاتب لا ينظر الى هؤلاء الصليبيين الذين ماتوا فى القتال على أنهم فى الفردوس * وبعبارة أخرى يمكن القول بأن الاعتقاد فى أن الصليبيين الذين قتلوا فى الحرب قد نالوا الشهادة قد بدأ يسيطر على عقول المقاتلين بعد أن عبروا آسيا الصغرى ، أى بعد أن أصبحوا على يقين من أنهم يقومون بعمل مقدس *

وزاد الاعتقاد فى نوال الشهادة بعد أن شاع ظهور أشباح الموتى من الصليبيين للأحياء منهم لتحذيرهم أو نصيحهم أو حتى مساعدتهم أثناء القتال * وساد الاعتقاد بأن الجيش السماوى الذى كان يعتقد أنه ساعد الصليبيين أثناء معركة أنطاكية ، كان يتألف فى معظمه من أرواح الموتى الذين سقطوا شهداء * وفى يونيو ١٠٩٨م ، قرر أحد الصليبيين الهرب ، وأثناء هبوطه من فوق أسوار أنطاكية

الفكر الصليبيين.

مستخدما حبلا طويلا واجهه أخوه الصليبي الذي كان قد مات قتيلا ، ونصحه بالبقاء اذ ان « الله معه » . أما أدهيما ر اللوبوى Adhemar of Le Puy الذي لم يكن موته نتيجة لسقوطه فى ميدان المعركة فيقال انه ظهر عدة مرات بعد موته مباشرة . ويقال انه ظهر سبع مرات لأربعة أفراد كلهم من أتباع ريموند السانت جيللى . على أن كتاب التاريخ الذى وضعه ريموند الإجوليرى Raymond of Augilers's History هو المصدر الوحيد الذى يتناول أخبار تلك الرؤيا . ومما لا يثير الدهشة هو أنه أثناء ظهور أدهيما ر خمس مرات ، كانت احداها لبطرس بارثولوميو Peter Bartholomew ، الذى كان حريصا على التأكيد على أن أدهيما ر تعرض للتعذيب بسبب شكوكه بشأن الحربة المقدسة ، وقد تم ارساله الى جهنم لفترة من الوقت ، حيث تعرض للضرب بالسياط وتعرض وجهه للفتحات النار ، وسفع اللهب لحيته ، ولكن تقديم زملائه الشمعة من أجل روحه ، وتقديم القربان الى الحربة المقدسة ساعد على انقاذه . وقام أدهيما ر بارسال بعض الرسائل الأخرى منها أن الموتى من الصليبيين سيقدمون المساعدة للصليبيين فى حروبهم وأنه شخصيا سيظهر ويقدم المشورة والنصائح . وأبلغ بضرورة تقديم عبادة من عباداته الى كنيسة القديس أندرو St Andrew فى أنطاكية ، وربما كان ذلك بمثابة عقد صلح لأنه أنكر رسائل ذلك القديس . وقام بتأنيب الصليبيين لأنهم تجاهلوا أوامره ، وأوامر السيدة العذراء Our Lady . وأبلغ بضرورة حمل صليبه فى طليعة الجيش الصليبي . وفى أوائل يوليو ١٠٩٩ م عندما كان موقف الصليبيين يتزايد حرجا أثناء محاصرتهم لبيت

المقدس ، ظهر أدهيمار مرة ثانية للصليبيين وأبلغهم تعليمات بشأن اتقرب الى الله عن طريق الصوم والسير في موكب حفاة الاقدام حول بيت المقدس ، وتنبا لهم بسقوط بيت المقدس في ايديهم بعد تسعة أيام . وعند الاستيلاء على بيت المقدس شاهده الصليبيون الدين كانوا يتدافعون فوق أسوار المدينة في مقدمة الهجوم . وفي احدى المرات التي ظهر فيها شاهده الصليبيون وبجواره حامل رايته هيرقليوس البولنيساكي Heraclius of Polignac الذي كان قد أصيب بجرح أدى الى وفاته في معركة أنطاكية . وظهر هيرقليوس هذا والجروح واضحة على وجهه ، وأبلغ من شاهده أن المسيح قد منحه امتياز الاحتفاظ بجروحه الى الأبد كما هي ، وهي التي كانت سببا في وفاته .

ومن أكثر الرؤى شهرة ، تلك الرؤيا التي شاهدها أنسيلم الريبمونتى Anselm of Ribemont اما بالليل أو وقت الظهيرة قبيل مقتله في الخامس والعشرين من فبراير ١٠٩٩م . وتحمل روايتان من الروايات التي مازالت بين أيدينا بعض أخبار هذه الرؤى . ففي الرواية الأولى التي ذكرها ريموند الأجوليرى Raymond of Augilers فقد شاهد انجوراند الفارس الصنعي السانت بولي ، والذي كان قد مات قبل ذلك بشهرين . وظهر انجوراند في غاية الأناقة وأكد لأنسيلم بأنه « عليه ألا يحسب الدين قتلوا من أجل المسيح أمواتا » . اذ أخذه الى الجنة وأراه مسكنه بها وهو مسكن فاق الوصف . وأبلغ أنسيلم أنه يعد له حاليا قصرا ليسكنه في الغد القريب . أما الرؤيا الثانية فقد شاهدها أرنولف الشوكى Arnulf of Chocques ، الذي ادعى أن أنسيلم نفسه

الفكر الصليبي

أبلغه أياها، وشاهد خلالها أنسيلم واقفا على كومة من التراب. ومنها كان ينظر الى قصر فخم - وشاهد عددا لا حصر له من الأشخاص الحسان ، وكان من الصعب عليه التعرف عليهم . اذ انهم يتغيرون عند دخولهم الباب ، واتجه اليه أحدهم ، وهو انجوراند السانت بولي Enguerrand of St Pol وقال له انهم رجال الحملة الصليبية الذين نالوا تاج الاستشهاد حديثا . وأبلغ أنسيلم أنه سيلحق بهم فى وقت لاحق .

وعلى وجه الاجمال فقد أبلغت الأرواح رسالتين : الأولى هى أن الحرب كانت حقيقية ، والثانية أن رفاق الصليبيين الذين ماتوا - بسبب المرض أو على أيدي من أسرهم من المسلمين أو فى ساحة الوغى - ذهبوا على الفور الى الفردوس لأنهم شهداء .

وهكذا تطورت العناصر المنفصلة التى تضمنتها دعوة البابا أوربان للحرب الصليبية ، وانصهرت فى بوتقة واحدة ، وصارت مجموعة من الأفكار الصليبية . وعندما أصبح الصليبيون مدركين لعظمة انجازاتهم ، اعترفوا بأن التفسير الوحيد لنجاحهم ، هو وجود قوة مقدسة تدخلت ماديا لمساعدتهم . وكان ظهور العلامات فى السماء ، واكتشاف الآثار المقدسة ، وظهور أرواح الموتى وتحركها فى شكل جسد ، وتحدثها لأشخاص لهم المقدرة والاستعداد على مشاهدة الرؤيا Visionaries أدلة على وجود هذه القوة المقدسة . ومن الواضح أن الحملة الصليبية كانت عملا تدخلت فيه العناية الالهية . وفى الحقيقة كانت حربا مقدسة خاضها جند المسيح من أجل تنفيذ ارادة الله ، فقد شام الله تخليص بيت المقدس قبل كل شيء . وقام رسل الله .

يل ان الله نفسه فى شخص المسيح قد شارك فى شق الطريق
ذهابا وايابا بين السماء والأرض لحمل رسائل التشجيع
والتعزية والنصح والتحذير للصليبيين .

وبالطبع كان هذا يكفى لأن يجعل من الحرب الصليبية
عملا له ما يبرره من الناحية الأخلاقية ، ولا سيما أن الصليبيين
كانوا يقدمون الدليل بأنفسهم على محبتهم لله وطاعتهم
لأوامره ، كما عبروا عن محبتهم لآخوانهم فى المسيحية .
وكان نشاطهم يحظى بالتكريم والتبجيل ؛ اذ كان يمكن
مقارنة الرجل الذى يشارك فى الحملة الصليبية بذاك
الرجل الذى يهب نفسه للواجب الدينى وممارسة حياة
الرهبنة ، تلك الحياة التى كان ينظر إليها على أنها اسمى
طريق يمكن للمرء أن يسلكه . وكانت الحملة الصليبية هى
أفضل الدروب التى رسمها مصلحو الكنيسة للعلمانيين من
الرجال والنساء ، ونصحوهم بالسير فيها . ومن الملامح
المميزة فى كتاباتهم تحول دفة هذه الكتابات نحو الدعوة
للحرب ، بعد أن كانت مقصورة على الدعوة لحياة الرهبنة من
قبل . فظهرت عبارات جديدة مثل ، « فرسان المسيح » منذ
١٠٩٥ م ، وأطلقت على فرسان الحملة الصليبية بصورة
تلقائية . وظهرت عبارات أخرى فجأة . فمثلا صار لفظ
طريق الصليب يقصد به وصف هذه الحرب . وفى الكتابات
الديرية المعاصرة يجد المرء صورة وصفية عن بيت المقدس
السماوية باعتبارها الهدف الحقيقى للحياة الديتية ، والتى
تفوق أهميتها بيت المقدس الأرضية ، كما أكد على ذلك
القديس أنسيلم الكانثربراوى Canterbury . ومن أجل
الوصول الى بيت المقدس السماوية يتطلب الأمر رحلة
داخلية ، وهى عبارة عن ايمان مسيخى حقيقى . وأثناء

الزحف على بيت المقدس ربط الصليبيون بين حملتهم الصليبية وبين بيت المقدس السماوية التي يسمعون الى الوصول اليها . ففي سبتمبر ١٠٩٨ م أرسل القادة الى البابا أوربان يطالبونه بالحضور ، « ليفتح لنا أبواب بيت المقدس الأرضية ، والأخرى السماوية » . مما يوحى بأنهم اعتقدوا بأنهم كانوا يقومون برحلة حج داخل أنفسهم للوصول الى بيت المقدس السماوية . وليس هناك ما يدعو للدهشة أنه برغم كتابة أوربان بأنه لا يريد ، « من هؤلاء الذين نذروا أنفسهم للجهاد الروحي الرحيل » . وكان يعنى بذلك الرهبان ، وعدم رغبته في مشاركتهم في الحملة الصليبية ، فان أعمال الفرنجة Gesta Francorum تمكن من الادعاء بأن بوهيموند Bohemond قال : « انكم تعلمون الحقيقة فهذه ليست حربا دنيوية ، وانما هي حرب دينية » . وفي ضوء استخدام العبارات المرتبطة بالحياة في الأديرة مثل عبارات « فرسان المسيح » و « طريق المسيح » ، و « بيت المقدس السماوية » ، و « الحرب الروحية » أثناء زحف الجيش الصليبي ؛ فلا غرابة أن يستخدم الصليبيون عبارة ، « الشهادة » ويطلقوها على من يسقط منهم في ساحة المعركة .

ومع ذلك ، فان المفاهيم المدهشة والأفكار التي علقوا عليها آمالهم تم التعبير عنها ببساطة في الخطابات وفي الكتابات التاريخية التي سجلها شهود العيان ، ولم يقم أحد بمحاولة اثبات صحتها على أساس أن علماء اللاهوت موافقون عليها . وكان هناك من يوجهون أسئلة لأولئك العلماء . ومن هذه الأسئلة : هل يرجع نجاح الحملة الصليبية الى العناية الالهية ؟ ولماذا كانت فكرة الحرب الصليبية محببة

الى الله ؟ وهل من الممكن أن تتساوى بيت المقدس الأرضية مع
المدينة السماوية ؟ وهل من الممكن اعتبار مثل هذا الصراع
الدنيوى على أنه حرب دينية ؟ وهل يعمل الصليبيون من أجل
خلاصهم ؟ وإذا كانوا كذلك فكيف كانوا يفعلون ذلك ؟
ولا يمكن تقديم الأجوبة المقدمة عن تلك الأسئلة سوى
المعلقين الذين نالوا قسطا وافرا من الدراسات اللاهوتية
وليس هؤلاء الذين شاركوا فى الحملة الصليبية .

الفصل الخامس

الحملة الصليبية لسنة ١١٠١ م

منذ شتاء عامي ١٠٩٦ - ١٠٩٧ م فصاعداً بدأ الصليبيون يرجعون الى غرب أوروبا تدريجياً . وتكدست أكوام الخزغ والعار على رؤوس العائدين الأول الى أوطانهم مثل اميتش لينين Emich of Leiningen الذي عاد الى موطنه في البلقان ، وستيفن البلوى Stephen of Blois الذي فر من الحملة الصليبية في أنطاكية ، وهيو الفرماندى Hugh of Vermandois الذي لم يعد ثانية الى الجيش بعد أن تم ارساله في سفارة الى القسطنطينية في بداية ١٠٩٨ م . أما ستيفن البلوى ، فلم يقتصر الأمر على احساسه بالخزي والمذلة العلنية ، وانما تعرض للمعاملة الناجمة عن الازعاج المتواصل على يدي زوجته العنيفة ، أديلا الانجليزية Adela of England . أما جى تروسو Guy Trousseau الذي هرب من أنطاكية بعد تسلق أسوار تلك المدينة في ليلة الذعر الجماعي المفاجيء الذي ملأ قلوب الصليبيين ١٠٩٨ م ، فقد عاد الى فرنسا رجلاً محطماً ، وكان منهك القوى بسبب المشقة التي كابدها أثناء رحلة العودة من أنطاكية الى فرنسا . وفي شتاء ١٠٩٩ - ١١٠٠ م تبع تلك الشخصيات

التي لطخت أنفسها بالخزى والعار شخصيات أخرى كانت
مبتهجة بالنصر ؛ اذ تحقق فتح بيت المقدس على أيديهم . ولا بد
أن عودة الشخصيات الكبرى قوبلت بالترحاب عندما يفكر
المرء في حالة الفوضى التي غالباً ما تتبع الغياب الطويل
للسيد الاقطاعي ، فاقليم الفلاندر Flanders ، كان في حالة
مضطربة عندما كان الكونت روبرت Count Robert بعيداً عن
الوطن . ولا بد ان تذكر المخاطر التي كان يواجهها الصليبي
بعد عودته ، اذا ما وجد أن أسرته أو أحواله المالية في خطر .
وخير مثال على ذلك تجربة هيو شومون Hugh of Chaumont
الذي انضم الى الحملة الصليبية بمجرد بلوغه سن الرشيد
بعد نزاع عنيف على الميراث . وفي خلال الفترة التي كان
فيها لا يزال قاصراً تولى خاله ليزوا Lisois مهمة حراسة
قلعة هيو القاصر في أمبواز Amboise . وأراد ليزوا أن
تكون القلعة من نصيب وريثته كوربا ثورين Corba of
Thorigne ، حفيدته من خلال زواج ابنته اليزابيث من
فوكوا الثوريني Foucois of Thorigne وحاول ضمان تنفيذ
ذلك من خلال اعداد ترتيبات مع الكونت فولك الأنجوى
Count Fulk of Anjou تقضى بأن تزف الى رجل يدعى
أيمرى الكوروني Aimery of Courron . وتصدى هيو
الشوموني لمحاولة حرمانه من أمبواز Amboise بكل عنف .
ونجح فولك الأنجوى في تسوية الخلافات بين هيو وايمرى
Aimery . وتحدث الكثير من الناس عن السزعة التي
انتهت بها تلك المنازعات بعد أن تم التوصل الى تسوية كافة
الخلافات ، حتى ان كلا من هيو وايمرى انضما الى الحملة
الصليبية في تور Tours بحضور البابا وذهبا الى الشرق
معا . ثم مات أيمرى أمام نيقية ، ونقل ستيفن من بلوا ،

وزملاؤه الهاربون خبر وفاة ايميرى * أما هيو الشومنتى
Hugh of Chaumont فقد قام بدور متميز فى الحرب
الصليبية ، وشارك رالف البوجنسى Ralph of Beugency
فى حراسة احدى بوابات أنطاكية فى الليلة التى خشى فيها
الأمراء من حدوث هروب جماعى * وبعد أن وصل هيو الى
وطنه فى عيد الفصح Easter ، ١١٠٠ م ، وكان قد اكمل
زيارته المقدسة ، الا أنه كان مريضا مثل العديد من رفاقه -
وجد أنه قد يفقد أمبواز Amboise * فى غياب هيو باع
الكونت فولك Count Fulk ضميره بالمال لكى يزوج الأرملة
كوربا الثورينية Corba of Thoringné الى كهل طفيلى يدعى
أشارد الليسانتى Achard of Les Saints ، مجددا بذلك كل
الدعاوى والقضايا التى تم تسويتها قبل انضمام هيو للحملة
الصليبية * فقد تسببت عودة هيو فى استئناف أعمال العنف
وتمثل ذلك فى قيام أحد أتباعه الاقطاعيين باختطاف كوربا
Corba طمعا فى الحصول على الفدية .

وعلى الرغم من أن كثيرا من الصليبيين قد عادوا الى
عالم مولع بالقتال فى فرنسا القائمة على النظام الاقطاعى ،
فان كثيرا منهم يبدو أنه قد عاد ، وقد غلب على فكره الطابع
الدينى * فقدم روبرت النورماندى صلاة شكر مقدسة الى
القديس مونت - سانت - ميشيل Mont-Saint-Michel
كما أهدى جيوجو المارى Guigo of Marra كنيسة فى بلوزر
- هوسن Bellousur-Huisne الى رهبان القديس جوليان
التورى St Julian ، بعد أن استضافوه وهو فى طريق عودته
لوطنه * وبالنسبة للبعض الآخر كانت عودتهم هى نقطة
البداية للانخراط فى حياة الأديرة والتباعد عن العالم .

الحملة الصليبية الأولى

فأصبح الفارس جريمالدوس Grimaldus أحد الأخوان في دير كلوني Cluny - وأصبح رتشارد فتز - فولك Richerd Filz-Fulk راهبا في بيك Bec . أما الفارس الصليبي جليبرت Gilbert فقد أصبح راهبا في دير القديس أوين St Ouen في روان Rouen . وكان قادرا على منح المبنى الذي به الدير والكنيسة كل المال الذي ورثه عن سيده أوبرى جروسا Aubrée Grossa ، التي ماتت في الحملة الصليبية الأولى . وبالنسبة للبعض الآخر - مثل رالف الأحمر البونت - أشانفري Ralph the Red of Pont-Echanfray أو مغامر آخر مثل توماس مارل Thomas of Marl كانت الحملة الصليبية مجرد صنفحة في كتاب مليء بالعنف . وبذلك اختلفت نظرة الصليبيين للمستقبل . فبالنسبة الى روبرت الفلاندرى Robert of Flanders ، والذي صار مشهورا منذ ذلك الحين بلقب محب الانسانية Hierosolimitanus ، فقد حظى باحترام فائق حتى آخر أيام حياته . كما أن استخدام الأسماء المشابهة لاسمه صارت شائعة ، وربما كان ذلك على منوال ما يفعله المسلمون عندما يستخدمون لفظ حاج لمن يؤدي فريضة الحج للدلالة على الاحترام والتبجيل . وبعد ذلك بقرن من الزمان كتب لامبرت الأردري Lambert of Ardres عن أرنولد الأردري Arnold of Ardres الذي كان له دور ممتاز في الحملة الصليبية ، فقال ان سبب غياب اسم أرنولد الأردري من قائمة الذين ذكرت أسماءهم في أغنية انطاكية انما يرجع الى رفضه دفع الرشوة التي طلبها مؤلف الأغنية ، وكانت عبارة عن حذاء قرمزي اللون مقابل ذكر اسمه في الأغنية . ويوضح لنا ذلك أهمية الملاحم الشعبية

فى نقل أخبار بعض الناس ، والتحدث بمآثرهم ، وما يسطوى على ذلك من الشعور بالاعتزاز والفخر . ومن ناحية أخرى كتب أحد المعلقين يصف أحوال روبرت النورماندى ، فقال ، « ان المصائب التى تعرض لها هذا الرجل انما ترجع الى غضب الله عليه بسبب رفضه لتاج بيت المقدس . ولم يرفض هذا التاج بدافع التبجيل والمهابة للتاج ، بل رفضه بسبب التحوف من عدم الوفاء بالالتزامات التى كانت ستفرض عليه لو قبل التاج . وبذلك كان ذلك الرجل وصمة عار فى جبين النبالة » . أما أنسيلم الآردرى الذى كان قد أسره المسلمون ، واعتنق الاسلام ، فقد عامله الجميع بجفاء شديد عندما عاد الى موطنه بعد عدة سنوات لدرجة أنه اضطر للعودة للمشرق مرة ثانية .

ما مقدار الثراء الذى حققه الصليبيون ؟ قام شهود عيان بوصف المراحل الأخيرة للحملة الصليبية ، وذكر المؤرخون الكثير عن نهب بيت المقدس عندما سقطت فى أيدي الصليبيين ، وعن الفدية التى أخذها الصليبيون من الأسرى ، فقد قيل ، « فى بيت المقدس تحول كثير من المقرء الى أغنياء » . كما جاء أيضا أن البصر الذى حققه الصليبيون بعد شهر فى عسقلان جلب لهم كميات هائلة من العنائم . وللمرء أن يفترض أن من كتبت لهم الحياة من الصليبيين عاشوا فى ذلك الحين فى رغد من العيش الى حد ما ، برغم وجود أدلة على أنهم قدموا جزءا من مكاسبهم فى شكل صدقات ، وفى شكل تبرعات الى القبر المقدس Holy Sepulchre ولكن يمكن القول ان المكافأة التى حصلوا عليها فى نهاية الأمر كانت معدودة ، فلقد كانت ثروة بيت المقدس دينية

الحملة الصليبية الأولى

أكثر منها اقتصادية ، فلم يأنف الصليبيون من نهب الأماكن المقدسة ذات الأهمية لهم فحسب ، وإنما سلموا كل ما نهبوه من الأماكن المقدسة الإسلامية إلى الكنائس المسيحية الجديدة . وعلى سبيل المثال ، وهب Tancred كل ما جمعه من غنائم بما فيها ما حصل عليه من المسجد الأقصى ، إلى رؤساء الأديرة في بيت المقدس . ولا حاجة للتأكيد على أن الجيش المصري الذي حارب الصليبيين في عسقلان قد حمل معه ثروات ضخمة ، بيد أنه من الممكن أيضا القول بأن فقر الصليبيين أدى بهم إلى المبالغة في قيمة الغنيمة التي حصلوا عليها . وعلى أية حال ، فقد كانوا يواجهون تكاليف عودتهم لأوطانهم في ذلك الحين ورجعوا من حيث أتوا شمالا حوالي ثلاثمائة ميل عبر المناطق الريفية التي كانوا قد خربوها من قبل في وقت مبكر من السنة . وجاء في المصادر أنه ما أن وصلوا إلى حد الانهالك والفقر المدقع ، حتى قبل بعضهم شاكرا العرض الذي تقدمت به اليونان لتحمل نفقات سفرهم حتى القسطنطينية . والواقع فقد وجدت مصدرا واحدا يمكن أن يكون ذليلا مفسرا على عودة الصليبيين إلى أوطانهم وهم في حالة من الثراء . ومن المدهش أنهم كانوا ينتمون إلى الحملة الصليبية التي بدأت سنة ١١٠١ م : فقد عاد الكونت جى الروشفورتى Count

Guy of Rochefort إلى وطنه ، وقد أصاب الكثير من الثراء وربما تمثل هذا الثراء في الأشياء المادية . ومن الممكن أن تكون تلك الأشياء المادية هي آثار دينية مقدسة قدمها ذلك الرجل للكنائس المحلية . أما الكونت روبرت الفلاندرى الذى كان قد أرسل لوطله آثارا مقدسة من جنوب إيطاليا وهو في طريقه إلى الشرق ، فقد أعطى ذراعا للقديس

جورج St George المسروق ، الى دير أنشن Anchin ، حيث
تم بناء كنيسة باسم القديس قبل ذلك بعشر سنوات .
ووزع ايلجر بيجود Ilger Bigod شعرات من خصلة شعر من
رأس سيدتنا Our Lady [مريم ابنة عمران] ، التي كان
قد وجدها في بيت المقدس بين عدة كاتدرائيات ، وأديرة
في فرنسا . كما عرض قريبه أرنولد Arnold ، أحد رهبان
شارتر Chartres شعرتين من شعر السيدة العذراء في
كنيسة ماويل Maule ، حيث قيل ان كثيرا من المرضى قدر
لهم الشفاء بفضل قدرة الشعرتين المقدستين . وأحضر
بطرس فازين Peter Fasin آثارا مقدسة لدير مياليزا
Maillezeis . أما باين بفريل Payen Peverl الذي كان يحمل
راية روبرت النورماندى لفترة من الوقت ، فقد أهدي دير
بارنول Barnwell آثارا مقدسة كان قد حصل عليها من
الشرق . وأحضر سيمون لودرون Simon of Ludron الى وطنه
قطعة من الصليب وشظية من القبر المقدس حيث قدمهما ريو
اللوهياكي Riou of Loheac الى كنيسة القديس سفوار
Savoieur . أما أرنولد الأردري Arnold of Ardres
فقد قدم الى الكنيسة التي في مدينته مذخرا a renquary
به قطعة من الحربة وآثارا مقدسة للقديس جورج ،
وللقديسين الآخرين ، كان قد حصل عليها في أنطاكية ،
وشعرة من لحية المسيح ، وقطعة من الصليب ، وقطعة من
الحجر من المكان الذي صعد المسيح منه الى السماء وكان قد
حصل عليها في بيت المقدس . أما بطرس الناسك الذي عاد
ومعه آثار مقدسة من القبر المقدس والقديس يوحنا
المعمدان ، فقد شارك كونون ولامبرت المونتاجي Donan and
Lambert of Montaigu في بناء الدير الأوغسطيني

Neu Fmoustier ، في نيو فموستير the Augustinian priory
 في هوى بالقرب من لييج Huy near Liege وخصص هذا
 الدير لهدنين الراعيين atrons ، وهناك اعتقاد في القرن
 الثالث عشر الميلادي ان هذا الدير الضخم تم تشييده بعد
 نذر اخذه الصليبيون على أنفسهم أثناء عاصفة هبت وهم
 في عرض البحر . كما حصل بطرس على موافقة كتابية من
 اسقف لييج Liège ، بعد أن أقنعه بطرس بأن أرنولت
 Arnult بطريرك بيت المقدس خوله امتيازاً للسماح
 للصليبيين الذين نذروا أنفسهم للمشركة في الحملة
 الصليبية ، ومنعهم الفقر أو المرض من الوفاء بالنذر بأن
 يحصلوا على كل مزايا الغفران بمجرد زيارتهم لهذا الدير
 الجديد . كما أحضر الى الغرب أسطول تابع للبندقية آثارا
 مقدسة للقديس نيقولا St Nicholas ، ولقديسين آخرين
 من ميرا Myra . ومن ناحية أخرى أعاد ثمانية فارس صليبي
 يدعى ألبرت Albert أثرا مقدسا للقديس نيقولا
 St Nicholas ، كان قد سرقه من المذخر كاهن يمت بصلة
 قرابة لذلك الفارس .

جلب كثير من الصليبيين أخبارا محزنة لأسرهم
 وعائلاتهم كما فعل بوسو لاشيز Boso of La Chéze وسيمون
 لودرون Simon of Ludron ، وستيفن البلوي Stephen of Blois
 عن موت برنارد لوبيل Bernard Le Baile ، وريو اللوهياكي
 Riou of Lohéac وأميري الكوروني Aimery of Courron
 وعندما علمت ابرولدا Ebroalda بموت زوجها برنجر
 Berengar الصليبي في بيت المقدس ، انخرطت على الفور
 في سلك الرهبنة ودخلت دير مرسيني Marcigny

وقد تمت أرملة صليبي آخر تدعى استبورجا Estiburge مساكن ، وحقل كزوم الى رهبان دير القديس أندرو في فين St Andrew in Vieme ، مقابل احياء الذكرى السنوية لزوجها بطرس الذي مات في فلسطين . أما ايدا الهاينولتية Ida of Hainault فلم تكن متأكدة من مصير زوجها الكونت بلدوين Count Baldwin الذي كان قد قبل أثناء مصاحبته الكونت هيو الفرماندى Hugh of Vermandois في سفارة للامبراطور البيزنطى ، وسافرت تلك الأرملة للمشرق في رحلة يائسة على أمل الحصول عليه . واذا ما اطلع المرء على أية مجموعة للحوليات المعاصرة ، فسيرى كيف انتشرت الأخبار في كل أنحاء أوروبا عندما أعلنوا الاستيلاء على بيت المقدس ، ورددوا الأغاني بهذه المناسبة ، وأدى ذلك الى الرغبة في الانتقال للنضال ، وكانت الأناشيد الحربية الأخرى تحت على الحرب حتى يتحقق للمقاتلين المجد الذى حققه الصليبيون بعد فتح بيت المقدس ، فعلى سبيل المثال يوجد نص يصور هذه الحالة حين عبر الألمان جبال الألب سنة ١١٠٨ م أثناء حربهم ضد الونديين the Wends (★) ، وتقول كلمات النص : « سيروا على المثال الطيب الذى انتهجه سكان بلاد الغال ، واعملوا على التفوق عليهم أيضا . . . وندعو لكم بالتوفيق وأنتم فى طريقكم من الغرب البعيد فى فرحة بالنصر الى الشرق الأقصى للقضاء على أعداء الله ، ونسأله أن يمدكم بالقوة والعون على الانتصار على الوثنيين (الونديين) المتوحشين القريبين منكم » .

(★) الونديون : شعب سلافي كان يقطن شرق ألمانيا .

وأدى الحماس الشديد الى حشد مجموعة أخرى من الجيوش الصليبية على الفور * وكان الصليبيون يغادرون غرب أوروبا في جماعات صغيرة منذ سنة ١٠٩٧ م ، كما تم وضع الخطط لارسال جيوش اضافية أكثر عددا قبل وصول أنباء سقوط بيت المقدس الى غرب أوروبا * وعرفنا أن كثيرا من هؤلاء الذين تذكروا أنفسهم للمشاركة في الحرب الصليبية لم يفوا بتذكورهم ، وقد أبلغ الصليبيون المكثرون بالشرق ذلك الأمر للبابا أوربان الذي اتخذ الاجراءات اللازمة لارغامهم على الوفاء بتذكورهم * وفي النصف الأول من سنة ١٠٩٩ م ، وربما أثناء أو بعد مجمع روما الذي انعقد فيما بين ٢٤ - ٣٠ أبريل ، طلب البابا أوربان من رئيس أساقفة ميلان أن يدعو اللومبارديين Lombards للمشاركة في الحرب الصليبية ، وكانت هناك استجابة قوية نى شمال ايطاليا لدعوة رئيس الأساقفة مع وجود أغنية شعبية معبرة عن ذلك * وتزامنت تلك الحركة مع أنباء الاستيلاء على بيت المقدس ، ثم حمل لواء الدعوة البابا الجديد بسكال الثانى Paschal II * وبعد أن ازدادت عوامل الاثارة فى كل جانب كان البابا بسكال الثانى مستعدا لأن يسير وفقا لأسلوب نقل الأفكار الصليبية الى مناطق الصراع الأخرى ، غير أنه منع المسيحيين من أهالى اسبانيا من مغادرة شبه جزيرتهم كما فعل سلفه ، وأكد على امتداد المزايا الصليبية فى اسبانيا ، وكان مستعدا لالقاء كل ثقله خلف قضية بيت المقدس * وفى أبريل ١١٠٠ م ، كتب البابا بسكال الى اللاتين فى فلسطين يبلغهم بتعيينه لندوب بابوى جديد ، وفى هذا الخطاب يمكن لنا أن نلمح أول رد فعل لرجال اللاهوت يعبرون فيه عن فرحتهم بالنصر * وأشار

البابا بسكال الى انجازاتهم التى جاءت تحقيقا للنبوءات ، وتجديدا للمعجزات التى وردت فى أسفار العهد القديم The Old Testament . وقال البابا ، ان نجاح النصارى فى تحقيق النصر انما يرجع الى عون الله لهم ، بعد أن تركنوا أوطانهم بمحض ارادتهم ، ليدافعوا عن اخوانهم فى الدين . غير أنه أمرهم باظهار الورع والتقوى للقديس بطرس ، وربما كان ذلك بسبب القلق الذى أبدته الادارة البابوية نتيجة للطريقة التى اتبعها الصليبيون ، وأدت الى ترجيح المقدسات الأخرى عليه . على أن الأسلوب المتحفظ والرفيع المستوى الذى صيغ به هذا الخطاب المختصر عمل على تعزيز الانطباع الذى وصفه لنا شهود العيان فى كتبهم ، ويشير الى التفسيرات اللاهوتية التى ستأتى بعد ذلك .

وفى ديسمبر ١٠٩٩ م ، جدد البابا بسكال الثانى تهديد أوربان الثانى بحرمان هؤلاء الذين لم يفوا بنذورهم فى المشاركة فى الحرب الصليبية والذهاب للشرق ، وأمر الأساقفة بتنفيذ ذلك الحرمان الكنسى فى أبرشياتهم . ولدينا دليل على وضع أمر البابا موضع التنفيذ فى اقليم واحد على الأقل ، وتم تجديد قرار البابا فى المجتمع الكنسى المحلى الذى انعقد فى آنز Anse فى الربيع التالى ١٠٠٠ م ، والذى حضره عدد مؤثر من الأساقفة تحت رئاسة رئيس أساقفة ليون Lyons . وهدد البابا هؤلاء الذين هربوا من الجيش الصليبي فى المشرق بالحرمان الكنسى ، ما لم يعودوا ثانية للمشرق لاكمال رحلة الحج المقدسة . وكان من بين هؤلاء الذين هربوا ستيفن البلوى Stephen of Blois وهيو الفرماندوى Hugh of Vermandois . كما كانت هناك

شخصيات أقل شأنًا ، ولذلك رحل الى المشرق هيو ، ونورجو التوسى Hugh and Norgot of Toucy ، اللذان لم يذهبا الى بيت المقدس من قبل * وكذلك فعل سيمون ووليم سانسفوار البواسى Simon and William Sansavoir of Poissy ، وأخوا والتر المفلس Walter the Penniless الذى قاد قوات بطرس الناسك * وبعد موت شقيقهما، عاد سيمون ووليم الى وطنهما ولكن لم يلبثا أن عادا ثانية للشرق ١١٠٠م واندفع آلاف من الرجال والنساء تجاه الشرق من فرنسا وايطاليا وألمانيا بعد اعلان الانتصارات التى تحققت فى الشرق * وعقد الممثلان للبابا بسكال الثانى ، وهما الكرادلة حنا السانت أنستاسى ، وبندكت السانت أودوكسى John of St Anastasia and Benedict of St Eudoxia Valence مجمعا فى بلنسية فى نهاية سبتمبر ١١٠٠م ، ثم اتجها الى ليموج Limoges وهناك وجدوا وليم دوق أكيثانيا Duke William of Aquitaine وكثيرين من الأتباع الاقطاعيين Vassals الذين انضموا للحرب الصليبية ، وذهبوا جميعا الى بواتيه Poitiers فى الثانى عشر من نوفمبر حيث الاحتفال بالذكرى السنوية الخامسة لافتتاح مجمع كليرمونت * ودعا الممثلان لشخصية البابا للمشراكة فى الحرب الصليبية فى بواتيه ، وفى أماكن أخرى أيضا ، وحققت دعوتهما نجاحا كبيرا * وليس هناك ريب فى أن عدد القوات التى خرجت من ايطاليا ، وأكيثانيا ، وشمال شرق فرنسا كانت مساوية للقوات التى خرجت سنة ١٠٩٦م ، ان لم تكن قد فاقتها عددا * وكانت تلك القوات تحت قيادة علمانيين من مرتبة متساوية أو متقاربة ، مثل وليم الأكيثانى ، وستيفن البلوى ، وهيسو

الحملة الصليبية لسنة ١١٠١ م

الفرماندى ، ووليم النيفيرى William of Nevers ، وأودو
البورجندى ، وستيفن البورجندى Odo of Burgundy
Stephen of Burgundy ، وويلف البافارى Welf of Bavaria
على أن الفريق الكنسى كان الأقوى بين هذه القوات
الزاحفة * وعين البابا ممثلا شخصيا له ، هو هيو الديى
Hugh of Die ، كما عين معاونين له ، كما كان الحال
مع أدهيمار * هذا بالإضافة الى ثلاثة من رؤساء الأساقفة ،
وهم أنسيلم الميلانوى Anselm of Milan وثيمو السالزبورجى
Thiemo of Salzburg وهيو البيزانسونى Hugh of Besancon
وثمانية أساقفة على الأقل * « ولم يشهد الفرنسيون من قبل
مثل هذا الجيش المتألف » .

ومع ذلك ، فإن الأهداف المقصودة هذه المرة كانت مختلفة
عن تلك التى وضعها قادة الحملة الصليبية الأولى * وكان
البابا أوربان قد جرفته الحماسة فاقترح على أهالى ميلانو ،
غزو مصر * وربما كانت خطته هى أن يتقدموا برا الى بيت
المقدس ، ثم يواصلوا زحفهم نحو أراضى أفريقيا * غير أن
البابا بسكال كان أكثر واقعية ، ففى خطابه المؤرخ فى
ديسمبر ١٠٩٩م أكد بسكال على الحاجة الملحة لمساعدة
المسيحيين الأوربيين الذين احتلوا الأراضى المقدسة آنذاك *
ولا ريب أن هذه الرسالة نقلها أحد رؤساء الأساقفة الى
مساعديه ، كما نقلها فى السنة التالية ١١٠٠م ممثلو البابا
فى فرنسا ، الذين طالبوا مستمعهم « بأن يهبوا لمساعدة
المؤمنين الذين كانوا يقومون بحملة فى سبيل الله » * على
أن التأكيد على تقديم المساعدة الى بلاد كانت قد وقعت
بالفعل تحت سيطرة المسيحيين فى ذلك الحين أكثر من

التأكيد على تحرير هذه الأرض كان يعنى بأن زيارات الحج لتلك الأراضى المقدسة كانت لها الغلبة والشهرة * وعند الاطلاع على الموثيق التى صدرت سنة ١١٠٠م عن الصليبيين الذين توجهوا الى بيت المقدس نجد انه من الصعب علينا الوقوف على أية اشارات الى حرب مقدسة * « بما أن الطريق الذى نسلكه غير مستقيم ، وبخاصة لمن ينتمى منا الى طبقة الفروسية ، ولكنه فى زى علمانى ، فمن المناسب أن نحاول العودة الى أرض أسلافنا ، التى أبعدنا عنها بسبب خطايا والدنا الأول [يقصد آدم] ولذلك فنحن متلهفون على عمل كل ما هو جيد قدر استطاعتنا * * * أنا ستيفن النيوبليني Stephen of Neublens أضع فى اعتبارى الكم الهائل من الخطايا التى ارتكبتها * * * لذا ، فقد قررت أن أقدم شيئا لله نظير كل النعم التى أسبغها على من فضله وكرمه برغم أنى لا أستحقها * ولذلك قررت أن أذهب الى بيت المقدس حيث شاهد الناس الله فى صورة انسان ، وتعامل معهم ، وأن أنحنى عند موطنى قدميه » * وبعد سقوط بيت المقدس فى أيدي المسيحيين رغبت أعداد غفيرة من كل الطبقات فى الذهاب الى تلك المدينة المقدسة ، اذ كان الكل يتحرق شوقا وحبا للذهاب ، واجتاحت أحد الفرسان من طبقة النبلاء رغبة جامحة فى الذهاب الى هناك وفاء بنذره * وذهب برنارد فردان Bernard Veredun الى بيت المقدس مقتديا بهؤلاء الذين رغبوا فى انقاذ أرواحهم * * *

وعند الاستعداد لهذه الحملة اتخذت الاحتفالات الخاصة بالقسم على المشاركة فى هذه الحرب الصليبية ، صورة طقوس رحلة حج الى مكان مقدس * فقد قام رئيس دير

الحملة الصليبية لسنة ١١٠١ م

كلونى Cluny بوضع صليب على كتف ستيفن النيوبلينى
Stephen of Neublens ووضع خاتما فى اصبعه • وتسلم
ميلو الفينيورى Milo of Vignory كيس الدراهم الذى
يأخذه معه للحج • وأعطى هربرت الثوارسى Herbert of
Thouars ، «رداء الحج الى الأراضى المقدسة من أسقفه» •

وربما يستطيع المرء أيضا أن يتبين من أول لحظة
الدوافع التى ارتبطت دائما بالحروب الصليبية • فقد شارك
بعض الناس فى الحرب الصليبية لاعتقادهم بأن أقاربهم
ماتوا أثناء الحملة الصليبية الأولى دون أن يفوا بندورهم ،
ومن أمثال أولئك الناس الفايكونت برنارد البيزياوى
وهيو ياردولف البرياوى Hugh Bardolf Broyes وكوربا
الثورينى Corba of Thorigne • ويتوافر الدليل على أن النصارى
العلمانيين الذين لم يكونوا مقتنعين بأن الصليبيين ينالون
أكليل الشهادة بعد موتهم ، كانوا فى حالة حيرة وقلق بالنسبة
لحصولهم على الغفران قبل وصولهم الى القبر المقدس •
وربما يكون الآخرون قد شاركوا فى الحرب الصليبية لمحو
العار الذى لحق باسم العائلة بعد هروب أحد الأقارب أثناء
الحملة الصليبية الأولى • وقد سبقت الإشارة الى
هروب جى تروسو Guy Troussseau ولم يكن الأمر مجرد
مصادفة عندما شارك والده ماييل البرياوى Miles of Bray
وعمه جى الروشفورى Guy of Rochefort فى الحملة الصليبية
لسنة ١١٠١ م • وبصفة عامة ، يبدو أن دوافع الصليبيين
كانت قائمة على نكران الذات والواجب المقدس مثل دوافع
أسلافهم • فقد جاء قرار ويلف البافارى Welf of Bavaria

الحملة الصليبية الأولى

بالمشاركة فى الحملة الصليبية تتويجا لمرحلة التحول التى كان قد بدأها بتقديم أعمال الخير والتبرع للكنائس والأديرة ، « ولأنه أراد أن يرضى الله عنه ويغفر له خطاياہ فقد ذهب الى بيت المقدس » • أما أودو دوق بورجندي Duke Odo of Burgundy ، الذى قدر له أن يموت فى آسيا الصغرى ، فقد وطد نفسه على نكران الذات كما فعل نيلو Nivelو قبل الحملة الصليبية الأولى • وأقلع عن « العادات السيئة » التى فرضها هو وأسلافه على سكان الأراضى الزراعية التى تحمل اسم القديس بنينوس الديدجوني St Benignus of Dijon • وقال عن ذلك : « قررت انذهب الى بيت المقدس من أجل التوبة ، وتركت لورثتى ميثاقا يحذرهم من الوقوع فى براثن الخطايا ، وقد دعتنى العناية الالهية للذهاب الى قبر مخلصنا بسبب فداحة الخطايا التى اقترفتها ، وجاء قرار الرحيل الى هناك بعد اعلان المصالحة مع الجميع وبخاصة خدام الله » •

ووردت فى المصادر التاريخية لشارات عن النفي والتغريب الذى فرضه الصليبيون على أنفسهم ، وذلك امثالاً لتعاليم المسيح التى تدعو الى ترك الأسرة والأرض والوطن من أجله • كما قدر الصليبيون أيضا كافة التضحيات المالية بفرض جمع المال لتمويل الحملة ، فعرض وليم دوق أكييتانيا William of Aquitaine رهن دوقيته لدى ملك انجلترا ، غير أن وليم هذا مات قبل أن يكتمل تنفيذ الاتفاق • كما باع أرلين Arpin ، فاىكونت بورج Viscount Bourges

الحملة الصليبية لسنة ١١٠١ م .

مدينة بروج الى ملك فرنسا * وعلى مستوى الشخصيات الأقل شأنًا، فان فانتين Fantin ، وابنه جيوفري Geoffray اللذين ذهبا مع هربرت الثوارسى Herbert of Thouars قد شاركوا في صفقة تجارية معقدة ، من أجل الحصول على المال ، فقد منح فانتين قطعة أرض الى ابنه ، الذى قام بدوره ببيعها الى والدته * كما انشغل الاقطاعيون مع أقاربهم فى الموضوع نفسه ، ووافقوا على صكوك الرهن ، والبيع عندما اقتضت الحاجة ذلك * كما كانت هناك رغبة فى الاستفادة من قدرة الكنيسة على الشفاعة * فقدم أودو البورجندي Odo of Burgundy الهدايا الى دير موليسم Molesme وطلب من الرهبان هناك ، « تقديم الصلوات لله بانتظام ليحفظ الله له الجسد والروح ، ليتمكن من الوفاء بالندر » * كما طلب أيضا وليم النيفيرى William of Nevers من رهبان دير موليسم Molesme أن يصلوا من أجله * وانضم ستيفن النيوبلينى Stephen of Neublens الى الاخوة فى دير كلونى Cluny * وكان قد وعد رئيس الدير بأن يظل خادما للمسيح حتى الموت على أن يتولى آخرون ابلاغ الدير عند وفاته ، وأكد له رئيس الدير أن نعيه المرفق برثاء موجز سيتم تسجيله فى سجلات الدير * وقام برنارد فاكونت صاحب اقليم بيزيه Bernard: Viscount of Beziers بتقديم هبة الى دير جيلون Gellone « من أجل خلاص روحى ، وروح والدى وروح والدتى ، ومن أجل أن يكتب الله العلى القدير لزياراتى للأرض المقدسة النجاح والتوفيق » *

كما قدم هربرت فايكونت صاحب اقليم ثوارس Viscount Herbert of Thouars الهدايا الى الدير الذى أقامته عائلته فى شيز - لو - فيكونت Cheise-Le-Viconte مقابل صلوات الرهبان . وكان قد اشترى عبادة من قماش غالى الثمن من كنيسة القديس أوبين St Aubin فى أنجييه Angers مقابل ثلاثمائة صولدى Solidi ، وربما قصد بذلك أن يبادلها بالمال فيما بعد أثناء رحلته الى الأرض المقدسة . غير أن أحد أعضاء الرهبان أقنعه بإعادة العبادة دون استرداد ما دفعه من مال . واستسلم لهذا رأى لأن « طالما أننا نعمل فى سبيل الله ، وأن مبلغ ثلاثمائة صولدى من الممكن انفاقها بسرعة ، لذلك فمن الأفضل أن نعيدها ثانية لكى ننعم بمساعدة صلوات قديس الكنيسة والرهبان هناك » .

واذا كانت كل المسببات تدعونا الى الافتراض بأن دوافع الصليبيين عامى ١١٠٠ - ١١٠١م كانت تتسم بنفس طابع الورع الذى عرف به أسلافهم من الصليبيين ، فذلك يرجع دائما لأنهم كانوا ذاهبين الى أرض تم الاستيلاء عليها بالفعل ، وربما لأنهم اعتقدوا أن حملتهم ثبت أنها تحظى بالهام مقدس وأنها من الصعب أن يكتب لها الفشل ، أو ربما للطبيعة الشخصية لوليم الأكيتانى William of Aquitaine الجذابة والمتحمسة الذى « كانت لديه رغبة فى استعراض قوته والعمل على زيادة شهرته » . وإلى حد ما كانوا يشعرون بالجدل لوجود تلك الجيوش الفرنسية المتألفة ، التى تشبه الفرسان المغامرين كما تصورهم الأغاني لا حشود المتعصبين الذين شاركوا فى الحملة الأولى . وتحرق الكثيرون شوقا

وحماسة للذهاب الى الأراضى المقدسة « لمشاهدة القبر المقدس والأماكن المقدسة وللقيام بأعمال الفرسان الشجعان ضد الأتراك » . ومع ذلك ، فمن الخطأ الافتراض بأنهم قد حاولوا جادين . ففى الواقع هناك بعض الدلائل على أنهم قد حاولوا التعلم من أخطاء أسلافهم . وكانت إحدى الدلائل تتمثل فى حجم وأهمية الفرقة الكهنوتية المصاحبة لهم . والدليل الآخر هو وجود عدد من الخيول ودواب الحمل كانت تحت تصرفهم عند بدء عبور آسيا الصغرى وكذلك الثروة - نقد وحلى ومجوهرات - التى حملوها على عربات معهم .

وكان المومبارديون هم أول الحشود الصليبية التى تحركت نحو بيت المقدس ، حيث غادروا ميلانو Milan

فى الثالث عشر من سبتمبر ١١٠٠ م . وقضوا فصل الشتاء فى بلغاريا Bulgaria حيث اتسمت اقامتهم بالاضطرابات ووجود حالات الشغب ، وحدث نفس الشئ عند توقفهم خارج القسطنطينية لمدة شهرين منذ آخر فبراير أو أول مارس ١١٠١ م عندما كانوا ينتظرون وصول زملائهم فى المانيا وفرنسا . وعندما حاول الامبراطور الكسيوس Alexius أن يجبرهم على العبور الى آسيا الصغرى بعد رفضه السماح لهم بشراء المواد التموينية ، هاجموا قصره ، وكان ذلك عملا مخرجاً للغاية للقادة الصليبيين الذين وافقوا على نقلهم جميعا عبر مضيق البوسفور . وفى نيقوميديا انضمت اليهم الجيوش الألمانية وبعض الصليبيين من بورجندى ، ومن شمال فرنسا تحت قيادة ستيفن البلوى Stephen of Blois . وانضم اليهم أيضا ريموند السانت

الحملة الصليبية الاولى

جىلى Raymond of St Gilles الذى كان قد وصل القسطنطينية فى صيف ١١٠٠ م ، ومعه أهل بيته والحرية المقدسة وسمح لنفسه - على مضض - بالانضمام اليهم كمستشار * وجاء قرار مواصلة الزحف مخالفا لنصيحة اليونانيين ، ستيفن ، وريموند ، وذلك حيث قرروا عدم انتظار باقى أفراد الحملة الصليبية وأن « يدخلوا فى مملكة خراسان Khorassan بالقوة ويحرروا بوهموند Bohemond - الذى وقع فى الأسر بين يدي الأمير الملك غازى كمشتكين emir Malik-Khazi Gumushtigin فى الصيف السابق - من أيدي الأتراك ويضربوا حصارا حول مدينة بغداد ليديمروها ويخلصوا زميلهم بوهموند من أغلال الأسر » *

وفى أوائل شهر يونيو ، غادروا نيقوميديا Nicomedia ومعهم الآثار المقدسة للقديس أمبروز St Ambrose والحرية المقدسة * وعندما وصلوا الى أنقره اتجهوا نحو الشمال الشرقى ليصلوا الى جنجرا Gangra ، ومن هناك استداروا ثانية تجاه نكسار Niksar حيث كان بوهموند مازال فى الأسر * وفى أوائل أغسطس بالقرب من ميرزيفون Merzifon تقابلوا مع جيش تركى حشده الأمراء بعد أن اتفقوا على توحيد صفوفهم * وهناك انقضت عدة أيام فى القتال الى أن أصاب الذعر قلوب الصليبيين ولاذوا بالفرار * وانغمس الناجون من المعركة فى تبادل الاتهامات ، واعتقدت الأجيال التالية أن تهورهم وقرارهم بالاتجاه الى الشمال الشرقى بدلا من الجنوب الشرقى هو الذى أدى الى سقوطهم المفاجئ * غير أن الجيوش التى سلكت الطرق المباشرة لم

الحملة الصليبية لسنة ١١٠١ م

تحقق نجاحا كبيرا ، كما أن فك أسر بوهيموند لم يكن فكرة خاطئة في حد ذاتها . فقد كان بوهيموند أمهر القادة في الحملة الصليبية الأولى وكانت المحافظة على أمن وسلامة امارة أنطاكية التابعة له ، أمرا مهما بالنسبة للقضية المسيحية باعتبار أنطاكية محطة مهمة على الطريق الى بيت المقدس . وبالإضافة الى ذلك ، كان الجيش اللومباردى هو الجيش الوحيد الذى تم حشده من أجل الاستيلاء على أراض جديدة وليس مجرد مساعدة الصليبيين اللاتينيين فى الأرض المقدسة . واذا كان الايطاليون يهدفون حقيقة الى احتلال بغداد كما جاء فى السجلات التاريخية التى وضعها ألبرت الآخنى Albert of Aachen ، والتى تشكك فيها فى قدرتهم على ذلك ، فان اختيارهم لطريق يؤدى الى الأناضول Anatolia ومن ثم امكان الوصول الى مكان أفضل فى بلاد الرافدين Mesopotamia عبر ملطيه Maletya ، والوصول الى ديار بكر أو الرها ، هو اختيار مقبول ، ولا غبار عليه ، حتى لو انطوى على مخاطر .

ووصل الجيش الذى كان تحت قيادة وليم النيفرى William of Nevers القسطنطينية فى يونيو ١١٠١ م ، ولحق بجيش وليم الأكيتانى الذى كان هناك بالفعل ، عبر البسفور ، وبدأ فى الزحف فى الرابع والعشرين من يونيو ليلحق بجيش اللومبارديين . وفى أنقره توقف وليم عن الزحف واتجه جنوبا صوب قونية وسار ثلاثة أيام . غير أن وليم فشل فى الاستيلاء على قونية واتجه الى ايريجلى Ereghli التى هجرها سكانها المسلمون بعد أن خربوا آبار المياه . وعانى الصليبيون العطش لمدة أيام وهاجمهم الأتراك

الحملة الصليبية الأولى

وشتتوا شمل الصليبيين بعد أن أنزلوا بهم هزيمة نكراء .
أما وليم الأكيتاني الذي غادر غرب فرنسا في منتصف مارس
فقد انضم إلى البافاريين Bavarian الذين كانوا تحت قيادة
ويلف Welf وتقدموا على طريقة جامعة عبر البلقان ثم
وصلوا القسطنطينية في بداية يونيو . وبقي هذا الجيش في
القسطنطينية لمدة خمسة أسابيع ، حيث اشترى القادة المواد
التموينية ، ونصحهم الامبراطور ، غير أن الألمان بما فيهم
الكاتب وشاهد العيان الوحيد على هذه الحوادث التاريخية ،
وهو اكهارد الأوراوى Ekkehard of Aura ، فضلوا طريق
البحر للوصول إلى فلسطين . واتجه كل من وليم ، وويلف ،
بجيوشهما صوب الشرق في منتصف يوليو بعد أن زودهم
الامبراطور الكسيوس بالمرشدين للطريق ، وسلكوا الطريق
الذي سلكه الصليبيون من قبل . بيد أن ذلك الطريق كان
قد تعرض للدمار والخراب بسبب المرور المستمر للجيوش
المسيحية منذ سنة ١٠٩٧م ، كما خربه الأتراك أنفسهم ،
وبمجرد أن غادروا الحدود البيزنطية نفدت المؤن والمواد
الغذائية برغم تخطيطاتهم وتحسبهم لذلك . وبالقرب
من إيريجلي Ereghli نصب الأتراك كمينا لهم ، وهاجموهم
فقتلوا عليهم تماما . وكانت ادا Ida أرملة النبيل الذي كان
يحكم النمسا Austria من بين الذين وقعوا في أيدي
الأتراك ، وصارت ضمن حريم أحد الأمراء المسلمين ،
وكذلك رئيس الأساقفة ثيمو السالزبورجي Archbishop of
Thiemo of Salzburg الذي ذاعت قصة مقتله بين النصارى
في أوربا ، وكذلك كوربا الثوريني Corba of Thorigne ،
ولاذ بالفرار كل من وليم الأكيتاني ، وويلف البافاري

كما هرب وليم من نيفيرى ، وستيفن من بورجوندى ، وستيفن البلوى ، وريموند السانت جيلى أثناء المعارك السابقة .
ومات هيو الفرماندى Hugh of Vermandois متأثرا بجراحه فى طرسوس Tarsus . وانضم بعض من بقوا فى قيد الحياة الى ريموند السانت جيلى فى سوريا ، واستولوا على مدينة طرطوشة Tortosa فجعلوها قاعدة لانشاء ما عرف بمقاطعة طرابلس Tripoli ، ثم تجمع معظمهم فى بيت المقدس حيث أوفوا ندورهم . ولم يتمكن البعض منهم من العودة الى أوطانهم بسبب الرياح غير المواتية ، لذلك انضموا الى قوات مملكة بيت المقدس لمواجهة الجيش المصرى . وفى نهاية المطاف تعرضوا لهزيمة نكراء فى السابع عشر من مايو ١١٠٢ م . ومات ستيفن البلوى قتيلا ، ووقع أربين البورجى Arpin of Bourges فى الأسر ، وقضى ثلاث سنوات ، سجيناً فى مصر ، الى أن أجرى الامبراطور البيزنطى مفاوضات لاطلاق سراحه .

وتعرض الصليبيون لنكبات اقتصادية شنيعة . فوليم الأكيتانى الذى وصل أنطاكية « فقيرا ولا يملك شيئا ومعه ستة من المرافقين » ، غادر فلسطين الى وطنه « بعد أن أصبح معدما ، ويعانى كل أنواع الفقر والحرمان » .
أما هربرت التوراسى Herbert of Thouars الذى كان قد غادر بواتو Poitou ونفسه مليئة بالورع والتقوى ، فقد وصل الى بيت المقدس ، وهو لا يملك فلسا . وقام أصدقائه بتقديم العون المالى له غير أنه فى الثامن والعشرين من مايو ١١٠٢ م مات بالقرب من كنيسة القديس نيقولا St Nicholas

فى يافا ، ودفن هناك ، ويقال انه مات حزنا على فقدان أخيه جيفرى Georffrey . وفى فلسطين ، كان أربين البورجى Arpin of Bourges ، يعيش فى رغد من العيش ، ومن ثم فلما أنه ظل محتفظا بجزء كبير من عائد البيع الذى تم فى بورج Bourges : ولذلك فاما أنه كان قد نقل هذا المبلغ مباشرة الى الأرض المقدسة أو أنه أبحر بنفسه ومعه المبلغ الى الأرض المقدسة ، وبذلك لم يشارك فى النكبة التى حدثت فى آسيا الصغرى . وبعد وقوعه فى الأسر فى القاهرة عاد الى أوروبا انسانا آخر ، بعد أن غيرته المعاناة والهموم ، ولذلك دخل دير كلونى Cluny . بناء على نصيحة البابا بسكال .

وفى غضون صيف ١١٠١ م ، ألحق الأتراك هزيمة نكراء بثلاثة جيوش صليبية ضخمة ومعدة اعدادا جيدا . وتبعها للظواهر فالأمر المثير للدهشة بشأن سلسلة الحوادث التاريخية المثيرة لمشاعر المذلة والخزى هى أن تاريخ تلك الهزائم المثيرة للرتاء لم يلق سوى اهتمام ضئيل من قبل المعاصرين . ولم تدون كل الكتابات التاريخية عن الحملة الصليبية الأولى الا بعد الهزيمة النكراء التى حلت بالصليبيين سنة ١١٠١ م ، وكان إكهارد الأورانوى Ekkehard of Aura أحد المؤرخين الذين شاركوا فى تلك الحملة . ولكن لم تتأثر عملية حشد الجيوش الصليبية ، فقد شهد الربع الأول من القرن الثانى عشر أكبر هذه العشود ، وفى عامى ١١٠٧ - ١١١٠ م أرسلت الحملة النرويجية تحت قيادة الملك سيجورد Sigurd الى الأراضى المقدسة ، وفى حوالى عام

الحملة الصليبية لسنة ١١٠١ م

١١٢٠ م دعا البابا كاليكستوس الثانى Calixtus II الى حشد حملة صليبية ، وتم الاعداد لها على نطاق واسع ، وترتب على تلك الدعوة تحرك حملات عسكرية الى فلسطين فيما بين ١١٢٣ - ١١٢٤ م ، والى اسبانيا فيما بين ١١٢٥ - ١١٢٦ م ويمكن أن نضيف الى ما تقدم الحملات الصليبية التى توجهت الى اسبانيا أعوام ١١٠٨ ، ١١١٤ ، ١١١٦ ، ١١٨٨ م . لكن ما الذى دعا النصارى بالغرب الى حشد كل هذه الحملات الصليبية ؟ يرجع ذلك الى أن الحملة الصليبية لعام ١١٠١ م لم تؤذ أحدا سوى المشاركين فيها . فلم يكن الخطر يهدد النصارى فى بيت المقدس أو يهدد سيطرتهم على فلسطين - سوريا ، بل كانت رقعة الأرض التى سيطروا عليها تتزايد طوال نصف القرن التالى . غير أنه من الخطأ اعتبار الحملة الصليبية لسنة ١١٠١ م وكأنها حادثة غير مهمة ، اذ نظر المعاصرون لها نظرة ايجابية ، وترجع أهميتها الى أنها ساعدتهم على تطوير أفكارهم .

والواقع أن الانتصارات التى أحرزها الأتراك كانت خير برهان على مدى ما حققه الصليبيون فى حملتهم الأولى ، ومقدار تفوقهم ، كما أكدت على حقيقة كثيرا ما تعرضت لها الدعاية الغربية فقد صورت مدى قوة أعدائهم المسلمين ، وشدة بأسهم . ولم يعرف سكان غرب أوربا أن الأمراء والأتراك كانوا فى حالة نزاع وخصام مع بعضهم البعض فى عامى ١٠٩٧ - ١٠٩٨ م ، فى حين تحالف الأمراء الآخرون فى آسيا الصغرى ضد الصليبيين سنة ١١٠١ م . فقد كان يكفيهم أن الصليبيين الأول ، الذين عانوا الحرمان والجوع ، وفقدوا خيولهم ، وكانوا دون قائد حقيقى ، ولم

الحملة الصليبية الاولى

يجمعهم سوى العقيدة والفقر ، قد تفوقوا على قوات كانت قد انتصرت على جيوش أكثر عددا وعدة ، فى فترة قصيرة • وبمعنى آخر ، فقد أكدت الحملة الصليبية السنة ١١٠١م على طبيعة النجاح الباهر الذى أحرزه الصليبيون فيما بين عامي ١٠٩٧ و ١٠٩٩م •

وكان من الممكن استخلاص الدروس من تلك الحملة الصليبية ؛ اذ أن الدعاة للحرب الصليبية استطاعوا تقديم تفسير مقبول للهزائم التى حلت بالصليبيين سنة ١١٠١م • واعتمد هذا التفسير على توضيح فكرة أساسية موجودة فى كتاب العهد الجديد the Old Testament ، وفى كتابات القديس أوغسطين St Augustine ، وخلفائه المسيحيين ، ويشير هذا التوضيح الى أن الهزيمة فى قضية مقدسة قد تكون عقاب الله للإنسان لارتكابه الآثام • فالهزائم ولا سيما تلك التى تحدث فى عملية عسكرية مقدسة ، إنما هى من عند الله وفقا لأحكامه وقوانينه العادلة ، وهو الذى يقسم الأرضاق والذى ينزل العقاب بمن يستحق العقاب ، وكانت فكرة العقاب فكرة تقليدية ، وقد أشار البابا أوربان نفسه اليها حين تناول موضوع القضية المسيحية • ووجدنا أن الصليبيين الأوائل أنفسهم قد فسروا متاعبهم ومشاكلهم المعقدة على أنها عقوبات أنزلها الله بهم ، وأيد هذا القول المعلقون الذين نسبوا حالات الاخفاق والفشل الى ما ارتكبه الصليبيون من خطايا وآثام أولا وقبل كل شيء • واعتبر المعلقون أن تلك العقوبات وسائل للتأديب وليست مجرد وسائل للعقاب - فأحكام الله هى العدل بعينه - فالله جل شأنه يعمل على كبح جماح المسيحيين ويقودهم الى الطريق القويم •

الحملة الصليبية لسنة ١١٠١ م

فقال المعلقون في هذا الصدد : « أدبهم الله بسبب حماقتهم ، خشية أن تتأثر عقولهم بشيء من الغرور نتيجة للانتصارات الكثيرة التي أحرزوها » . ونقرأ في الكتاب المقدس أن بنى اسرائيل تعرضوا كثيرا للحزن والألم والهزيمة على يد الفلسطينيين (★) ، والأدوميين Edomites ، وأهل مدين Midianites والشعوب الأخرى المجاورة وذلك حتى يدفعهم الله إلى العودة إليه والعمل بوصاياه » .

ولذلك كان طبيعيا اعتبار كسوارث ١١٠١ م عقوبات مفيدة جلبها المشاركون في تلك الحملة على أنفسهم ، وكتب أحد المعاصرين في الشرق والذي لا بد أنه قابل من قدر له البقاء في قيعة الحياة في بيت المقدس ، يقول ، « يبدو لنا أن هذه الكارثة حلت بهم بسبب غرورهم وما اقترفوه من آثام » . وتعرض القادة الدين قدر لهم البقاء في قيعة الحياة للاحتقار والازدراء الذي يتناسب مع هؤلاء الذين لا يستحقون عطف الله وتأييده . وذهب الدوق وليم الأكيثاني إلى بيت المقدس مع الآخرين ، غير أنه لم يقدم شيئا للقضية المسيحية . وفي الواقع ، كان وليم هذا فاسقا ، ولذلك فقد أثبت أنه مثقل » .

والواقع أن فشل الحملة الصليبية لعام ١١٠١ م عمل على زيادة قيمة الانجازات التي حققها الصليبيون فيما بين ١٠٩٧ - ١٠٩٩ م .

(★) الفلسطين Palestines شعب هند أوري استوطن حوض عرب فلسطين (المنطقة الساحلية بين يافا والحدود المصرية والتي عرفت باسم فلسطينيا Philistia) ولا علاقة لهم بالفلسطينيين العرب Philistines ذوي الأهل السامي الكنعاني إلا من حيث الاسم الذي حرف وعم ليطلق على كل سكان فلسطين .

الفصل السادس

الارتقاء اللاهوتى

نقلت الصور والتماثيل والأغاني الشعبية والأشعار
ملحمة الحملة الصليبية الأولى للأجيال اللاحقة ، وأشهر هذه
الأغاني « أنشودة أنطاكية » the Chanson d'Antioche التى ألفها
أحد المشاركين فى تلك الحروب ، وقام الشاعر جريندور
الدوايى Graindor of Douai بإعادة صياغتها ومراجعتها
حوالى ١١٨٠ م ، والأهم من ذلك المؤلفات التاريخية التى
ورد ذكر تلك الأغنية بها . وقد فاقت الكتابات التاريخية
عن الحروب الصليبية أى موضوع آخر فى وسط العصور
الوسطى ، فبالإضافة الى ما كتبه المؤرخون المعاصرون
بالاستعانة بالروايات التاريخية التى أدلى بها شهود العيان ،
هناك ما لا يقل عن اثنى عشر مؤرخا ، لا يقلون أهمية عن
المؤرخين السابقين . وكان الفرق الوحيد بين الفريقين هو
التأكيد على دور الفرنسيين وأهميته ، وهو طبيعى فى
مجموعة كاملة تحتوى اسهامات من كل أنحاء غرب أوروبا .
غير أنه فيما يتعلق بالقدرة على التعبير عن الأفكار ، فهناك
ثلاثة مؤرخين كانت لهم الأفضلية والتميز . وكان جميعهم
من الرهبان البندكتيين فى شمال فرنسا . وكتب جميعهم

الارتقاء اللاهوتى

فى وقت واحد تقريبا ، بعد انقضاء حقبة من الزمان من الاستيلاء على بيت المقدس ، ومع ذلك لم يشاركوا فى الحرب الصليبية أو حتى زاروا الشرق برغم أن اثنين منهم حضرا مجمع كليرمونت . واستعان جميعهم بمصدر أساسى ، وهو أعمال الفرنجة Gesta Francorum لمؤرخ مجهول كان شاهد عيان ، ورغم ذلك فقد أضاف كل منهم ما جمعه من معلومات بنفسه .

وأول أولئك المؤرخين هو الراهب روبرت Robert the Monk (أو التابع للقديس ريمى St Remy أو ريمز St Rheims) . وتاريخ ميلاده غير معروف لدينا . وربما كان أحد تلاميذ بولدرىك البورجى Baldric of Bourgueil الثالث من بين هؤلاء المؤرخين . على أية حال ، كانت له مكانة مرموقة فى مجال الثقافة والعلم ، وبعد أن كان راهبا فى دير سانت ريمى St Remy ، ومارموتيه Marmoutier ، صار رئيسا لدير سانت ريمى . وبناء على هذه الوظيفة حضر روبرت مجمع كليرمونت . غير أنه أثبت عدم مقدرته فى النواحي الادارية ؛ مما جعله عرضة لاتهامات بسوء السلوك ، وصدر قرار الحرمان الكنسى ضده ، ثم عزله من منصبه ١٠٩٧ م . وتقدم روبرت باستئناف للحكم الذى صدر ضده الى البابا أوربان الثانى ، وحصل على الغاء لهذا الحكم ، غير أنه لم يتمكن من العودة الى دير ، وذهب للإقامة فى دير سينوك Senuc ، ثم عزله البابا كاليكستوس الثانى Calixtus ١١٢٢ م ، لسبب إدارته لذلك الدير ، ثم مات بعد شهور قليلة . أما الزمن الذى كتب فيه تاريخه

الشعبي المشهور عن الحرب الصليبية فما زال موضع خلاف ، غير أنه توجد أدلة قوية تفترض أنه انتهى من كتابته عام ١١٠٧م وتمت الكتابة بناء على أوامر الأب غير المعروف ب Bernard of abbot B ، ويبدو لنا أنه برنارد المارموتى Marmoutier الذى مات ١١٠٧ م . والمؤرخ الثانى هو جيبير النوجنتى Guibert of Nogent ، الذى ولد فى أسرة نبيلة ١٠٥٣م ، ثم انضم الى دير سانت جيرميه فى مقاطعة فلای St Germer of Fly وواصل دراساته بكل جد واجتهاد - وكان تلميذا للقديس أنسيلم St Anselm لفترة من الوقت - وأصبح عالما مشهورا . وفى ١١٠٤م ، وقع عليه الاختيار ليكون رئيسا لدير نوجنت - سو - كوسى ، ثم مات ١١٢٥م . وكتابه عن الحروب الصليبية وضعه فيما بين ١١٠٤ و ١١٠٨م وأجرى عليه بعض المراجعات النهائية سنة ١١١١م ، ويحتوى كتابه هذا على كم وافر من المأذة العلمية التاريخية الأصلية ، استقاها من أفراد مشهورين أمثال روبرت الفلاندرى Robert of Flanders الذى كان يعرفه ، واستفاد أيضا من نسخة منقحة من كتاب التاريخ الذى وضعه فولشر الشارترى Fulcher of Chartres ومع ذلك ، فيبدو أن كتاب التاريخ الذى كتبه جيبير لم يتمتع بالشعبية التى حظى بها تاريخ الراهب روبرت أو تاريخ بولدريك البورجى Baldric of Bourgueil الرجل الثالث بين تلك المجموعة من المؤرخين والذى ولد ١٠٤٦م . وكان بولدريك هذا راهبا ثم رئيسا لدير بورجى ، وحضر مجمع كليرمونت . ومنذ ١١٠٧م وحتى

الارتقاء اللاهوتى

وفاته ١١٣٠ م ، كان بولدريك أكثر رؤساء أساقفة مقاطعة دول فى بريتانى *Dol in Brittany* ' تغيبا عن الدير ، وبالإضافة لذلك فقد كان كاتباً بارعاً ومثقفاً ، مما ساعده على وضع كتاب الحروب الصليبية سنة ١١٠٨ م . ويشتمل هذا الكتاب على القليل من التفاصيل الجديدة ، مثل المعلومات التى ذكرها عن الفرقة الصليبية البريتونية Breton ؛ غير أن هذا الكتاب تعرض لكثير من النقد ، فوصف بأنه مجرد إعادة صياغة لكتاب أعمال الفرنجة *Gesta Francorum* ولكن بأسلوب جميل ممتع . وقد استعان به اثنان من المؤرخين الكبار ، وهما أوردريك فيتاليز *Orderic Vitalis* الذى أعجب كثيراً بما كتبه بولدريك ، وفينسنت البوفى *Vincent of Beauvais* ، كما استعان به اثنان آخران من المؤرخين على الأقل وقام أحدهما بتحويل ما كتبه الى قصيدة شعرية .

وهكذا وجدنا ثلاثة من كبار الرهبان فى شمال فرنسا وهم من بين نتاج الحركة الثقافية الديرية الأخيرة التى أفسحت المجال فيما بعد للتعليم فى المدارس ، اختار كل منهم على انفراد ، وربما دون علم الآخرين ، أن يكتب عن الحملة الصليبية الأولى معتمداً بصفة أساسية على الرواية التى وردت فى كتاب أعمال الفرنجة . ويجب أن نتذكر أن كتاب أعمال الفرنجة صنفه نورمانى من جنوب إيطاليا ، وأنه انتشر بين الناس فى فرنسا ، وقد يرجع سبب انتشاره الى الحملة الدعائية التى قام بها بوهيموند التارانتوى *Bohemond of Taranto* ، لحشد الرجال للدعوة الى حملة

صليبية جديدة • وكان بوهيموند قد وصل الى فرنسا فى
أوائل ١١٠٦ م • وبعد زيارته لضريح القديس ليونارد
St Leonard فى سانت ليونارد - دو - نوبلا St Leonard-de-
Noblat ، حيث أوفى بالنذر الذى كان قد أخذه على
نفسه عندما كان سجيناً فى نكسار Niksar ، قام بجولة
فى البلاد والفرحة تغمره ، مقدماً الآثار المقدسة والأشياء
النفيسة التى كان قد أحضرها من الشرق للكنائس والأديرة ،
وكان يروى مغامراته وتجاربه المثيرة لجمهور المستمعين
الذين قدروه حق قدره ، حتى ان كثيراً من النبلاء الفرنسيين
طلبوا منه أن يكون أباً روحياً لأبنائهم • وأعلن بوهيموند
ومعه المنسوب البابوى برونو السينى Bruno of Segni
الدعوة لحملة صليبية جديدة فى مجمع محلى انعقد فى بواتيه
Poitiers ، بهدف مساعدة النصارى فى الشرق واجبار
المسلمين على اطلاق سراح الأسرى من النصارى • وقد
اصطحب بوهيموند رجلاً طالباً بأحقية فى الجلوس على عرش
الامبراطورية البيزنطية ، وسيطرته على الحاشية الاغريقية ،
وبمناسبة زواج هذا المدعى من كونستانس الفرنسية
Constance of France فى مدينة شارتر Chartres ، فى أبريل
أو مايو قام بالقاء موعظة دينية فى الكاتدرائية دعا فيها
الى حشد حملة صليبية ، وشجع الفرسان الفرنسيين على
المشاركة فى غزو الامبراطورية مقابل منحهم الأراضى
الخصبة • وربما كانت خطته تتشابه مع الخطة التى نفذتها
الحملة الصليبية الرابعة بعد قرن من الزمان وتمثلت خطته
فى حشد قوة عسكرية خارج مدينة القسطنطينية ، أثناء
توجهه الى الشرق ، تساعد فى تغيير الحكومة البيزنطية • وقد

الارتقاء اللاهوتى

أرسل هذا المدعى كتابا الى البابا بعد عدة أشهر يقول فيه أن محاولة سيطرته على عرش الامبراطور ألكسيوس Alexius احدى القضايا الجانبية ، وبرر هجومه على اليونانيين بقوله ان هذا الهجوم بمثابة الانتقام منهم بسبب الطريقة التى عاملوا بها الصليبيين ، كما أن هذا الهجوم هو الوسيلة الفعالة لانهاء الهوة التى تفصل اليونانيين عن بقية الأوربيين .

وقدم كل من روبرت Robert ، وجيبير Guibert وبولدرىك Baldric المبررات التى دفعتمهم للكتابة التاريخية، وقالوا ان ذلك يرجع الى الطريقة الفظة الخرقاء التى اتبعها صاحب كتاب أعمال الفرنجة . فذكر روبرت كيف ان رئيس الدير المدعو برنارد المارموتى Bernard of Marmoutier أطلقه على معلومات تاريخية ... غير أنها ضايقته كثيرا لأنها لم تتضمن وصفا للأساس الذى قامت عليه الحملة الصليبية فى مجمع كليرمونت ، كما أهمل التنميق اللغوى الذى يتسم به سياق الحوادث التاريخية الجميلة . كما أن التركيب الأدبى للجمل يمضى فى ثققل ، ويغلب عليه طابع الفظاظة .

ثم استمر فى حديثه فأضاف : « اذا كانت نسختنا تشير استياء أى انسان نشأ فى بيئة تغلب عليها المعارف والثقافة ... فاننا نود أن نقول اننا نفضل أن نلقى الضوء على ما هو غامض - على نحو ما يفعله الرجل الريفى الخشن - لا أن نلقى بغيوم التعتيم على ما كان واضحا وجليا على نحو ما يفعله أى فيلسوف » .

وقدم جيبير هو الآخر تفسيرا ، فقال : « الواقع أن هناك تاريخا عن الحرب الصليبية غير أنه كان مكتوبا

بأسلوب يفتقر الى الرصانة والدقة ولم يلتزم الكتاب بقواعد اللغة والنحو فى كثير من الفقرات ، وكثيرا ما ضعف شوق القارئ لافتقار الأسلوب الى عنصر التشويق والاثارة ، ثم قدم تبريرا قويا لما ينبغى أن يكون عليه أسلوب الكتابة التاريخية ، فقال : « عندما نجد حماسا من جانب الجميع لدراسة علم النحو والصرف فى كل مكان ونعلم أن هذا التعليم متاح لأفقر الأفراد نظرا لوفرة عدد المعلمين ، عندئذ من الخزي والعار ألا نكتب عن أمجاد عصرنا ، أو - على الأقل - نبذل أقصى جهدنا لتحاشي الأساليب الفظة وغير المألوفة التى تكتب بها الحوادث التاريخية » .

وكتب بولدريك Baldric الشئ عينه تقريبا ، فقال : « ولست جديرا بأن أكون بين طبقة الفرسان المباركة ، ولا يحق لى أن أكتب عن أشياء لم أرها . بيد أنى لا أعلم من هو المؤلف المجهول الذى نشر كتابا عن هذا الموضوع بأسلوب ركيك ، وبذل جهدا مضنيا ليظهر الحقيقة ، غير أنه بسبب ركاكة أسلوبه ، قد انتقص من قدر الموضوع النبيل ، كما أن اللغة الفظة الخالية من المحسنات البديعية تجعل القارئ المحنك ينصرف عن القراءة على الفور . وقد أقدمت على دراسة الموضوع ، لا من أجل تحقيق مجد أجوف ولا من أجل ارضاء لغرور عابر ، وإنما حرصت على كتابة الجمل بكل دقة واهتمام لكى أدخل البهجة والسرور على الأجيال المسيحية التالية » .

وهكذا أخذ ثلاثة من العلماء الديرين على عاتقهم مهمة اعادة كتابة مادة تاريخية عن الحرب الصليبية كتبها شهود

عيان مشهورون * وكان هدفهم من ذلك هو معالجة ذلك التاريخ بأسلوب أدبى أفضل * وكانوا يقصدون من كلامهم هذا - كما أوضح كل من روبرت وجيبير وبولدريك - معالجة الحوادث التاريخية بأسلوب دينى لائق * وكانت مدارس اللاهوت بالأديرة قاصرة فقط على المثقفين ، الذين درسوا علوم النحو والصرف فى القرن الحادى عشر ، أى أولئك الذين لم تتوافر لديهم القدرات اللغوية فحسب ، وانما درسوا الفلسفة كذلك * وواقع الأمر أن ما ذكره أولئك الرهبان الثلاثة يقترب من القول بأن كتاب أعمال الفرنجة لم يكتب بأسلوب دينى كما ينبغى * وإذا أخذ المرء فى اعتباره حالة السعادة التى اجتاحت أوروبا عقب نجاح الحملة الصليبية ، فقد كانت هناك حاجة ماسة الى ضرورة مناقشة سلسلة من الحوادث التاريخية التى كشفت عن وجود العناية الالهية ، بحيث تكون هذه المناقشة بأسلوب أكثر تدينا ، ولا سيما أن الدعوة الى حملة صليبية أخرى كانت قد بدأت تلوح فى الأفق * ومن الجدير بالملاحظة أنه رغم وجود اختلافات طبيعية فى الأسلوب وفى درجة الاهتمام لهؤلاء المؤرخين الثلاثة ، فإن الفكرة الرئيسية التى تدفقت من أقلامهم ، كانت فى الواقع تنقل رسالة واحدة ، ولا بد أن الدوائر الديرية البندكتية بفرنسا قد توصلت الى تفسير مشترك للحرب الصليبية * وترجع أهمية مؤلفات الرهبان الثلاثة روبرت وجيبير وبولدريك ، الى أنها كشفت النقاب عما يدور فى عقول المثقفين فى أوروبا بعد انقضاء حقبة من الزمان على سقوط بيت المقدس * وفى كتاباتهم نجد تعبيراً فكرياً عن أيديولوجية شبه شعبية تكونت اثر الصدمة النفسية التى أحدثتها الحملة الصليبية ، كما

أن الفكرة المرتبطة بالحروب الصليبية قد تطورت أثناء هذه الحروب ، وأثرت على علماء اللاهوت .

ان الدهشة التي انتابت الصليبيين بعدما حققوه من انجازات كانت نقطة البداية لسلسلة متتابعة من الأفكار التي تعرض لها المؤرخون الثلاثة . وكانت الحرب الصليبية حادثا رائعا بالنسبة اليهم . فكتب جيبير Guibert ، « اننا نتحدث عن الانتصار الأخير الذي لا يضاهي ما حققته حملة بيت المقدس ، ونبتهج ابتهاجا عظيما لأن عصرنا قد أعلى شأننا ، لقد حظيت بلقب لم يحظ به أسلافنا » .

ووفقا لمفهوم روبرت ، فان النصر تحقق لأن المسيح عيسى تولى قيادة المعركة ، ثم قال روبرت : « كانت المعركة عملا الهيا وليس بشريا » . وعاد روبرت الى معالجة هذا الموضوع مرارا . وفي فقرتين من كتاباته ، قام بتصوير حالة الارتباك التي انتابت المسلمين بعد انتصار النصارى عليهم فى عسقلان ودوريلية Dorylaeum . وقال بوهيموند وهو يرجع انتصارات الصليبيين الى تدخل العناية الالهية ، وذلك فى محادثة جرت بين بوهيموند والقائد الاسلامى الذى أفشى له أسرار أنطاكية ، فقال بوهيموند : « أبا فيروز Opyrrhus ألا يبدو لك أنها معجزة كبرى أن المسيح عيسى الذى نؤمن به هو الذى يعمل من خلالنا ؟ والى من تنسب هذه القوة ، الى بنى البشر أم الى القدرة الالهية ؟ ان الانسان لا حول له ولا قوة . انه عبد لارادة خالدة للذى خلقه ومنحه القدرة على العمل » .

وبعد انتهاء معركة دوريلية ، صور روبرت الصليبيين وهم ينشدون ترنيمة تشبه الترنيمة التى كان يغنيها موسى مع اليهود تعبيرا عن شكرهم فى سفر الخروج بالعهد القديم ، بعد أن أباد الله المصريين وأغرقهم فى البحر الأحمر مع قائدهم فرعون .

وتقول كلمات هذه الترنيمة كما جاءت فى سفر الخروج الاصحاح ١٥ عدد ١ - ١٣ : « أرنب للرب فانه قد تعظم ، الفرس وراكبه طرحهما فى البحر . الرب قوتى ونشيدى . وقد صار خلاصى . هذا الهى فأمجده . اله أبى فأرفعه . الرب رجل الحرب . الرب اسمه . مركبات فرعون وجيشه ألقاهما فى البحر . ففرق جنوده المركبية فى بحر سوف . تغطيههم اللجج . قد هبطوا فى الأعماق كحجر . يمينك يارب معتزة بالقدره . يمينك يارب تحطم العدو . وبكثرة عظمتك تهدم مقاوميك . ترسل سخطك فيأكلهم كالقش . وبريح أنفك تراكمت المياه . انتصبت المجارى كرايية . تجمدت اللجج فى قلب البحر . قال العدو أتبع أدرك أقسم غنيمة . تمتلئ منهم نفسى . أجرد سيفى . تفنيهم يدي . نفخت بريحك ففطاهم البحر . غاصوا كالرصاص فى مياه غامرة . من مثلك بين الآلهة يارب . من مثلك معتزا فى القداسة . مخوفا بالتسايب . صانعا عجائب . تمد يمينك فتبتلعهم الأرض . ترشد برأفتك الشعب الذى هديته ، تهديه بقوتك الى مسكن قدسك » .

وفى عبارة أخرى متمثلة ذهب روبرت أبعد من ذلك ، حين حاول ، كما كان يظن ، أن يصور أن العناية الالهية قد تدخلت فى الحروب الصليبية . ولذا يمكن مقارنة هذه

الحروب بحادثتين أخريين ، تدخلت فيهما العناية الالهية ، وهما خلق الله للإنسان ، وخلص الجنس البشرى فقال : « وباستثناء سر شفاء المرضى ، فما الحادث الأعظم الذى جرى منذ بدء الخليقة حتى وقتنا هذا الا ذهاب رجالنا الى بيت المقدس » .

وتوصل جيبيير الى الاستنتاج نفسه تقريبا ، « ان الله ، صانع المعجزات ، والذى جل فى علاه ، ولا شريك له فى ملكه ، كان وحده هو القائد ، والمرشد للصليبيين . وهو الذى دبر أمورهم ، وسدد خطاهم ، وقادهم الى ما وصلوا اليه . وهو الذى منحهم تلك الأراضى الجديدة والحدود الشاسعة التى صارت تحت أيديهم . وهو الذى لم شمل الحملات بين ذراعيه . وشملهم برعايته التامة . ومنح أولاده الأمل والسرور ، ونقلهم الى الأماكن التى تابقت أنفسهم الى زيارتها » .

تتمثل الفكرة الأساسية للحرب الصليبية كما وردت فى كتاب جيبيير ، والتي ردها كثيرا ، فى أن هذه الحرب كانت بمثابة اعلان عن موافقة الله ، لما يقوم به الصليبيون ، وليس مجرد حرب تهدف الى السلب ، بل انها حرب أكثر قداسة وأسمى هدفا من أية حرب مقدسة قام بها بنو اسرائيل وورد ذكرها فى العهد القديم . فقال فى هذا الكتاب : « واذا ما وضعنا فى اعتبارنا الممارك التى خاضتها الأمم وتفكرنا فى العمليات الحربية الكبرى التى انتهت بالقضاء على ممالك وضياعها ، فلن نفكر فى أى جيش أو أى عمل بطولى يمكن أن يرقى الى حد المقارنة مع ما قمنا به . وعلمنا بأن الله تجلت قدرته فى الشعب اليهودى ، بيد أننا نقر ونعترف

الارتقاء اللاهوتي

بوجود دليل لا يقبل الشك على أن المسيح عيسى عاش في الوقت الحاضر بين معاصرينا مثلما عاش غيرنا من القدماء ، وأكدت مرات عديدة لأن ما قلته يستحق التكرار ، على أن مثل ذلك الحوادث التاريخي لم يسبقه حادث مثيل في تاريخ العالم . وإذا ما عارض بنو اسرائيل قولي هذا بإشارتهم على بالرجوع الى معجزات الله التي صنعها معهم ، فاني بدوري أذكرهم بالمعجزة التي حدثت في البحر [الأحمر] الذي كان مكتظا بالأميين . وبالنسبة للصليبيين كان المسيح بنفسه هو سندهم ودعامتهم ، وقوتهم ، وهو الذي أمدهم بالوحي والالهام ، وشد من أزهرهم ، بفضل كلمة الله ، كما حدث عندما أعطى الله المن Manna لبنى اسرائيل » .

وطبقا لما ذكره جيبيير ، قام الصليبيون بتقديم كل آيات التعظيم والتمجيد لله مثلما فعل اليهود من قبل ، بيد أن أوجه الخلاف بين اليهود والصليبيين - والتي جعلت انجاز الصليبيين أكثر أهمية - تكمن في أهداف كل من الشعبين المختارين . فقد خاض اليهود حروبا دنيوية من أجل ملء بطونهم ، وبالإضافة الى ذلك فقد حارب اليهود من أجل المحافظة على الناموس القديم ، « من أجل المحافظة على الطقوس والمعبد » ، أو « من أجل المحافظة على عادة الختان ، والامتناع عن أكل لحم الخنزير » . في حين أن المسيحيين قاتلوا دفاعا عن الكنائس « ومن أجل التبشير بالمعتقدات النصرانية » . كما أنهم بدعوا بدافع روجي فقط وتميز هذا الدافع بالعون الالهي ، « وهو الأمر الذي لم يحدث في التاريخ من قبل » . ويرجع السبب في الطبيعة الخاصة التي تميزت الحروب الصليبية بها وكذلك السبب الذي جعلها اظهارة لقوة الله ، في أن هذه الحروب قد شهدت تألفا بين القوة

الالهية ، وصدق نية الصليبيين * وكما أشار جيبيير في كتابه
« اظهار قوة الله على أيدي الفرنسيين Gesta Dei Per Francos »
كانت هذه الحرب اظهارة لقوة الله وبأسه *

واعتبر كل من روبرت ، وجيبيير ، وبولدريك أن الحرب
الصليبية جاءت تنفيذا لبعض النبوءات التي وردت في الكتاب
المقدس * وربط هؤلاء الكتاب الثلاثة بين الانتصارات
العسكرية التي حققها الصليبيون والانتصارات التي حققها
بنو اسرائيل ، كما أبرزوا أوجه التشابه بين الشخصيات
الصليبية والحروب الصليبية والشخصيات البارزة والحوادث
المهمة في التاريخ اليهودي * كما سلطوا الضوء على الفكرة
القائلة بأن الكتاب المقدس وردت به بعض الجمل والفقرات التي
يفهم منها أنها تضمنت تنبؤات عن الحروب الصليبية * وكان
بولدريك أكثر ترددا بشأن هذا الموضوع عن جيبيير وروبرت
كما أن طريقة تناول الاثنين الآخرين للموضوع كانت
مختلفة * أما جيبيير فقد تناول الموضوع من عدة نواح *
وتضمن موضوعه نبوءة من سفر أيوب وسفر المزامير وسفر
الأمثال وسفر أشعياء وسفر زكريا ، وانجيل لوقا * كما
قدم عرضا مطولا لما جاء في سفر زكريا ، حيث تنبأ زكريا
بالاستيلاء على بيت المقدس ومنطقة يهوذا ، وربط جيبيير بين
هذه النبوءة وبين الصليبيين * ومن ناحية أخرى أشار روبرت
في كتاباته الى سفر التثنية [أحد أسفار العهد القديم] مرة ،
وسفر الأمثال [أحد أسفار العهد القديم] مرة ، ولكن معظم
كتاباته تركزت على سفر أشعياء [أحد أسفار العهد القديم]
حيث أبرز النبوءة التي وردت بهذا السفر ، فنجد أن
الاصحاح ٩ عدد ٩ - ١١ ، ١٥ ، ١٦ يشير الى حالة بيت

المقدس إلى المستقبل ، حيث يأتي أبناء بيت المقدس من الأماكن البعيدة ، وكذلك الغرباء الذين يقومون ببناء أسوار المدينة ، كما أن أبوابها ستفتح على مصرانها أمام الحجاج الذين سيتدفقون عليها ليل نهار . كما أن الموقف الجديد الذي وجد الصليبيون أنفسهم فيه بعد الاستيلاء على بيت المقدس وكذلك نجاح حملتهم الصليبية ، قد جعل كلا من روبرت ، وجيبير ، وبولدريك يستعينون بنصوص من الكتاب المقدس متعلقة بالنبوءات ، ولكنهم لا يستطيعون الاعتماد على أى تأويل متاح لديهم ، يمكن الاعتماد عليه لتفسير هذا الموقف الجديد الذي وجدوا أنفسهم فيه ، وتفسير نجاح حملتهم الذي اقترب من حد الإعجاز في نظرهم . أما المعانى المستمدة من هذه النبوءات - التى كان ينظر اليها فى الماضى على أنها معان رمزية - فقد بدأ الصليبيون ينظرون اليها على أنها معان ستتحقق بالحرف الواحد على أيديهم . وقام جيبير بالتعليق على النص الذى ورد فى سفر زكريا اصحاح ١٢ عدد ٣ القائل : « ويكون فى ذلك اليوم أنى أجعل أورشليم حجرا مشبوا لاجميع الشعوب الذين يشيلونه ينشقون شقا » ويجمع عليها كل أمم الأرض » فقال ان معنى هذا النص لا ينبغى أن ينظر اليه على أنه معنى مجازى ، بل ينبغى أن ينظر اليه على أنه معنى حرفى قد تحقق تاريخيا على أيدينا . وقال روبرت الشئ نفسه حين علق على النص الوارد فى سفر أشعياء اصحاح ٥٥ عدد ١٢ والقائل : « لأنكم بفرح تخرجون وبسلام تحضرون . والجبال والآكام تنشد أمامكم ترنما وكل شجر الحقل تصفق بالأيدي » فقال ان نبوءة النبى أشعياء وكافة التنبؤات الأخرى التى

تحدثت عن تحرير بيت المقدس قد تحققت على أيدي الصليبيين ولا يشق علينا ، تصور الصدمة التي أصابت الصليبيين حين أدركوا أن نصوص الكتاب المقدس التي كانوا ينظرون على أنها تحمل معانى مجازية قد تحققت فجأة على أيديهم .

وكان التنبؤ بما سيحدث عن اقتراب الساعة the Last Days ، أحد الملامح الأساسية لما ورد في كتاب جيبيير الذي قال ان البابا أوربان الثانى أعلن في خطابه الدينى فى كليرمونت أن المسيح الدجال سيقبض فى بيت المقدس ، لأنه ينوى مهاجمة النصارى ، فلن يظهر المسيح الدجال الا بعد احتلال النصارى لبيت المقدس . وبالإضافة الى ذلك ، فهناك تفسير تقليدى لنبوغة فى سفر دانيال الاصحاح ٧ : عدد ٢٤ ، ان المسيح الدجال سيقتل ملوك مصر ، وأفريقيا والحبشة بسبب اعتناقهم النصرانية وهو أمر لن يحدث الا اذا اعتنقت منطقة شمال أفريقيا النصرانية . وكذلك ربما تكون الحرب الصليبية بداية التحول الجماعى نحو المسيحية ، واقتراب يوم القيامة ، ولا سيما أن تحرير بيت المقدس من الأمميين كان مرتبطا باقتراب يوم القيامة وفقا لما ورد بالانجيل الذى كتبه لوقا (٢١ : ٢٤) . وقبل خروج الصليبيين من بلدانهم ظهر اتجاه الكتابة عن البعث والحساب وان كانت الكتابات التى تحدثت عن ذلك قليلة الى الحد الذى لا يجعل من الايمان بالعصر الألفى السعيد Millenarianism يشكل عنصرا مهما فى الحرب الصليبية ، ولكن مثل هذه الأفكار كانت شائعة .

الارتقاء الملاهوتي

وكان المفهوم السائد لدى النصارى بالغرب أن المساندة الالهية جعلت من الحرب الصليبية حرباً في سبيل الله وأحاطتها بالقداسة . كما كان المفهوم لديهم أن الحرب الصليبية هي حرب ضد « شعوب بعيدة عن الله كل البعد » . بل هي حرب ضد زبانية الشيطان . وكان اعتقاد النصارى بالغرب أن أراضى بيت المقدس هي أرضهم ، إنما يرجع الى الحكم الالهى الذى منحهم هذه الأراضى كما سبق أن منح الله « أرض الميعاد » لبني اسرائيل . « ان الله الذى قاد بني اسرائيل عند خروجهم من مصر ، ومكنهم من عبور البحر الأحمر ، هو الذى تنبأ لكم بالاستيلاء بالقوة على هذه الأرض تحت قيادة المسيح عيسى » .

ولكن الايمان بأن الله أجاز شن الحرب الصليبية لم يعف الدعاة لتلك الحرب من ضرورة تقديم الأدلة والبراهين التى تبرر ضرورة استناد الحرب الصليبية على أسس أخلاقية لاهوتية . وأشار كل من روبرت وبولدرىك وجيبير الى أن الحملات الصليبية قامت لنشر الديانة النصرانية . ولكن من الواضح أنهم رأوا أن نشر الديانة النصرانية بمثابة مكافأة لمن يعتنق هذه الديانة ، وليس تبريراً لقياس الحملات الصليبية ، رغم أن روبرت كان أقل تمسكاً بالمبدأ الذى ينادى بالجهاد الدينى لنشر التعاليم النصرانية من كل من جيبير وبولدرىك . وكانت معالجة جيبير للموضوع ، وإشارته الى الجهود المسيحية ، وإلى الحرب باعتبارها عملاً حتمياً دفاعاً عن الكنيسة مثلاً نموذجياً لأراء المصلحين التقدميين ، حيث قال فى هذا الصدد : « وإذا كان على الفرسان أن يدافعوا عن قضية حماية الحرية والدفاع عن العالم المسيحى ، فلا بد لهم

أن يقدموا مبررا صادقا على اقل تقدير . وبالإضافة الى ذلك فيجب على أى مقاتل عدم التقاعس عن الاشتراك فى الخدمة العسكرية عند التعرض لغزو البرابرة أو الامميين ، وحتى اذا لم تكن تلك حالات تدعو الى قيام الحرب فان الحرب تكون مشروعة لحماية الكنيسة المقدسة . غير أنه نظرا لعدم توافر النية الحسنة لخوض هذه الحرب ، ونظرا لأن قلوب الجميع سيطرت عليها الرغبة فى التملك ، لذلك أجاز الله شن الحروب المقدسة فى عصرنا واذا كان المكابيون Maccabees فى العصور السالفة قد اشتهروا بالتقوى لأنهم دافعوا عن الطقوس والشعائر والمعبد فانكم أيضا يا جنود المسيح ، فى استطاعتكم الدفاع عن حرية أرض الآباء والأجداد باستخدام الأسلحة وحتى هذا الحين فقد خضتهم حروبا غير عادلة : اذ غالبا ما لوحتهم برماحكم فى وجه بعضكم البعض فى المذابح المتبادلة والناجمة عن الطمع والغرور ، ومن أجل ذلك استحق كل منكم الهلاك الأبدى واللعنة ! والآن نعرض عليكم أن تخوضوا حروبا تنالون فيها اكليل الشهادة المجيد ، وتحصلوا فيها المجد الخالص والأزلى » .

وساق بولدريك Baldric أكثر من مرة تلك الحجج عندما ذكر أن البابا أوربان الثانى صرح فى مجمع كليرمونت قائلا : « تحتفظ الكنيسة لنفسها بجيش لمساعدة شعبها » . وعندما ذكر أن بوهيموند Bohemond طلب من الصليبيين قبل معركة دوريلية Dorylaeum أن ، « يسارعوا للدفاع عن أنفسهم وعن عالمهم المسيحى » .

وواقع الأمر أن معالجة القضية الصليبية اتبعت خطين مزدوجين رسمهما البابا أوربان الثانى ، وهما تحرير حل من الشعب المسيحى والأراضى المسيحية . وعرف جيبيرت Guibert القضية الصليبية بأنها : « تقديم العون لكل المسيحيين من أجل استرداد بيت المقدس وتحرير القبر المقدس » . وبالنسبة للقضية الأولى فلقد كتب الكتاب الثلاثة بأسهاب عن المظالم التى تعرض لها الحجاج النصارى والاضطهادات التى عانى منها النصارى الذين يعيشون فى أراضى المشرق الإسلامى . وهناك سمة مدهشة الى حد ما تتعلق بأنهم كانوا يكتبون فى وقت تنقل فيه بوهموند Bohemond عبر حدود فرنسا وهو يعلن شجبه بعنف للحكومة اليونانية . غير أنهم كأصحاب كتابات تاريخية وكشهود عيان لم يكن هناك تحت أيديهم دليل على وجود مشاعر معادية تجاه الشعب اليونانى بصفة عامة . وتمرضت حكومة الامبراطور الكسسيوس Alexius لكثير من اللوم لسوء معاملتها للصليبيين ، كما نظر غرب أوروبا لشعب الكسسيوس نظرة احتقار لاتهامهم بالتغنى ، ولخروجهم على تعاليم الكنيسة فى روما ، برغم عدم وجود سبب وجيه لذلك . وأثناء وصف روبرت لاستيلاء الصليبيين على مدينة نيقية Nicaea وعودتها لليونانيين ذكر روبرت القراء بأول مجمع مسكونى عالمى انعقد فى تلك المدينة ، وقال : « من الجدير بنا أن تعود نيقية الى المسيحيين ، وبذلك يرضى الله هنا ، بعد أن عادت هذه المدينة الى جسد الكنيسة المقدسة الأم . وهكذا شاءت ارادة الله أن تعود هذه المدينة الى الكنيسة المقدسة بعد اراقة دماء الكثيرين من الذين ثابوا اكليل الشهادة هناك » .

وكانت القسطنطينية ، عاصمة اليونانيين ، بالنسبة لكل من روبرت وجيبيير ، تستحق كل احترام وتبجيل باعتبارها مدينة ملكية وكرسيا رسوليا . والقسطنطينية تتساوى مع روما باستثناء ان روما مقر الكرسي البابوى ، ولذلك فهي عاصمة العالم المسيحى . والقسطنطينية اكبر مستودع للآثار المقدسة فى العالم المسيحى ، ومن ثم فهي مكان مهم يزوره الحجاج . وأعلن بولدريك بكل قوة عن حرصه على التأكيد على رابطة الأخوة التى تربط جميع المسيحيين . والواقع أن اليونانيين هم اخوة للمسيحيين اللاتينيين ، حيث تربطهم بهم صلة رحم . لذلك فهم يطلبون مساعده اخوانهم من المسيحيين اللاتينيين . فقالا عن اليونانيين : « هم اخواننا فى المسيح - واخوانكم فى الرحم واخوانكم فى السلاح . فهؤلاء اليونانيون تربطنا بهم صلة الرحم . وهم أبناء نفس الكنيسة ونفس المسيح . والدماء التى تجرى فى عروقهم دماء مسيحية خلصتها دماء المسيح » .

وفيما يتعلق بتحرير الأراضى عرف روبرت ، وجيبيير ، وبولدريك المعيار الذى يدعو للعنف المشروع من أجل استرداد الأراضى . فمنطقة القدس كانت تابعة للعالم المسيحى ، وكانت جزءا من الامبراطورية الرومانية المسيحية قبل الفتح الاسلامى . « ان الأرض ... ليست أرضهم ، فعلى الرغم من أنهم وضعوا أيديهم عليها لفترة طويلة من الوقت فانها كانت أرضنا منذ عهد قديم ... ولا بد أن تعود الينا لأن ارادة الله شاءت أن تعود الأرض التى ضاعت فى عهد الآباء الى الأبناء » .

الارتقاء اللاهوتى

بيد ان بيت المقدس والأرض التى حولها شهدت عملية الخلاص من الخطيئة التى قام بها المسيح ، ومصدر أصول العقيدة المسيحية . « فبيت المقدس هو المكان الذى نلنا منه نعمة الخلاص والمصدر الذى نستمد منه أصول المسيحية . » وإذا كان صحيحا أننا نستمد كل تعاليمنا المسيحية من ينبوع بيت المقدس ، فإن قلوب كل الكاثوليك يجب أن تتجه صوب هذا النبع الذى يستقى منه العالم بأسره ليتذكروا بكل حكمة الدين الذى يجب أن يعترفوا به لهذا النبع الكريم .

ولذلك فمدينة بيت المقدس هى ، « الكنيسة الأم لكل الكنائس فى العالم » . وهى أيضا مدينة ملكية ، فهذه المدينة ملك للمسيح بذاته ، وفقا لما ورد فى المزامير ، وهى مدينة مقدسة أيضا فقد صارت أرضها وأحجارها مقدسة بعد أن عاش المسيح بها . « إذا . . . كانت هذه الأرض تصم بيت المقدس قبل أن يولد المسيح ، وينشأ ويتعرع ، فالى أى مدى يمكن أن تكون جديرة بالتوقير والتبجيل بعدما تجسد الرب فيها وتربى وكبر ومثى على أرضها وانتقل من مكان الى مكان ؟ . . . وما التبجيل الذى نعتبره لائقا بالمكان الذى سال على أرضه دم ابن الرب ، هذا الدم الأقدس من السماء والأرض وكذلك جسده الذى رقد فى القبر ؟ » .

وكما ورد فى كتابات شهود العيان ، فإن قدسية المكان (بيت المقدس) هى التى جعلت عملية اغتصابه والسيطرة عليه غير مقبولة ، لأن سيطرة غير النصارى عليه عملت على تدنيته . « ستتأثر تأثرا شديدا عند زيارة القبر المقدس لربنا ومخلصنا ، هذا القبر الذى يقع تحت سيطرة شعوب غير مسيحية ، كما ستتأثر بعد زيارة الأماكن المقدسة التى

دنستها العبادات والممارسات غير الجديرة بالاحترام والوقار » .

عرفنا من قبل أن الصليبيين انفسهم راوا ان معركتهم من أجل الاستيلاء على بيت المقدس الأرضية سوف تدفعهم إلى التقدم بطريقة ما تجاه بيت المقدس السماوية . ولم يكن هذا أمرا مقبولا نظرا لأنه مهما كان تحرير مدينه أرضية عملا مقدسا ، ومهما بلغت قدسية هذه المدينة ، فلا يمكن مقارنة هذا بحمل الآخرين على اعتناق النصرانية . وقام كل من بولدريك وروبرت بتطوير الفكرة والكتابة عن تحرير بيت المقدس الأرضية كإجراء تمهيدى للفوز بالمدينة السماوية . « مدينة بيت المقدس على مثال المدينة السماوية وتحاكيها . وفي إمكانك مشاهدة الأعداء المنظورين وهم يقاوموننا هنا . بالإضافة إلى ذلك فالأعداء غير المنظورين يطوقون الطرق المؤدية إلى بيت المقدس السماوية . ويتعين علينا خوض الصراع الروحي ضدهم . والأمر الأكثر أهمية لنا هو أن نقاوم الأرواح الشريرة في الأماكن السامية أكثر من مقاومتنا للبشر الذين نشاهدهم بأعيننا . . . وسنكون غير صالحين تماما وعاجزين في نضالنا الروحي ما لم نتخذ موقفا صلبا ضد المسلمين » .

وبالنسبة لجيبير Guibert كانت الحرب الصليبية عملا روحيا بقدر ما كانت نوايا المشاركين فيها تتسم بالطابع الروحي .

وأبدى كل من روبرت ، وبولدريك ، وجيبير اهتماما بالغا في كتاباتهم بهؤلاء المشاركين في الحروب الصليبية ،

فقد كان الصليبيون ، على مثال اليهود في العهد القديم ، الصفوة التي اختارها الله ، ولم يكن كونهم من الفرنسيين أمرا من قبيل الصدفة . فالواقع أن الفجر القومي التقليدي بالانتماء إلى شعب الفرنجة يظهر بكل وضوح في الكتابات التاريخية لشهود العيان . وذكر روبرت أن بوهيموند Bohemond أعلن عندما علم بالدعوة للحرب الصليبية قائلا : « ألسنا من سلالة الفرنجة ؟ ألم يأت-أجدادنا من فرنسا وحرروا جنوب إيطاليا بسواعدهم ؟ يا للخرى والعار ! هل سيذهب اخواننا وأقاربنا الذين تربطنا بهم صلات رحمة للفوز بالشهادة والذهاب إلى الفردوس ؟ » والواقع أن الفرنسيين كانوا ، « الأمة المباركة التي باركها الله » . وكانت فرنسا الاقليم الوحيد في العالم الذي يستحق التمجيد ، « وكم كانت تشبه إسرائيل عندما نصب الفرنسيون الخيام في آسيا الصغرى ! » . ان الله هو الله الفرنسيين الذين أحبهم ، واصطفاهم للقيام بهذا العمل ، ويؤكد على كل ما تقدم تاريخهم وإيمانهم بالله وولائهم للكرسي الرسولي . .

« وإذا ما تعرض البابوات لأي أذى على أيدي الشعوب المجاورة ، كان المألوف منذ القدم أن يسارع البابوات بطلب العون من الفرنسيين . فقد سبق أن لاد بالفرار كل من البابوات ستيفن وزكريا إلى الملكين بيپان Pepin وشارل . وكان البابا ستيفن . . . قد شارك في حملة عسكرية حتى وصل إلى مدينة تيتشينو Ticino لاستعادة أملاك الكنيسة فتمكن من استرداد الكرسي البابوي . . . وقال عن هذا : لا بد لكل شخص مؤمن أن يعترف معنى بأن الله حفظ الشعب

الفرنسي لهذه المهمة الكبرى [الحرب الصليبية] ، وبخاصة أننا نعلم علم اليقين أن الفرنسيين ظلوا على عهدهم ، ولم يصابوا بعدوى الغدر والخيانة منذ أن تلقوا شارة الايمان على يدى القديس ريميغيوس St Remigius .

كان الفرنسيون الصليبيون من الفرسان العاديين ، ولم يكونوا من رجال الاكليروس الدينيين او العلمانيين - ونظرا لأن معظم هذه الكتابات كانت تخاطب اهل الأديرة ، فإن المرء يجد أن هذه الكتابات كانت تستعيد الى الأذهان صور البطولة الرومانسية التي تعص بها الأناشيد الدينية - وعلى سبيل المثال صور روبرت الراهب قلعج أرسلان وهو يحدث رجاله عن هزيمته قائلا : انهم لا يخشون الموت أو الاعداء - فمن فى استطاعته تحمل رؤيته أسلحتهم المثيرة للدعر والهلع؟ وتلمع رماحهم مثل النجوم التي تتلألأ وتومض خوذاتهم ، وستراتهم المدرعة mailcoats مثل ضوء بزوع فجر فى فصل الربيع - كما ان صليل أسلحتهم أكثر اثارة للرعب عن صوت الرعد - وعندما كانوا يعدون أنفسهم للمعركة ، كانوا يلوحون برماحهم فى الهواء ويتقدمون فى صفوف - فى سكون تام وكأنهم صم بكم - وعندما يتقدمون تدريجيا صوب أعدائهم كانوا ينقضون عليهم بكل قوة كالأسود المتعطشة للدماء - ثم يصيحون ويكشرون عن أنيابهم ويملثون الجو بصيحاتهم - ثم لا يرحمون أحدا » -

كان الكتاب الديرىون قادرين على اطلاق العنان للمديح الخيالى من هذا النوع ، اذ قد أصبحوا يشاركون الأفكار الحربية مع غيرهم من الناس ، بعد أن عاثوا الكبت منذ

تعممة أظفارهم * وبعد دعوة البابا أوربان الثاني لقيتنام الحملات الصليبية ، استطاعوا أن يغيروا الصورة القديمة للفارس الهمجي التي كانت في أذهانهم لتحل محلها صورة الفارس النصراني النبيل * « انصتوا وافهموا » لقد تمنطقتم بنطاق الفروسية ، وتختالون في مشيكتكم ، وتشع الكبرياء من عيونكم * وأنتم يا من تسفكون دم اخوانكم ظلما تكونون سببا في الشقاكات والمنازعات * هذا العمل الذي يشئت شمل رعايا المسيح لا يقوم به فرسان المسيح * ان الكنيسة المقدسة تحتفظ لنفسها بجيش لمساعدة شعبها ، ولكنكم تلحقون بها الأذى بخداكم ومكركم * ولنتكلم بصدق ونقول ان واجبنا الدعوة والتبشير بأنكم تسلكون طريقا يبعدكم عن حياة النعيم والفردوس * أنتم يا من تظلمون اليتمامى ، وتسرقون أموال الأرامل وتسفكون الدماء ، وتكذبون على الله ، وتنهبون حقوق الآخرين ، أنتم تأملون فى الحصول على مكافآت قطاع الطرق مقابل سفك دماء النصارى * وأنتم تبحثون عن الحرب أينما كانت فتشتمون رائحة الحرب كما تشم النصور رائحة الجثث * ولا ريب ان هذا السبيل هو أسوأ السبل لأنه بعيد كل البعد عن الله * واذا ما أردتم تقبل النصيحة من أجل خلاص أرواحكم فيجب عليكم أن تطرحوا عنكم نطاق الفروسية الذى تمنطقتم به وتنضموا الى فرسان المسيح ، حتى تتمكنوا من الدفاع عن الكنيسة الشرقية » *

وأكد جيبير النوجنتى Guibert of Nogent على أن العامة بدأت تتمسك ، وبدأت تقوم بالدور المنوط بها دون حاجة الى اتباع العادات الديرية فقال : « أجاز الله لأول مرة شئ

الحروب المقدسة في عصرنا ، لكي تجد طبقة الفرسان والعامّة التي تسير في ركابها طريقا جديدا يجعلهم يصورون بالخلّاص بعد أن كانوا يسиров على نهج الوثنيين القدامى الذين انشعلوا بقتل بعضهم البعض * وهكذا لم تكن عامّة الناس مجبرة على التحلي عن الشئون الدنيوية تماما واختيار الحياة الدّيرية أو أية مهنة دينية ، كما جرت العادة في الماضي ، وانما استطاعوا الحصول على النعمة الالهية مع استمرارهم في مزاولة أساليب حياتهم اليومية في حرية تامة وارتداء الملابس التي اعتادوا عليها * .

وأشار جيبيير الى أن أهمية هذا الاقتراح لا تتمثل في طرحه أمام طبقة العامّة فحسب ، بل ينبغي عليهم أن يستجيبوا له أيضا فقال : « كانت فكرة الموت المقدس من أجل محبة الله تشغل المقام الأول في فكر الصليبيين * وما كان لأحد أن يعتقد في أن الله سيضع مثل هذا الازدراء للأمر المادية في قلوب الأشرار والجشعين » .

وكان أمرا طبيعيا أن ينظر الرهبان الذين تأثروا بحركة الإصلاح - التي كانت تهدف الى فرض قيم أولئك الرهبان على العالم - الى الصليبيين على اعتبار أنهم مجموعة من الحجيج العلمانيين الذين اعتنقوا نوعا من الحياة الديرية ، رغم قصر مدة هذه الحياة ، في الوقت الذي يدافعون فيه عن المسيح والكنيسة * وأشارت من قبل الى أن الجيش كان كمثّل جالية ديرية كبيرة في حالة ترحال وتميز أسلوب تحركها بوجود الطقوس الدينية الخاصة بالشفاعة المنتظمة * وفهم كل من روبرت ، وجيبيير ، وبولدريك ذلك فهما جيدا ، وتركزت كتاباتهم عن الحرب الصليبية حول ذلك

المفهوم • وذهب جيبيير الى حد القول بأن الصليبيين ، «عاشوا حياة ديرية وليست عسكرية ، فقد كانت حياتهم تتسم بالتقشف والعفة ، مما دفع بولدريك وروبرت الى استخدام عبارات معينة لوصف هذا الجيش مثل ، «الرابطة المقدسة» ، و « جماعة المسيح » ، وجماعة « المؤمنين المقدسة » • وتردد ذكر مثل هذه العبارات بالكنيسة فى عهودها المبكرة ، حين كانت مثلاً يحتذى للحياة الديرية • وأعلن بولدريك عن رأيه فى ذلك صراحة حين قال . « فى تلك الحملة قاتل كل دوق duke بنفسه فى المعركة ، وشارك فى الحراسة الليلية وفقاً لتوزيع الأدوار ، لدرجة أنه كان من الصعب على أى فرد التمييز بين الدوق والفرس او الفارس والدوق - وبالإضافة الى ذلك كانت السلع ملكاً مشاعاً للجميع حتى لم نعد نسمع أحداً يقول أن شيئاً معيناً يحصه وحده دون سواه ، بل ان كل شىء كان مشتركاً فيما بينهم كما كان الحال فى الكنيسة فى أوائل عهدها » •

تسلط الأضواء على صورة الحملة الصليبية التى رسمها كل من روبرت ، وجيبيير ، وبولدريك بمجرد أن يدرك المرء أن أولئك الكتاب الثلاثة كانوا يصورون الحملة الصليبية على أنها دير متحرك • وكان بالامكان مقارنة كل خطوة يخطونها بما يقوم به اخوانهم فى الأديرة • وأخذ الصليبيون على أنفسهم عهوداً بخوض غمار الحرب • وكانت هذه العهود بمثابة اعتراف منهم وتحويل الى ايمان ، فقالوا : « اننا نرى أمماً تتحرك وفقاً لالهام الله ... فساد ازدراء للوظائف الكبرى فى الحكومة ، وقيادة القلاع وحكم المدن ، كما أصبحت الزوجات الجميلات مصدر ازدراء من جانب

الرجال - وأصبحت، المجوهرات - التي كان لها طريق وتأثير لا يقاوم على النساء والرجال - شيئا محتقرا من الجميع . وتولدت الارادة لدى الرجال ، فأصبحوا يقومون بما لم يستطيع غيرهم القيام به . فما تفسير هذه الاستجابة العامة ؟ لا يمكن تفسيرها الا على اعتبار أنها الطيبة التي سيطرت على قلوب الناس وجعلتهم يقومون بنفس الأشياء الصالحة .

وبعد أن ترك الرجال زوجاتهم وأطفالهم وأملاكهم ، اختاروا التغرب التطوعى فى سبيل الله ، فعاشوا حياة الفقر والعفة . وأشار بولدريك الى أن الزوجات رافقن أزواجهن لأغراض الزواج أو الخدمة الدينية فقط . اما الشيء الذى اختلف مع نمط الحياة فى الأديرة ، فهو الافتقار الى وجود قائد أو تسلسل قيادى واضح معظم الوقت . بيد ان روبرت ، وجيبير ، وبولدريك استفادوا من هذا الى أبعد حد ممكن ، لأن هذا الوضع مكنهم من التأكيد على ضرورة الاتحاد والاخوة حتى يشتد أزر الصليبيين ويوحدوا كلمتهم . « وبدون ملك وبدون أمير وبالتقوى وحدها استطاعوا الوصول الى طريق خلاصهم » . فلم يكن حبهم لله هو الذى يحركهم فحسب ، وانما امتد حبهم ليشمل اخوانهم المسيحيين ، وبذلك يكونون قد نفذوا وصية المسيح حرفيا والخاصة بأن يضحي المرء بحياته من أجل اخوانه فى الدين .

ولا يوجد وصف أكثر وضوحا من كتابة كل من جيبير ، وروبرت ، وبولدريك عن الاستشهاد لقوم كانوا دنيويين وسلوكوا سلوكا شبيها بسلوك الديريين . وذكرت من قبل كيف ساد الاعتقاد بين الصليبيين بأن موتاهم هم فى عداد الشهداء عندما بدأت انتصاراتهم تلوح فى الأفق . ولكن

فكرة الاستشهاد التي تناولتها دوايات شهود العيان ، كانت فكرة فجأة لم تكتمل ، وكان على روبرت وجيبير وبولدريك وضع الأسس اللاهوتية الراسخة لهذه الفكرة وذلك بربطها بالمحبة المسيحية . وكان الاستشهاد في نظرهم تعبيراً عن حب الصليبيين لله ولاخوانهم . وكان الاستشهاد عملاً اختيارياً يصحون خلاله بالحياة الدنيوية مقابل حصولهم على الحياة الأبدية . وأكد جيبير على حقيقة أن العلمانيين هم الذين نالوا الشهادة . وخصص فقرة كاملة في كتابه عن فارس يدعى متى كان ضمن جيش بطرس الباسك وقتله المسلمون لرفضه اعتناق الاسلام بعد أن أسروه في آسيا الصغرى . وكان متى صديقاً له ، وكان والده متى يدير اقطاعاً في اقطاعات أسرته ثم حلف متى والده في ادارة هذه الاقطاعة . وخرج جيبير عما هو مألوف في الكتابة وتحدث عن دماثة أخلاق متى . وذكر أنه كان نبيل المولد وفارساً صالحاً ، فهو لم ينزلق الى نزق الفسوق والطيش ، كما هو الحال مع معظم الفرسان . وفي القسطنطينية وبالعصر الامبراطوري كان متى مشهوراً بالحرص الشديد الذي أبداه بشأن الطقوس الدينية المتعلقة بأجراءات الحج الى بيت المقدس . وكان متى مداوماً على الصلاة حتى بدت حياته وكأنها حياة أسقف أكثر من مجرد حياة فارس . وكان ورعاً ، ويقدم الصدقات ، ويتصرف كالقديسين ، ومن ثم استحق اكليل الشهادة الذي لم يكن هناك شيء خيراً منه . وضرب جيبير مثلاً بحياة متى وطريقة موته ليوضح فكرة مهمة بالنسبة اليه . وهي أن شهداء الحرب الصليبية لم يكونوا من القساوسة فحسب أو من المثقفين وانما من المحاربين الذين كان بعضهم من عامة الناس . ولم يكن ثمة أمل من قبل في أن يكون هؤلاء العامة

شهودا على ايمانهم . فجاءت الحروب الصليبية لتوفر لهم هذا الأمل . وكانت السيرة الذاتية التي كتبها جيبير عن حياة متى خير دليل على ما يمكن أن يفعله رجل من العامة لنيل الخلاص .

وكانت القصة التي رواها روبرت وجيبير وبولدريك والخاصة باظهار قوة الله في الحروب الصليبية التي خاضت غمارها الصفوة المختارة من الفرسان الفرنسيين العلمانيين الذين انتهجوا نوعا من الحياة الديرية المؤقتة في جيش كان أشبه بالدير في جميع نواحيه ، ما حلا النواحي الديمقراطية والحياة اليومية ، هي قصة مثالية . ولم يعض الكتاب الثلاثة النظر عن النواحي السلبية للحملة الصليبية ، ولكنهم لم يستقصوا في ابرار هذه النواحي . ومع ذلك ، فالصورة التي رسموها ظلت معبرة عن الحرب الصليبية على نحو مميز حتى وان كانت حربا صليبية يغلب عليها الطابع اللاهوتي . ولم تكن أية فكرة قدموها جديدة تماما ، نظرا لأن كل الأفكار التي ترددت قد وردت في مصادر أخرى مثل خطابات شهود العيان وكتاباتهم التاريخية ، غير أن الآخرين قدموا في أغلب الأحوال أفكارا بدائية وساذجة في حين صاغ كتابنا الثلاثة هذه الأفكار بأسلوب متطور ومترابط ، مما جعلها تلقى قبول رجال الدين . ثم أعلنت الكنيسة عن قيام الحملة الصليبية ودعت لها ، ولكنها لم تقم بتفسير الولاء الصادق الذي أظهره عامة الناس تجاه هذه الحملة بعبارات دينية . وصاغ روبرت ، وجيبير ، وبولدريك الأفكار المتاحة لديهم في قالب لاهوتي وشعبي .

الغاتمة

كانت دعوة البابا أوربان الثانى الى الفرسان العلمانيين فى ١٠٩٥ - ١٠٩٦ م ذروة الحركة الكنسية تجاه العلمانيين التى كانت قد بدأت فى أوائل القرن الحادى عشر - وباعتبار أوربان الثانى سليل عائلة صغيرة تنتمى الى الطبقة النبيلة فى اقليم شامبانيا ، وبصفته أحد الرهبان الكلونيين ، فقد عمل على تنشيط التحالف بين الكرسى الهنابوى والشعب الفرنسى الذى ظل فى حالة خمول لما يزيد على مائتى عام . وقام أوربان الثانى بدعوة الفرسان الفرنسيين للمشاركة فى مغامرة أطلق عليها رحلة الحج ، والغريب فى ذلك أنها كانت موجهة بكل صراحة للشباب الأقوياء ، وفى الوقت نفسه تضمنت الدعوة شن حرب لتحقيق هدفين ، وهما فك القيود المفروضة على اخوانهم النصارى فى الشرق الذين ترتبط مصالحهم بمصالح اخوانهم فى العالم المسيحى ، والعمل على الاستيلاء على بيت المقدس . وتبع عادة تقليدية بين المصلحين وذلك بالاشارة الى الحرب الصليبية على أنها حرب المسيح ذاته ، ويجب أن تدور رحاها وفقا لارادة الله ومشيئته . وساوى البابا أوربان بين الانضمام الى الحرب الصليبية وبين محبة الله والاخوة فى الانسانية ، على أن تكون أفعال المشاركين مطابقة لوصايا المسيح الداعية الى

حمل الصليب ، واتباعه بعد ترك الأسرة والولد والأموال * وكان على الصليبيين القادرين أن يقسموا قسم الولاء للحملة الصليبية ، وكان هذا القسم شبيهاً بالقسم الذى اداه الحجاج من قبل * ونظراً لأن أوربان الثانى كان مدركاً تماماً لطول المدة التى ستستغرقها الحملة والمشاق التى ستنتوى عليها ، فإنه اعتبر تلك الحملة عملاً تكفيرياً مرهقاً حتى يتمكن الصليبي من الحصول على رضا الله ، وهو عمل يفوق أية عقوبة يمكن أن ينزلها الله بالصليبيين لغفران ذنوبهم * ولم يكن ثمة شىء جديد أضافه أوربان الثانى الى الأفكار السائدة آنذاك ، فقد كانت هذه الأفكار متداولة فى دوائر الإصلاح فى إيطاليا ، ولولا النجاح الباهر الذى حققته دعوته للحرب الصليبية لاعتبرنا أن ما بذله من جهد للدعوة للحرب الصليبية كان مجرد مثال آخر من أمثلة المغالاة فى الكلام الذى حظى بتأييد المصلحين من رجال الدين فى عصره *

بيد أن جهود البابا أوربان الثانى الخاصة بالدعوة للحرب الصليبية حققت نتيجتين مهمتين * النتيجة الأولى هى أن النصارى فى الغرب استجابوا لتلك الدعوة بحماسة شديدة * ومما لا شك فيه أن أولئك الذين انضموا للحرب الصليبية ، وكذلك الأسرى التى قدمت المساعدات المالية لهم ، كانوا جميعاً مدفوعين بدافع المثالية * على أن التعليل الوحيد الذى يفسر حماسة النصارى فى الغرب لدعوة البابا أوربان هو أن دعوته كانت بمثابة تشجيع لمطامع العامة المتزايدة ، كما أن اليد التى مدتها الكنيسة بمثابة تشجيع لمطامع العامة قد وجدت من يمسك بها * وبالطبع لا يعنى ذلك أن العسامة

كانوا يفكرون مثلما يفكر الباطل ، برغم أنه قد انحدر من نفس الخلفية ، وكان هناك مثال مبكر يدل على انفصال الأفكار ، وافصح هذا المثال عن نفسه في صورة المذابح المروعة التي اقترفها الصليبيون ضد اليهود ، بعد أن اعتقد الكثير من الصليبيين بأن واجبهم يفرض عليهم ضرورة الثأر من اليهود . ونظرا لأن العامة دعوا لمساعدة اخوانهم المضطهدين ، ولتحرير ارض اباهم وسيدهم ، فقد فكروا - كما كان عهدهم دائما - بالعقلية الاقطاعية والعصبية القبلية ، فسالت دماء العداوة ، ولم يكن من السهل عليهم التمييز بين « الشعوب » التي وصموها جميعا بأنها ، « أعداء المسيح » .

أما النتيجة الثانية فكانت الحرب الصليبية ذاتها والتجارب الدامية التي مر بها الصليبيون ، مثل معاناتهم ، وخوفهم وحنينهم للوطن والأسرة ، وحالة المهانة والاذلال التي عانى منها الفرسان الذين فقدوا خيولهم وتحولوا الى حالة الفقر المدقع ، وتزايدت حدة المشاعر في جيش يتدثر برداء القوة الخارقة للطبيعة المتمثلة في الرؤى ، والاشارات السماوية ، وظهور الأطياف . ويحيا في جو تسوده انطقوس الدينية التي كان يمارسها الحجاج . وليست مفاجأة ان الصليبيين كانوا مندهشين أو أنهم أصبحوا مقتنعين بأن العملية العسكرية التي قاموا بها هي حرب الله ، وأنهم يسرون وفقا لقدرته الالهية ، وأنه هو الذي اختارهم ، وان قتلهم في عداد الشهداء . وكان طبيعيا بالنسبة لهم ان يربطوا كل ما حدث لهم بالكتاب المقدس ، وبالمحن والانتصارات التي عاشها بنو اسرائيل . بيد أن معظم رجال الدين الذين صاحبوا الحملة الصليبية الأولى لم يكونوا على

مستوى عال أو مقدرة عقلية فائقة ، فكانت المحصلة النهائية مخجلة ، وساذجة ، كما تدل على ذلك روايات شهود العيان .

تمرضت رسالة أوربان الثانى للتحريف والتبسيط .
لتصبح فى مستوى العامة ، كما تمرضت أيضا للتوضيح الى حد كبير ، وحدث ذلك بعد الصدمة التى تعرض لها الصليبيون اثر الحرب ، ولكن النتيجة كانت قاسية ، اذ لم يستطع رجال الدين الاستفادة من هذه الرسالة ، فقد كانت هناك حاجة ماسة الى اعادة صياغتها لاهوتيا ، ولا سيما وأن معظم رجال الدين كانوا متحفزين فى أفكارهم المتعلقة بالحاجة الى استخدام العنف ، أكثر من المصلحين المتطرفين .
ويعود الفضل الى الكتاب الذين كتبوا بعد الحملة الصليبية الأولى ، وبخاصة روبرت الراهب ، وجيبير ، وبولدريك ، الذين عملوا على تضيق الفجوة التى كانت تفصل بين علماء اللاهوت وعامة الشعب ، برغم أنهم لم يكن لديهم أمل فى تقريب الفجوة الشاسعة التى كانت تفصل بينهما . ووضع كل من روبرت ، وجيبير ، وبولدريك الطليعة المعجزة للحرب الصليبية فى اطار التاريخ الذى تدخلت العناية الالهية فى حوادثه ، واعتبروا الجيش الصليبي كما لو كان ديرا كبيرا متنقلا ، واعتبروا الصليبيين كما لو كانوا قد نذروا أنفسهم ليكونوا رهبانا بصفة مؤقتة واختاروا - بمحض ارادتهم - التغرب عن أوطانهم من أجل محبة الله ومحبة اخوانهم النصارى ، وارتبطوا برباط الاخوة مع الآخرين ، وساروا فى الطريق الذى قد يؤدى الى الاستشهاد . وجعلوا من يقرأ لهم يشعر بأن أهداف المصلحين الكنسيين والرغبة فى نشر القيم الديرية خارج العالم المسيحى ، لا بد أنها بدت ممكنة التحقيق فى نهاية المطاف .

الخاتمة

واذا كان روبرت ، وجيبير ، وبولدريك مخطئين ، فقد تركوا وراءهم نموذجاً للفكر استمداد منه الصليبيون ، ولكن لا بد أنه بقى فترة طويلة من الزمن * ولكن الانطباع الذى خرجت به هو أنه ، بالرغم من أن الدعوة للحملة الصليبية الثانية ، وكذلك الاقبال على الاشتراك فى هذه الحملة ، قد اتسما بطابع القيم الديرية - وهذا فى حد ذاته لا يدعو للدهشة حين يدرك المرء الدور الرياوى الذى قام به رجال عظام مثل البابا يوجينيوس الثالث Eugenius III ، والقديس برنارد St Bernard - فان الحملات الصليبية ، كانت قد بدأت تتخلى عن هذه القيم الديرية منذ عام ١٢٠٠م ، وقد يرجع ذلك الى أن دور الفرد من العامة ، قد بدأ يحظى بالاهمية مع بداية القرن الثانى عشر ، أو قد يرجع الى وضع النظام العسكرى الذى كان يجمع بين الصفوة من رجال الدين والعسكريين ، مما جعل القيم الديرية تنأى بنفسها بعيداً ، فتبتعد عن قيم العامة من الصليبيين - هذا مجرد انطباع خرجت به كما قلت * ولن أستطيع أن أقطع الشك باليقين الا بعد التحرى واستقصاء الأمر * ولكن أيا كانت المحصلة ، فلا شئ يمكن أن ينال من الانجاز الفكرى لأولئك الكتاب الثلاثة ، الذين كانوا خير من مثل آخر حيل اشتهر باعلاء القيم الديرية والثقافية *

كشاف أيجلدی

(أ)

الأدوميون : ٢٤٢	أبلميا : ١٥١
الأديرة : ٢٩ ، ١٦	أبت ، أسقف : ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٧٦ .
الأديرة الكارولنجية : ٣٠	١٨٧
أديلا الانجليزية : ٢١٧	أبرو ، نهر : ٤٣
الأراضي المقدسة : ٢٣٠	أبليس : ٢٩
أربين البورجي : ٢٤٠	أبوليا : ١٧٤
آرثي : ٢٠٩	أبماخوس ، قديس : ١٧٤
أردن ، كنيسة : ١٨٠	الابيني ، هيو : ٧١
أردمان ، كارل : ٩	الأتراك : ٣٤ ، ٤٤ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٤٢ .
الأردن ، نهر : ٤٦ ، ١٥٨ ، ١٨٠	١٥٩ ، ١٨٢ ، ٢٠١ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ .
الأرض المقدسة : ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ١٣٦ ،	٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١
١٥٠ ، ٢٤٠	الأتراك السلاجقة : ١١٠
أرض الميعاد : ١٦٩ ، ١١٨ ، ١٩١ ، ٢٠٣ ،	٢٢٧
٢٥٩	الأتار المقدسة : ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٨١ ،
أرضروم ، موقعة : ١١٠ ، ١٥٥	١٩٦ ، ٢١٣ ، ٢٤٨ ، ٢٦٣
آزل : ١٣٥	أجانا ، القديسة : ١٨٧ ، ١٨٩
أركبولد : ١٨	أجنس ، امبراطورة : ٢٣
الأزمن : ١١٨	الاحتفال الديني ، قداس : ١٧٦
أرلو ، نهر : ٣٧	أدا ابولونية ، الكونتيسة : ٨٩
أرلوف الهديشي : ٨٠	أدالة : ١١٠
أرنولد الأردني : ١٨٠ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣	أديرو الكسمبورجي : ١٥٢
أرنولف الشوكي : ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ،	آدم : ٢٣٠
١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٧١ ، ١٧٦ ، ١٧٩ ،	أدهيمار اللوبوي : ١٥ ، ٣٦ ، ٧٨ ، ١٠٩ ،
١٨٠ ، ٢١٢	١١٢ ، ١١٤ ، ١٢١ ، ١٣٦ ، ١٣٢ ، ١٣٩ ،
أرنولف المارتيرالوي : ١٥١	١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ،
أريانو ، أسقف : ١٤٧	١٦٣ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ،
أريجل : ١١٠	١٧٨ ، ٢٠٧ ، ٢١١
الأسقفية : ١٥ ، ٧٧ ، ١٠٠ ، ١٦١	الأنواق : ١٤
أسياليا : ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٣٤ ، ٤٤ ،	
٦١ ، ٩٩ ، ١٠٧ ، ١١٨ ، ٢٣٦ ، ٢٤١	

الحملة الصليبية الاولى

- استانولوف الفيرنساكي : ٨٧
استيبورجا ، مدينة : ٢٢٥
الاستشهاد : ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٦
اسرائيل : ١٠٠ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ٢٥٤ ،
٢٥٥ ، ٢٥٩ ، ٢٦٥ ، ٢٧٥
الاسرائيليون : ١٦٩
اسقف لوبوى : ٢٣٣
اسقف ليح : ٨٥
الاسكندر : ١٤٨
اسكندر الثانى ، البابا : ١٨ ، ١٠٧ ، ١٠٨
الاسلام : ٩٤ ، ٢٠٧ ، ٢٧١
اسواق النخاسة : ١٩٨ ، ٢٠٠
اسيا : ٤٤ ، ٩٤ ، ٢٠١
اسيا الصغرى : ٢٢ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٦٢ ، ٨٢ ،
١١٠ ، ١١٦ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٤٥ ، ١٧٠ ،
١٨٠ ، ١٨٤ ، ١٨٩ ، ١٩٧ ، ٢٠٣ ، ٢١٠ ،
٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٦٥
اشارد اليسانتى : ٢١٩
اشارد المومريل : ٧٨
اشعيا ، نبى : ٢٥٧
اصل فكرة الحروب الصليبية ، كتاب : ٩
الاصلاح الكنسى : ١٧
اصلاح الكنيسة ، حركة : ١٦
اعداء الصليب : ٥٢
الأعمال ، كتاب : ٤٧ ، ١١٥
اعمال الفرنجة ، كتاب : ١٤٥ ، ٢٤٧
الاغريق : ١٥٨
افريقيا : ٢٢٩ ، ٢٥٨
اقشهر : ١١٠
الاقطاعيون : ٩٢ ، ١٤٣ ، ٢٣٣
القليم شامانيا : ٢٧٣
الاقمين : ٢٦٠
اكهارد الأوداوى ، الأب : ٦٨ ، ٧٦ ، ٢٣٨ ،
٢٤٠
اكتانيا : ٢٢٨ ، ٢٣٢
الآلب ، جبال : ٢٢٥
البرت الاخنى : ١٠٢ ، ٢٢٤ ، ٢٣٧
اللائام الكنسى : ٢٠
الكسيوس ، امبراطور : ٣٤ ، ١١٠ ، ١١١ ،
١٢٠ ، ١٣٧ ، ١٤٣ ، ٢٠٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ،
٢٤٩ ، ٢٦١
اللائان : ٩٤ ، ١٤١ ، ٢٣٨
المانيا : ١٨ ، ٢٦ ، ٣٢ ، ٤٠ ، ٤٦ ، ٦١ ،
٦٧ ، ٦٨ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٥ ،
١٦٠ ، ٢٠٢ ، ٢٢٨
الن : ٨٦
اليه : ١٣١
الامارات الصليبية : ٧٧
الاماكن المقدسة : ١٠ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٤٢ ،
١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٧١ ، ٢٠٢ ، ٢١٥ ، ٢٢٢ ،
٢٣٥ ، ٢٦٣
اماند القديس : ٢٨
الامبراطور البيزنطى : ١١٢ ، ١٩٧ ، ٢٣٩
الامبراطورية البيزنطية : ٣٥ ، ٤٥ ، ١٣١ ،
١٧٤ ، ٢٤٨
الامبراطورية الرومانية : ١٦
الامبراطورية الرومانية المسيحية : ٢٦٢
الامبراطورية الكارولنجية : ١٣
امبرنيل ، قرية : ٧٤
امبروز ، القديس : ٧٦ ، ٢٣٦
امبواز : ٢١٨ ، ٢١٩
امبواز ، قلعة : ٨٩
امبورياس : ٤٣ ، ٦٨
امراء الاقطاع : ٢٠
اميان : ٩٩
اميتس : ٩٨
اميتش اللينينجنى ، كونت : ٦٧ ، ٦٨ ، ٩٥ ،
٩٦ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٤٤ ، ١٥٢
اميوم : ٩٩
الانى : ١٤٧
اللاجيل الأربعة القانونية : ٦٥
اللائسول : ١٢١
انجليولك : ٥١
الجلترا : ٢٦ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٥ ، ٩٥ ، ٩٦ ،
١٥١
انجورالد : ٢١٢

الحملة الصليبية الاولى

اورانج ، أسقف . ١٤٧	الأنجيويون . ١٣٣
اوربا . ٣٠ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ،	أنجي . ٣٤ ، ٣٦
٥٠ ، ٦١ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٩٥ ،	الأنجيل . ٢٥٨
٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١٨ ، ١١٩ ،	البحر . ٥٤ ، ٥٥ ، ٢٣٤
١٣٣ ، ١٣٩ ، ١٤٦ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ،	ندرو ، القديس . ١١١ ، ١٢٧ ، ١٧٥ ،
١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ،	١٧٦ ، ١٨٧ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ،
٢٠١ ، ٢١٧ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ،	الأنديس . ٤٤ ، ٦٠
٢٤١ ، ٢٥١ ، ٢٦٠ ، ٢٦١	السيلم ، قديس . ٢٤٦
أوربان الثاني ، البابا . ١٠ ، ١١ ، ١٢ ،	السيلم الريبونتي . ١١٤ ، ١٢٦ ، ١٣٤ ،
١٣ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ،	١٤١ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ،
٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ،	السيلم الكاتربراوي . ١١٤ ، ١٢٦ ، ١٣٤ ،
٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ،	١٤١ ، ١٤٥ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ،
٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ،	اشنان القديس . ٢٨
٦٣ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٠ ،	الشن ، دير . ٢٢٣
١٤٠ ، ١٦٢ ، ١٧٠ ، ١٨٢ ، ١٩٥ ، ٢٠٢ ،	الطاكية : ٤٥ ، ٥٠ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٩٩ ، ١٠٦ ،
٢٠٥ ، ٢١٠ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ ،	١١١ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٢١ ،
٢٤٢ ، ٢٤٥ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٧ ، ٢٧٣ ،	١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ،
٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٧٦	١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ،
الأوريون . ١١ ، ٢٤٩	١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ،
الأوريون الشماليون : ٢٠٦	١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ،
أورجل كوت . ٤٣	١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ،
أوردريك الليتالي . ٧٩	١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٨٦ ،
أوردريك فيتاليس ، مؤرخ . ٥٩	١٩٠ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧ ،
أوري . ١٣٥	٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٣٧ ،
أوستا : ٨٦	٢٣٩ ، ٢٥٢
أوستاس البويوني : ٢١ ، ٨٧	الطاكية ، النشودة . ١٧٢ ، ٢٠٨ ، ٢٤٤
أوغسطين ، القديس : ٣٩ ، ٥٧ ، ٢٤٢	الطاكية ، حصار . ١٣٢
أوغسطين الهبوي ، القديس . ١٩	الطاكية ، كاتدرائية . ١٦١
ايدا الهاينوليتة : ٢٢٥	الطاكية ، معركة . ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٩ ،
الايرل ، قصر : ٢١	١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٦٥ ، ١٧١ ،
ايريجيل : ٢٣٨	١٧٢ ، ١٩١ ، ٢١٠
ايلوراد الذي . ١٤٨ ، ١٨٤	القرة . ٢٣٦ ، ٢٣٧
ايطاليا : ١٨ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٣٧ ،	أنوسنت الثاني ، البابا : ١٠
٤٠ ، ٦١ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٨٣ ، ١٠٤ ، ١١٥ ،	الآوبسر ، بطرس : ١٩٧
١٣٤ ، ١٣٩ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ٢٠٧ ، ٢٢٢ ،	أودار ، فارس : ٤٥
٢٢٨ ، ٢٤٧ ، ٢٦٥ ، ٢٧٤	أودو ، دوق . ٢٣٢
الايطاليون : ٩٤ ، ٢٣٨	أودو البورجندى : ٢٢٩ ، ٢٣٣
الايطاليون الحجاج . ٩٤	اورانج . ٥٣ ، ١٤٧

الحملة الصليبية الاولى

برنجيه ، كونت : ٤٢	ايغو الشارترى : ٢١ ، ٢٢
بروفنسال : ١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٦٠ ، ١٦٥ ، ١٨٤	ايقونة المسيح : ١٧٣
بروفنسال ، فرسان : ١٣١	ايليا : ٥٧
البروفنسالية : ١٧٢	ايمان ، القديس : ١٣٥
بريتاني : ٢٤٧	اينجور السانت بولي : ٢٠٧
البريتونيون : ١٤٣	ايوستاس : ٢١
بريطانيا : ٢٠٩	
الميسفور ، يوحنا : ٩٤ ، ١١٠ ، ١٢٠ ، ١٣٩ ، ١٥٤ ، ٢٣٥	(ب)
بسكال الثاني ، البابا : ٥٠ ، ١٨٣ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٤٠	البابا : ١٨ ، ٧٢ ، ٧٧ ، ٩٣ ، ١٦١ ، ٢٧٥
بطرس ، القديس : ١١ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٤٢ ، ٧٤ ، ١٦٢ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ٢٢٧	باتاريا : ١٨
بطرس الأوبى : ٨٢	بارثولومى ، بطرس : ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٣٥ ، ١٤٩ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٥ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٩٢ ، ٢١١
بطرس بستركيوس : ٧٥	البارونات : ٢١
بطرس البلنسى : ١٥٠	بارى ، مدينة : ٦٣
بطرس التودبوري : ١١٤ ، ١٥١ ، ١٧١	بارى لوموتيال ، دير : ٧٣
بطرس الرسول : ١٩٠	ياديس : ٦٥
بطرس الناسك : ٦٤ ، ٦٧ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٢٨ ، ١٣٣ ، ١٤١ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٦٦ ، ٢٢٨ ، ٢٧١	ياسى : ١٨٤
البيتريرك اليونانى : ١٨٦	الكافاريون : ٢٣٨
بغداد : ٢٣٧	يانوهالما : ٩٥
بغريل ، باين : ٢٢٣	بايليت ، ريموند : ١٤٥ ، ٢٠٠
بلاين هيو التويجيني ، كونت : ٩٨	البحر الاحمر : ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩
بلاد الغال : ٦٠ ، ٧٦	البرابرة : ٢٦٠
بلاد الفرنجة : ٦١	براج : ٩٧ ، ١٠٣
بلدوين البولوى : ٧٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٩٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٥ ، ١٢٢ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٤٨ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ٢٠٢	برتران المونكونت : ٧٤
بلدوين ، كونت : ٢٢٥	برتراند : ٧٥ ، ٨٩ ، ١٨٤
البلغار : ٤٥	برتراند الكياسى : ١٥٢
البلقان : ٨٣ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١١٩ ، ٢١٧ ، ٢٣٨	برثولوميو ، بطرس : ١٤٩
بلوا : ١٠٩ ، ٢١٨	برجوندى ، مقاطعة : ٢٤
بليز ، قديس : ١٦٩	برشلونة : ٤١ ، ٤٢
	برنار الكليرفوى ، القديس : ١٠
	برنارد ، قديس : ٢٧٧
	برنارد البيزياوى ، الفايكولت : ٢٣١
	برنارد الطليطل : ٤٤
	برنارد فردان : ٢٣٠
	برنجيه ، اسقف : ٤٢

الحملة الصليبية الاولى

٦٢ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٨١ ،
٨٢ ، ٨٤ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٩ ، ١٠٥ ،
١٠٦ ، ١٠٨ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١١٩ ،
١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٤٠ ،
١٤١ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ،
١٥٧ ، ١٦٣ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ،
١٧٥ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٩٣ ،
١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ،
٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٣ ،
٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ،
٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ،
٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٥ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ،
٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ،
٢٦٤ ، ٢٧١ ، ٢٧٣

بيت المقدس السماوية : ٢٦٤

بيت المقدس البطريرك اليوناني : ١٨٤

بيت المقدس ، بطريرك : ١٦٨

بيت المقدس ، كنيسة : ٤٠

بيتر : ٨٨

بيجود ، ايلجر : ١٧٥ ، ٢٢٣

بيروت : ١١٣

بيزا ، برج : ٥٤ ، ٦٣

بيزالو : ٤٣

بيزلطة : ٩٩

بيزليه : ٢٣٣

بيلاكس : ٩٢

بينزو الالبابو : ٤٦

(ت)

التابعون : ٢٠

تاج الاستشهاد : ١٨٤

الترنيمات الجنائزية : ٩٥

تروسو ، جى : ٢١٧

تريز : ٩٧ ، ١٠٠ ، ١٧٢

التسمم المهازى : ٦٩

تثسشر ، مقاطعة : ٢١

بليك : ١١

البنطانية : ٢٢٤

بنو اسرائيل : ٤٦

بواتيه : ٢٢٨ ، ٢٤٨

بورج : ٢٣٣ ، ٢٤٠

بورجولدى السفلى : ١٨٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٩

بوشارد ، هيو : ٧٥ ، ١٧٤

بولالدين : ٩٨

بولندريك البورجى : ١٢ ، ٩٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ،

٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ،

٢٦٤ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ،

٢٧٦ ، ٢٧٧

بولدوين الاب : ١٥٢

بولدوين الجوينى : ٧٢

بولس ، الرسول : ١٣٥

بولس ، القديس : ٥٧

بولونيا : ٥٣ ، ٦٣

بولز : ٨٨

بولفيلوس المبارك : ١٥٠

بوليتو السوترياو : ١٨

بوليل ، هيو : ٨٢

بونين ، ستيفن : ٨٨

بوهيموند التارانتوى : ٨٤ ، ٨٦ ، ١٠٩ ،

١١٢ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٣٢ ، ١٣٦ ،

١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ،

١٤٧ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ٢٠٣ ، ٢١٥ ، ٢٣٧ ،

٢٤٨ ، ٢٥٢ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٥

البوهيميون : ٩٥

بويشتر : ٦١ ، ١٠٧

بويون ، قلعة : ٨٥

بيا : ٣٧

بياتشنتسا : ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٨

البيارنى ، جاستون : ١٤٩

بيبان ، ملك : ٢٦٥

بيت لحم : ١١٣ ، ١٣٣

بيت المقدس : ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ،

٣٥ ، ٣٦ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ،

٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٩ ، ٦٠ ،

الحملة الصليبية الأولى

- التعاليم النصرانية : ٢٠١
التقييم الأبدى : ٢١
تل باشر : ١١٠ ، ١٢٩
تل ميثاس : ١٣١ ، ٢٠٠
تثكرد الثورماندى : ٧٠ ، ٧١ ، ٨٤ ، ١٠٥ ، ١١٠ ، ١١٣ ، ١٤٦ ، ١٥٤ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٧٧ ، ٢٢٢
التوراة : ١٩
توسكانيا : ١٨ ، ٢٣
التوغل الترسى : ٢٢
تول : ١٧ ، ١٤٧
تولوز : ٣٣ ، ١٠٩
تيتشينو : ٢٦٥
التيفويد : ١٣٦
تيولا وباين : ٨٨
تيودور : ٢١ ، ١٦٩
- (ث)
- الثالوث المقدس : ٧٤
ثوراس : ٢٣٤
تيكلا ، قديسة : ١٧٥
ثيمو الساكزبورجى : ٢٢٩ ، ٢٣٨
- (ج)
- جاستون البيرنى : ١٤٦
الجالية اليهودية : ١٩٩
جبرون : ٨٢
جراتيان ، القديس : ١٠
جروسا ، أوبرى : ٢٢٠
جريجورى الأول ، القديس : ٧٦
جريجورى السابع ، البابا : ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٦
جريمالدوس : ٢٢٠
جريندور الدوايوى : ١٠٦ ، ٢٤٢
جرينويل : ٥٣
الخطاف : ٨٥
- الجليل : ٨٢ ، ١٩٠
جماعة المسيح : ٢٦٩
جميبرج ، دير : ٤٥
الجنة : ٣٩
جنجرا : ٢٣٦
جند القديس بطرس : ٢٢
جند المسيح : ٣٠
جنوة : ٥٣ ، ٦٣ ، ١٢٢
جوادين : ١٣٨
جوانيسل النوجنتى : ١٠٢ ، ٢٤٩ ، ٣٥١
٢٦٢ ، ٢٦٧
جوتشوك : ٩٧
جوتوديج ، دير : ٨٥
جودفرى بوريل التامبى : ٩٨
جودفرى البولونى : ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤٤
جودفرى البويونى : ١١٢
جودفرى الشومونى : ٨٩
جودفرى المولموتى : ٢٠٩
جورج : ٢١ ، ١٦٩
جورج ، القديس : ١٥٩ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ٢٩١
١٩٢ ، ١٨٧ ، ٢٢٣
جورج ديبى : ٨١
جوكسون : ١١١ ، ١٣٢
جى السارسى : ٨٨
جى الشالونسيير ساونى ، كونت : ٧٣
جيبر النوجنتى : ١٢ ، ١٠٢ ، ٢٤٩ ، ٢٥٢
٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦١
٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧
جيرارد البوكى : ١٧٤
جيرولد : ٣١
الجيش البابوى : ١٧
الجيش الصليبي : ١٢ ، ١٧ ، ٥٠ ، ١٣٨
١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٣
الجيش اللومباردى : ٢٣٧
جيش المسلمين : ١٨١
الجيش المسيحي : ١٩١
الجيش المصرى : ٢٣٩
جيفرى : ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٢٤٠

العملة الصليبية الاولى

- جيل ، القديس : ٧٢ ، ١٣٥ ، ١٨٣ ، ١٨٥
 جيلبرت اليزيوى : ١٧٠
 جيلكرست : ١١
 جيلون ، دير : ٢٣٣
 جين ، القديس : ٨٩
 الجيوش الألمانية : ٢٣٥
 الجيوش البيزنطية : ٨٢
 الجيوش الصليبية : ٢٢٦
 الجيوش الفرنسية : ٢٣٤
 جيوش الفلاحين : ٧٠
 جيوفرى : ٢٣٣
 الحكومة اليونانية : ٢٦١
 العملة الصليبية الأولى : ٩ ، ١١ ، ١٢ ،
 ٢٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٦
 العملة الفرنسية : ١٨٩
 حنا المانتواوى : ١٨
 حنا ذهبى الفم ، قديس : ١٨٧
 الحياة الابدية : ٤٤
 الحياة الرهبانية : ٢٩
 الحياة العلمانية : ١٢
 حياة متى ، سيرة ذاتية : ٢٧٢
 حيفا : ٨٢

(خ)

- خراسان : ٢٣٦
 خسوف القمر : ١٧٠
 الخطايا : ٢٩
 الخليفة الفاطمى : ١٩٨
 الخليل : ١٣٣

(د)

- داود ، النبي : ٢٠٢
 دايمبرات البيزاوى : ١١٤ ، ١٩٧
 دايمبرات الريمونى : ٣٠٤
 الدراسات اللاهوتية : ٢٠ ، ٢١٦
 دزيريوس ، بطرس : ١٤٨ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ،
 ١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٩٢ ، ١٩٤
 دلينجن : ١٢٨
 دوريليم : ٢٦٠
 دوريليم ، معركة : ٢٥٢ ، ٢٥٣
 دول : ٢٤٧
 ديتمار ، الكونت : ١٠٥
 الدير الاوغسطينى : ٢٢٣
 ديميتريوس ، قديس : ٢١ ، ١١٤ ، ١١٥ ،
 ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ،
 ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٨ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٩ ،

(ح)

- حبرون : ١٣٣
 الحبشة : ٢٥٨
 الحج : ١٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ،
 ٥٢ ، ١٦٤ ، ٢٠٢ ، ٢١٥ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ،
 ٢٧١ ، ٢٧٣
 الحجاج : ٥١
 الحجاج الامان : ٤٩
 الحجاج النصارى : ٢٦١
 حرب الثار : ٢٠٦
 الحرب الكارولنجية : ٤١
 الحرب المقدسة : ١٠ ، ١١٢ ، ١٣٥ ، ١٥٦ ،
 ١٧٥ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ٢٠٧ ، ٢١١ ، ٢٣٦ ،
 ٢٦٠ ، ٢٦٨
 حركة السلام الالهى : ٤٨
 الحرمان الكنسى : ٤٩ ، ٥٠ ، ٨٠ ، ٢٢٧
 الحروب الاسبالية : ١٣٣
 الحروب الصليبية : ٩ ، ١٠ ، ٢٨
 الحصون : ١٤
 حطين ، معركة : ١٨١
 الحكام المسلمون : ١١٨
 حكم البابوات : ٣٩
 الحكم الوثنى : ١٩٧
 الحكومة البيزنطية : ٩٩ ، ٢٤٨

الحملة المبليلية الاولى

- ١٨٢ ، ١٨٧ ، ١٩١ ، ٢١٧ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، روبرت الشيزدوى ، قديس : ١٧١ ،
٢٣٥ ، ٢٣٩ ، روبرت اللاندري ، كولت : ١١٢ ، ١٢٢ ،
١٢٣ ، ١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ،
١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٥٩ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧٤ ،
١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٤٦ ،
روبرت النائب : ٨٨ ،
روبرت النورماندى : ٨٢ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ،
١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥١ ،
١٥٩ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٤٩ ،
٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٢ ،
٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ،
٢٧٢ ، ٢٧٧ ،
رولن ، كولت : ٩٨ ،
روج : ١٤٠ ،
روجر ، دوق : ١٧٤ ،
روجر ، كولت : ١٨ ، ٤٠ ،
روجر البورلغلي : ٢٠٨ ،
روجر الصقل : ١٣٩ ،
روجر الفوايدى ، كولت : ٤٥ ،
روجر الهينولى : ١٦١ ،
الروح القدس : ١٣٦ ، ١٥٢ ، ٢٠٥ ،
روسيان : ٤٣ ،
رولاند : ٢٠٣ ،
رولاند ، انشودة : ٢٠٣ ، ٢٠٩ ،
الروم : ١٠ ،
روما : ١٧ ، ٣٥ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٦٣ ، ١٩٠ ،
٢٢٦ ، ٢٦١ ،
الرومان : ١٧ ، ١٠٦ ،
رييمون : ٢٨ ،
ريجنبورج : ٩٧ ،
ريمز : ٥٠ ، ١٢٦ ، ١٣٤ ، ٢٠٧ ،
ريمولد : ١١٢ ، ١٣٥ ،
ريمولد الاجوليرى : ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٧ ،
١٥١ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٧٤ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ،
١٩٥ ، ٢١٢ ،
ريمود ، بوهيموندو : ١١٢ ،
ريمود السانت جيل : ٧١ ، ٧٢ ، ١٠٩ ،
١١٠ ، ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ،
- رؤساء الاديرة : ١٥ ،
رئيس اساقفة ليون : ٦٣٠ ،
رئيس اساقفة ريمز : ٢٨ ،
رالف البيوجنسى : ١٤٥ ، ٢١٩ ،
رالف الجيل : ٨٦ ،
رالف الكاينى : ٧٠ ، ٢٠٢ ،
الراهب الكلونى : ٣٩ ،
الراية البابوية : ١٧٠ ،
الراين : ٦٧ ، ٦٨ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ،
١٠٥ ،
الراين ، منطقة : ١٩٨ ،
الرج : ١٣٨ ،
رجال الدين : ١٣ ،
رجال الكنيسة : ١٦٠ ،
رجال الكهنوت : ١٥ ،
رجال اللاهوت : ١٢ ،
رسالة اورمان التاريخية : ١١ ،
الرقعة : ١٢٠ ، ١٢٨ ، ١٥٨ ، ١٨٦ ، ٢٠٣ ،
الرملة : ٨٢ ، ١١٣ ، ١٩٢ ،
الرملة واللد ، اسقف : ١٦١ ،
الرها : ٩٨ ، ٩٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١٢٤ ،
الرهبان : ٥٥ ،
الرهبان البندكتيين : ٢٤٢ ،
الرهبان الكلويون : ٢٧٣ ،
روان : ٩٦ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ٢٢٠ ،
روبرت ، انجرفتز : ٧٢ ،
روبرت ، دوق : ١٠٩ ،
روبرت ، قديس : ١٨٥ ،
روبرت ، كولت : ١٠٩ ، ٢١٨ ،
روبرت الراهب : ١٢ ، ١٩٩ ، ٢٦٦ ، ٢٧٦ ،
روبرت الريونى : ١٤٨ ،

الجملة المصطبة الاولى

- ستيفن البورجندي ٢٢٩
 ستيفن انيوليني ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٣
 سر دالة ٤٣
 سفر اشعيا ٢٥٦ ، ٢٥٧
 سفر الامثال : ٢٥٦
 سفر ايوب : ٢٥٦
 سفر التثنية : ٢٥٦
 سفر الخروج ٢٥٣
 سفر دانيال : ٢٥٨
 سفر زكريا : ٢٥٦ ، ٢٥٧
 سفر الزامير ٢٥٦
 سفوار ، قديس : ٢٢٣
 سكسونيا ، كوت : ١٨٣
 السلام الالهى ، حركة : ١٥ ، ١٩٢
 السلطات العلمانية : ٣٦
 السلطة الاثريكية ٧٨
 السلطة اللاتينية : ٧٨
 سمعان ، قديس ١٤٩ ، ١٧٢
 سمعان الترايرى ، قديس : ١٧٢
 السوابيون ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٨
 سورا : ٨٩
 سوريا : ٣٦ ، ٥٣ ، ٦٧ ، ٨٢ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١٧٠ ، ٢٤٩
 السوربون : ١١٨
 سولولا ١٤٨
 السوم ، نهر ٩٩
 السويدية : ١١٧ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤
 سيرميان ، القديس : ١٧٤
 سيجورد ، ملك : ٢٤٠
 السيدة الطراء ١٨٦ ، ٢١١
 سيرة تاريخ ، كتاب : ١١٥
 سيرة تالكرد ، كتاب ٢٠٢
 سيسيليا : ١٥١
 السيطرة الكنسية والعلمانية المحلية : ٣٩
 صيمون ١٨٤
 صيمون ، قديس : ١٨٤
 سينولا ، دير : ٢٤٥
 السيني ، بولو : ٢٤٨
- ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ،
 ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ،
 ١٥٧ ، ٢٦٢ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧٢ ، ١٧٦ ،
 ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ،
 ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ،
 ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢١١ ، ٢٣٥ ، ٢٣٩
 ريموند بيليه ليموزين ، لورد ١٣١ ، ١٤٥
 ريميحيوس ، قديس ٢٦٦
 رينولد بورشت ٨٩ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨
- (ز)
- زانتن ١٠٣
 زكريا ، البابا ٢٦٥
 الزيتون ، جبل ١٥٤ ، ١٥٧
- (س)
- الساكسون : ٩٥
 الساكسونيون ١٣٥
 ساكس ٩٨
 السامية ١٠٠
 سانت جبريه ، دير : ٢٤٦
 سانت جبل ، رهبان : ٧٢
 سانت ليونارد دو بوبل ٢٤٨
 ساستيان ٢١
 سبيير : ١٠٣
 ستراسبورج ، اساقفة ١٤٧
 ستيفن ، البابا ٢٦٥
 ستيفن ، كوت : ١٠٩
 ستيفن ، ملك ٥٥
 ستيفن البلسنى ١٥٦ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧
 ستيفن البلوى : ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٨ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٨٢ ، ٢١٧ ، ٢٢٤ ، ٢٣٩ ، ٢٣٥ ، ٢٢٧

الحملة الصليبية الأولى

(ش)

٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٥ ، ٢٦٨ ،
٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ،
صلبية : ١٨ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٠ ،
الصليب : ٢٠٦ ،
الصليب ، طريق : ٥٦ ،
الصليب الحقيقي : ١٥٥ ، ١٧٢ ، ١٨٠ ،
صهيون ، جبل : ٤٧ ، ٢٠٥

(ط)

طائفة القرائين ، مكتبة : ١٩٨ ،
الطاعون : ٧٧ ،
الطافور : ١٦٥ ،
طرابلس : ٢٣٩ ،
طرابلس ، أمير : ١٩٨ ،
طراقونة : ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٦٠ ،
طرسوس : ١١٠ ، ٢٣٩ ،
طرطوشة : ٢٣٩ ،
طليطلة ، مدينة : ٣٧ ، ٤١ ، ٤٥ ،
الطوائف الأندلسيون ، ملوك : ٤١

(ع)

العادات الديرية : ٢٦٧ ،
العالم الاسلامي : ٨٣ ،
العالم اللاهوتي : ٢٩ ،
العالم الوثني : ٣٠ ،
العبرانيون : ١٦٩ ،
العثمانيون : ٤٢ ،
العدراء مريم : ٧١ ، ١٨٩ ،
عسقلان : ١١٣ ، ٢٢١ ، ٢٥٢ ،
عسقلان ، معركة : ١٣٣ ، ١٥٦ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ،
العشور : ٨٩ ، ١٢٨ ،
عشور بوزاك : ١٥٢ ،
العصر الألفي السعيد : ٧٠ ، ٢٥٨ ،
العصر الكارولنجي : ١٥ ،
العصور الوسطى : ١٦ ، ٢٥ ، ١٨٩ ، ٢٤٢

شارتر : ٢٤٨ ،
شارل : ٦٨ ،
شارل ، ملك : ٢٦٥ ،
شارلمان : ٢٧ ، ٥٤ ، ٢٠٢ ،
ساسانيا ، القليم : ٣٢ ،
شبه الجزيرة الاسبانية : ٤١ ،
الشرق الأدنى : ٩٥ ،
شعب الفلاندر : ٦٣ ،
الشعب المسيحي : ٤٨ ،
الشعب اليهودي : ١٩ ،
شفابروكن : ٩٨ ،
الشهب : ٦٦ ،
الشهداء : ١٧ ، ٢٠٧ ، ٢٧٥ ،
شوتارد ، جيفري : ٨٩ ،
شيزلو فيكولت : ٢٣٤

(ص)

الصليبيون : ١٢ ، ١٦٤ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٧ ،
٤٩ ، ٥١ ، ٦٢ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٥ ،
٧٦ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٩٠ ،
٩١ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٤ ،
١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٧ ،
١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ،
١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ،
١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٤٧ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ،
١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ،
١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ،
١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ،
١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٩٠ ،
١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ،
١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ،
٢٠٦ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ،
٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤ ،
٢٣٨ ، ٢٤٢ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ،

الحملة الصليبية الأولى

(ق)

- فريديريك الزيمورنى : ٨٦ ، ٨٩ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ،
فسيل : ٩٧
الغلاندر ، اقليم : ١٠٩ ، ٢١٨
فلاى : ١٠٢ ، ٢٤٦
الفلسطينيون : ٢٤٢
فلسطين : ١٠ ، ٤٠ ، ٨١ ، ١٠٥ ، ١١٣ ،
١١٨ ، ١٢٥ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٨ ،
١٧٣ ، ١٩٠ ، ١٩٨ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٨ ،
٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١
الفلسفة : ٢٥١
الغلمنكيون : ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٨
فلورى ، دير : ٧٨
فوكمار : ٩٧
فوكوا التودينى : ٢١٨
فولشر الشارتري : ٨١ ، ٩٨ ، ١١٤ ، ١١٥ ،
١٤٤ ، ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٩٥ ، ٢٠٤ ، ٢٤٦
فولشر الفافرجى : ٨٧
فولفكر الكوفرنى : ٧٨ ، ٨٥
فولك ، الكولت : ٢١٩
فولك التجوى ، كولت : ٢١٨
فولك ريتشارد فتل : ٢٢٠
فولكمار ، كاهن : ٩٥
فولينو ، أسقف : ١٢٦ ، ١٥٠
فولينو ماريتراى : ١٤٧
الفولس السادس ، ملك : ٤١
فيتاليز ، اورديك : ٢٤٧
فيرتلبرج : ٩٨
فيژبرج : ٩٥
فيلبرت النورتورى : ٧٥
فيليب ، ملك : ٦٥
فيليب المونتجرى : ١٤٨
فيثست البوفى : ٢٤٧
- القانون الكنسى : ٢١ ، ٤٩ ، ١٠٢ ، ١٠٨ ،
١٩٦
القاهرة : ٢٤٠
قبر القديس جيهس : ٥٢
القبر المقدس : ٢٣ ، ٤٦ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٦٥ ،
١٠٦ ، ١٥٧ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ،
٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٦١ ، ٢٦٣
القبر المقدس ، كنيسة : ١٨٠
قبرص : ١١٧ ، ١٢٥
القدس : ٤٧
القديس الالهى المقدس ، مزامير : ١٩
القديس اندرو ، دير : ٢٢٥
القديس اندرو ، كنيسة : ١٧٤
القديس اوبين ، كنيسة : ٢٣٤
القديس اوين ، دير : ٢٢٠
القديس المخلص ، كنيسة : ١٣٥
القديس برتن ، دير : ٩٠
القديس بطرس الهلرشوزنى ، دير : ٨٩
القديس بطرس كاتدرائية : ١٥٤
القديس بيير الشارتري ، دير : ٧٣ ، ٨٩
القديس تروفيوس ، كاتدرائية : ١٣٥
القديس جرميه ، دير : ١٠٢
القديس جورج الرينى ، دير : ٧١ ، ٨٩
القديس حنا ، كنيسة : ١٧
القديس شفر ، دير : ٨٨
القديس شفر اللومونستياوى ، دير : ٧٥
القديس فثستت اللوماني ، دير : ٦٤ ، ٧٢ ،
٧٣ ، ٨٨
القديس فثستت الماكولى ، كاتدرائية : ٨٨
القديس فيكتور الماسيل ، دير : ٨٩
القديس فيث ، عيد : ١٩٣

الجملة الصليبية الاولى

الكرسى البابوى الرسولى : ١٨٩
 كسوف الشمس : ٦٦
 كلونى : ١٥٢
 كلونى ، دير . ٣٢ ، ٦٤ ، ٢٢٠ ، ٢٣١ ، ٢٤٠ ، ٢٤٣
 كلونى البرحولدى ، دير . ١٦ ، ٣٢ ، ٦٤
 كلرمون ، مجمع . ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٨ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨١ ، ١٣٩ ، ١٤٨ ، ١٦٢ ، ١٧١ ، ٢١٠ ، ٢٢٨ ، ٢٤٩ ، ٢٦٠ ، ٢٥٨
 الكنائس : ٢٥٥
 الكنائس الأبرشية : ١٦
 الكنائس الشرقية : ٥٤ ، ٤٠
 كنائس ، القديس . ٢٨
 الكنيسة الاسيوية : ٤٣
 الكنيسة الرسولية والرومانية المقدسة : ٥٥
 الكنيسة الشرقية : ٤٧ ، ٢٦٧
 الكنيسة المقدسة : ٥٤ ، ١٥٤ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٧
 الكهنة : ٥٥ ، ٦٦
 كوردا الثورينى : ٢١٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٨
 كورماس البراغى : ١٠٢
 كولدوين ، بولدوين . ١٤٣
 كولون : ٩٦
 كولوبيا : ١٠١ ، ١٠٣ ، ١١٩
 كوما : ١١١
 كومبوستيلا . ٥٢
 الكونتات : ١٤
 كونك . ١٣٥
 كيبيوج ، ديلجن . ٩٦ ، ٢٢٨
 كونون المولتجوى : ٨٦

القديس ياقولا . كنيسة : ٢٣٩
 القديسة ، كاتدرائية : ٨٧
 القديسة مريم ، كنيسة . ١٨٦
 القديسون الشرقيون : ١٩٠
 القديسون الغربيون : ١٩٠
 ثرار الحرمان الكنسى : ٣٣
 القساوسة : ٥٥
 القسطنطينية : ٣٤ ، ٤٦ ، ٩٤ ، ١٠٩ ، ١٢٠ ، ١٣٦ ، ١٥٦ ، ١٧٣ ، ١٧٦ ، ١٨٠ ، ٢١٧ ، ٢٢٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٨ ، ٢٦٢ ، ٢٧١
 القسطنطينية ، كنائس . ٣٥
 القسم المقدس . ١٤٣ ، ١٥٩
 لغالوليا : ٤٣
 قلج ارسلان : ٢٦٦
 القوط : ٤١
 قوبه . ١١٠ ، ١٢٢ ، ٢٣٧
 قيصريه : ١٧٣
 قيليقية : ١١٠ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٤٠
 القيم الديرية : ٢٧٦

(ك)

كادوان ، المسيح . ١٧٨
 كاربيل ، جولمير : ١٤١ ، ١٤٦
 كاليكستوس الثانى البابا : ٢٤١ ، ٢٤٥
 الكتاب المقدس . ١٧١ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ٢٥٨ ، ٢٧٥
 الكتب المقدسة : ١٠١
 كريوغا ، قائد اسلامى : ١١١ ، ١٣٣ ، ١٧١ ، ١٨٣ ، ١٩٨
 كرسى البابوية . ١٧ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٤٢

الحملة الصليبية الاولى

(ل)

ليون : ٤١ ، ٢٢٧
ليونارد ، قديس : ٢٤٨

(م)

ماتيلدا ، كونتيسة : ١٨ ، ٢٣
المارتنيرالوى ، ارنولف : ١٥١
المارلى ، توماس : ٩٨ ، ١٤٤ ، ٢٢٠
مارموتيه ، دير : ٨٩
مارى الاوتشى : ٨٧
المارى ، جيوجو : ٢١٩
ماريزانو ، اسقف : ١٧٩
ماكوليه ، مقاطعة : ٨١
مالابترا ، جيوفرى : ١٣٩
ماليزيه ، دير : ٦٤
ماناس : ٥٠
ماويل ، كنيسة : ٢٢٣
مايل البرياوى : ٢٣١
ماينتس ، القليم : ٦٨ ، ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٤
متر : ١٤٧ : ١٥٢
متيس : ٩٧
متيسارية : ١١١
المثل العليا الرهبانية : ١٦
المجاعة : ١٢٤ ، ١٥٨ ، ١٦٤
المجر : ٤٥ ، ٧٦ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ٢٠٣
مجلس ليموج : ١٥
المجموعة القانونية الكنسية : ١٠٧
المجموعة القانونية : ١٩
مدارس اللاهوت : ٢٥١
المدينة المقدسة : ٢٣٠
المذابح الكنسية : ٣٠

اللاتين : ٢٥٨

اللاتين ، اساقفة : ١٩١

اللاذقية : ١١٤ ، ١٦٧ ، ١٧٢

لاشيز ، بوستر : ٢٢٤

اللاهوتى ، حصن : ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٧

لامبرت الاراسى : ٦٤

اللاهوتيون : ٩٧

لبنان : ١١٢

اللد : ١٥٩ ، ٢٩٢

لوبوى ، كاتدرائية : ٧٠ ، ٧٢ ، ١٥٢

لودرون ، سيمون : ٢٢٣

لوديك ، جيرالد : ٨٨

اللورين : ١٧ ، ١٠٩

اللوريون : ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٤

لوقا : ١١٤

لوقا ، انجيل : ٢٥٦

لومان : ٨٨

اللومبارديون : ٢٢٦ ، ٢٣٥

اللومبارديون ، جيش : ٢٣٧

اللوهياكى ، ريو : ٢٢٣ ، ٢٢٤

لوهيك : ١٣٥

لويس التقى : ٥٤

ليج : ٢٢٤

ليج ، اسقف : ٧٣٠

ليزوا : ٢١٨

ليكى : ٧٢

الليل ، جربو : ١٧٤

ليموج : ١٥ ، ٣٤ ، ٢٢٨

ليو التاسع ، البابا : ١٧

ليودجار : ٨٨

الحملة الصليبية الاولى

مصر ٤٧ ، ١٧٣ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٩ ، ٢٥٩
 المصريون ٢٥٣
 مصلحو الكنيسة ١١٩
 المصلحون ١٧
 المصلحون الدينيون ٢٨
 المصلحون العلمانيون ٢٤
 المصيص ١١٠ ، ١٢٤
 المعابد اليهودية : ٩٦ ، ١٠١
 المعتقدات النصرانية ٢٥٥
 مرة النعمان ١١٢ ، ١٣٥ ، ١٣١ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٦٦ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٩٣ ، ٢٠٠
 العمودة ١٠٢
 المغاربة ٤٤
 المغرب ٤١
 مفكرو الحضارة المسيحية ١٩
 المقابر اليهودية ١٠١
 المكابيون ١٦٩ ، ١٧٠ ، ٢٦٠
 الملائكة ٢٩
 الملائكة القديسون ١٩١
 ملطية ٢٣٧
 الممالك الوثنية ٥٤
 المنادون ١٦٥
 مند الاسقف ٧٥
 منكرت ، موقعة ٢٢
 مواساك ، دير ١٠٦
 مورز : ١٠١
 موريس ، دوق ٢١
 موسى ، النبي : ٥٧ ، ٢٥٣
 موليسم ، دير ٢٣٣
 مولت سانت ميشيل قديس ٢١٩
 مونتيجوا : ١٣٥

مذابح اليهود الجماعية ١٠١
 المداخر ٨٥ ، ١٧٤ ، ١٩
 مرسيني ، دير ٢٢٤
 مرعش ١١١ ، ١٣٢
 مريم ، العذراء : ١١١ ، ١٥٥ ، ١٨٧ ، ٢٢٣
 المزامير ٤٧٠ ، ٢٦٣
 المسجد الأقصى ٢٢٢
 المسلمون ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٧٠ ، ٧٨ ، ٨٢ ، ٨٧ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١١ ، ١٢٣ ، ١٢٨ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٧٠ ، ١٧٥ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٢١ ، ٢٤١ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢ ، ٢٦٤
 المسلمون ، الحكام ١٣٥
 المسيح ، نبي ٢٣ ، ٣٠ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ٥٩ ، ٦٢ ، ٧١ ، ٧٨ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٩ ، ١٧٥ ، ١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢٥٢ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٨ ، ٢٧٣
 المسيحية ٥٧ ، ٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ٢٥٨
 المسيحيون ١٦ ، ١٧ ، ٣٥ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٥١ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٥ ، ٩١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٨ ، ١٨٤ ، ١٩٣ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ٢٠٢
 المسيحيون الاوربيون : ٣١ ، ٢٢٩
 المسيحيون الشرقيون ١٠ ، ٤٠ ، ١٨٤
 المسيحيون اللاتين : ٤٠ ، ١٨٤ ، ٢٦٢
 المسيح الدجال : ٧٠
 الكثرعون الكنسيون ٣٠

الحملة الصليبية الاولى

ميراث المسيح : ٤٧	نيترا : ٩٥
ميرزيفون : ٢٣٦	نيش : ٩٤ ، ١١٧ ، ١١٩
ميركيورى ، القديس : ١٧٤ ، ١٨٧ ، ١٩١	نيفيرى : ٢٣٩
ميلان : ٦٣	النيفيرى ، ولیم : ٢٢٩ ، ٢٣٧
ميلانو : ١٨ ، ٥٤ ، ٢٢٩ ، ٢٣٥	نيفيلو : ٧٦ ، ٩٠
ميلو الفينيورى : ٢٣١	نيفيلو ، الاقطاعى : ٧٣

ليقولا ، قديس : ٢٢٤
ليقولا الثانى ، البابا : ١٧
نيولاس ، القديس : ١٨٧
نيكوميديا : ٢٣٥

(ن)

نابلس ، مدينة : ٨٢	نيقية : ٩٤ ، ١١٠ ، ١١٣ ، ١١٦ ، ١٢٠ ،
النار : ٢٩	١٢٤ ، ١٦٣ ، ١٨٢ ، ١٩٨ ، ٢٦١
الناربونى ، بطرس : ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٧	ليم ، مجمع : ٥٤ ، ٦٣
نيكوميديا : ٢٣٦	نيوفمو ستر : ٢٢٤

(هـ)

النبله : ٢١	النجار ، ولیم : ٩٨ ، ١٣٣ ، ١٤٤
النربوتى ، بطرس : ١٥٠	النربوتى ، بطرس : ١٥٠
النسل ، درجو : ١٤٤	النسل ، درجو : ١٤٤
النصارى : ٢٠١ ، ٢٤١ ، ٢٤٨ ، ٢٥٩	النصارى : ٢٠١ ، ٢٤١ ، ٢٤٨ ، ٢٥٩
٢٧٤ ، ٢٧٦	٢٧٤ ، ٢٧٦
النصرانية : ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٥٨	النصرانية : ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٥٨
٢٦٤	٢٦٤
النظام الاقطاعى : ٢٦	النظام الاقطاعى : ٢٦
النظام الابراشى : ٦٨	النظام الابراشى : ٦٨
النظرية البطرسيية : ١٩٠	النظرية البطرسيية : ١٩٠
نفيلو : ٢٣٢	نفيلو : ٢٣٢
نكسار : ٢٣٦ ، ٢٤٨	نكسار : ٢٣٦ ، ٢٤٨
التمسا : ٢٣٨	التمسا : ٢٣٨
نوجبت سوكونى ، دير : ٢٤٦	نوجبت سوكونى ، دير : ٢٤٦
نورجو التوسى : ٢٢٨	نورجو التوسى : ٢٢٨
التورمان : ١٧ ، ١٠٤ ، ١٤٨ ، ١٦٠	التورمان : ١٧ ، ١٠٤ ، ١٤٨ ، ١٦٠
نورماندى ، نوقيه ، ١٠٩ ، ٨٦	نورماندى ، نوقيه ، ١٠٩ ، ٨٦

الحملة الصليبية الاولى

الونديون : ٢٢٥

ويلف البافارى : ٢٣٨

(ي)

يافا : ٨٢ ، ١١٣ ، ٢٤٠

اليهود : ٦٧ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٠١ ،

١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٢٨ ،

١٩٨ ، ٢٥٥ ، ٢٦٥ ، ٢٧٥

يهودا ، منطقة : ٢٥٦

اليوايتين : ١٤١

يوجينيوس الثالث ، البابا : ٢٧٧

يوحنا المعمدان ، قديس : ٢٢٣

يوحنا ذهبى الفم ، قديس : ١٧٤

يوسف الاريمائى : ٩٢

يوم القيامة : ٣٠

اليونان : ١٣٩ ، ٢٢٢

اليونانيون : ٢٢ ، ٣٤ ، ٤٨ ، ١١٨ ، ١٢٠ ،

١٥٣ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٣٦ ، ٢٤٩ ، ٢٦١ ،

٢٦٢

اليونانيون ، اساقفة : ١٩١

هيو ، وليم : ١٧٢

هيو بوشارد : ٧٥

هيو البيرالىسى : ١٢٩

هيو التشمولتى : ١٤٥

هيو الجوى : ٧٣

هيو الديس : ٦٣ ، ٧٣ ، ٢٢٩

هيو الشومولى : ٨٩

هيو الفرمانلى ، كونت : ٦٥ ، ٩٩ ، ١٠٩ ،

١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ٢١٧ ، ٢٢٥ ،

٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٩

هيو القاصر ، قلعة : ٢١٨

هوسومون : ٢١٨

(و)

واتن : ١٣٤

واتن ، كنيسة : ٧٢

واتر الفلس : ٢٢٨

الونديون : ٢٢ ، ٤٦ ، ٥١ ، ١٩٦ ، ٢٢٥ ،

٢٦٨

ولتر التجكى ، دوق : ٩٨

ولتر الفلس : ٩٤ ، ٩٧

وليم ، دوق : ٢٣٢

وليم ، ملك : ٧٨

وليم الاكيتانى : ٢٢٨

وليم الاول ، ملك : ١٥١

وليم البوفى : ١٤٢

وليم بير الكونهلاتى : ١٢٤

وليم الفاستى : ٨٧

وليم المولبلياوى : ١٤٦

وليم سانسفوار : ٢٢٨

وليم هيو المولتيل : ٨٦ ، ١٧٢

مخطط من هطلة السلسلة

أولاً: الموسوعات والمعاجم

ليونارد كوتريل، الموسوعة الأثرية العالمية
وليم بيتر، معجم التكنولوجيا الحيوية
و.د. هاملتون وآخرون، المعجم الجيولوجي
ج. كارفيل، تبسيط المفاهيم الهندسية
ب.ب. كوملان، الأساطير الإغريقية والرومانية

ثانياً: الدراسات الاستراتيجية وقضايا العصر

د. محمد نعمان جلال، حركة عدم الانحياز في عالم متغير

اريك موريس؛ الان هو، الإرهاب
ممدوح عطية، البرنامج النووي الإسرائيلي
اررا . فوجل، المعجزة اليابانية (٢ ج)
د. السيد نصر الدين، إطلالات على الزمن الآتي

بول هاريسون، العالم الثالث غداً
مجموعة من العلماء ، مبادرة الدفاع
الاستراتيجي: حرب الفضاء

و. مونتجمري وات، الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر

بادي آوبمود، أفريقيا الطريق الآخر
فانس بكارد ، إلههم يصنعون البشر (٢ ج)
مارتن فان كريفلد، حرب المستقبل.
العين نوفلر ، تحول المملطة (٢ ج)
ممدوح حامد عطية ، إلههم يقتلون البيئة

السيد أمين شلبي، جورج كينان
يوسف شرارة ، مشكلات القرن الحادي
والعشرين والعلاقات الدولية
د. السيد عليوه ، إدارة الصراعات الدولية
د. السيد عليوه ، صنع القرار السياسي
جرج كاشمان، لماذا تنشب الحروب (٢ ج)
إيمانويل هيمن، الأصولية اليهودية

ثالثاً: الاقتصاد

نورمان كلارك، الاقتصاد السياسي للعلم
والتكنولوجيا
سامي عبد المعطي، التخطيط السياحي في مصر
جابر الجزائر، ما ستريخت والاقتصاد المصري
ميكايل البي، الامقراض الكبير
ولت ويتمان روستو، حوار حول التنمية
الاقتصادية
ميكاتور مورجان، تاريخ القود

رابعاً: العلوم والتكنولوجيا

فيرر هيربيرج ، الجزء والكل محاورات في
مضمار الفيزياء الذرية
فريد هول، البلور الكولية
ويليام بير، الهندسة الوراثية للجمع
جوهان دورشنر، الحياة في الكون كيف نشأت
وأين توجد
اسحق عظيموف، الشمس المتفجرة (أسرار

إيجور إكموشكين، الإيولوجي
إدوارد دو بونو، التفكير العملي

خامساً: مصر عبر العصور

عزم كمال، الحكم والأمثال والنصائح عند
المصريين القدماء
فرانسوا دوماس، آلهة مصر
سيريل ألدريد، أختاتون
د. لينوار تشامبرز رايت، سياسة الولايات المتحدة
الأمريكية إزاء مصر
موريس بيرار، صناعات الخلود
كت. كشن، رمسيس الثاني: فرعون المجد
والانحصار
ألن شورتر، الحياة اليومية في مصر القديمة
ونفرد هولز، كانت ملكة على مصر
جاك كرايس جونور، كتابة التاريخ في مصر
نفتالي لويس، مصر الروماني
عبد مباحر، البحرية المصرية من محمد علي
للسادات (١٨٠٥-١٩٧٣)
د. السيد أبو سدرة، الحرف والصناعات في مصر
الإسلامية
أ. س. إدواردز، أهرام مصر
سومرز كلارك، الآثار القبطية في وادي النيل
كريستيان ديروش نوبلكور، المرأة الفرعونية
بيل شول وأدبها، القوة النفسية للأهرام
جيمس هنري برستد، تاريخ مصر
د. بيارد دودج، الأزهر في ألف عام
أ. سبنسر، الموتى وعالمهم في مصر القديمة
ألفريد ج. بتلر، الكنائس القبطية القديمة في...

السوبرنوفا

روبرت لافور، الترجمة بلغة السي بامستخدام
تيربوسي (٢ ج)
إدوارد ايه فاينينام، الجيل الخامس للحاسوب
عمود سري طه، الكمبيوتر في مجالات الحياة
مصطفى عناني، الميكروكمبيوتر
ي. رادو نسكايا جابوتنسكي، الإلكترونيات
والحياة الحديثة
فرد س. هيس، تبسيط الكيمياء
كاثي ثير، تربية الدواجن
محمد زينهم، تكنولوجيا فن الزجاج
لاري جونيك، الهندسة الوراثية بالكاريكاتور
جينا كولانا، الطريق إلى دوللي
دوركاس ماكليتوك، صور أفريقية: نظرة
على حيوانات أفريقيا
اسحق عظيموف، أفكار العلم العظيمة
د. مصطفى محمود سليمان، الزلازل
بول دافيز، الدقائق الثلاث الأخيرة
وليام. ماتيور، ما هي الجيولوجيا
اسحق عظيموف، العلم وآفاق المستقبل
ب. س. ديفيز، المفهوم الحديث للمكان والزمان
عمود سري طه، الاتجاهات المعاصرة للطاقة
يانش هوفمان، آينشتاين
زافيلسكي ف. س.، الزمن وقياسه
ج. هوز، تاريخ العلم والتكنولوجيا (٢ ج)
د. فاضل أحمد الطائي، أعلام العرب في الكيمياء
رولاند جاكسون، الكيمياء في خدمة الإنسان
إبراهيم القرضاوي، أجهزة تكيف الهواء
ديفيد الدرتون، تربية أسماك الزينة
أندرية سكوت، جوهر الطبيعة

مصر (ج ٢)

روز اليندم، الطفل المصري القديم

ج. و. مكفرسون، الموالد في مصر

جون لويس بوركهارت، العادات والتقاليد

المصرية من الأمثال الشعبية

سوزان راتيه، حشيشسوت

مرحيت مري، مصر ومجدها الغابر

أرج فولكوف، القاهرة مدينة الألف ليلة وليلة

د. محمد أنور شكرى، الفن المصري القديم

ج. جيمز، الحياة أيام الفراعنة

لورد كرومر، الثورة العرابية

إيفان كونج، السحر والسحرة

ساساً: الكلاسيكيات

جاليلى جاليلى، حوار حول النظامين الرئيسين

اللكون (ج ٣)

وليم مارسدن، رحلات ماركو بولو (ج ٣)

أبو الفتح الفردوسي، الشاهنامه (ج ٢)

أدوارد جيبون، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية

موسقوطها

ناصر خسرو حلوي، سفر نامه

فيليب عطية، تراجم زرادشت

ساسها: الفن التشكيلي والموسيقى

عزيز الشوان، الموسيقى تعبير لغمي ومنطق

ألونز جراتر، موتسارت

شوكت الربيعي، الفن التشكيلي المعاصر في

الوطن العربي

ليوناردو دافنشي، نظرية التصوير

د. غريال وهبه، أثر الكوميديا الإلهية لدانتي في

الفن التشكيلي

روبن جورج كولنجود، مبادئ الفن

مارتن جاك، يوهان سيستيان باخ

ميخائيل ستيجيمان، فيفالدي

هيربرت ريد، العربية عن طريق الفن

أدامز فيليب، دليل تنظيم المتاحف

حسام الدين زكريا، الطون بروكر

جيمس جيتز، العلم والموسيقى

هوجولا يخنترت، الموسيقى والحضارة

محمد كمال إسماعيل، التحليل والتوزيع

الأوركسترا

صالح رضا، ملامح وقضايا في الفن التشكيلي

المعاصر

أدموندو سوليمي، ليوناردو

ثامناً: حضارات عالمية

جاكوب برونوفسكى، التطور الحضاري للإنسان

س. م. بورا، التهجئة اليونانية

جوستاف جرونباوم، حضارة الإسلام

د. جرن، الحثيون

ل. ديلاپورت، بلاد ما بين النهرين

ج. كوتتو، الحضارة الفينيقية

آدم متر، الحضارة الإسلامية

جوزيف يند هام، تاريخ العلم والحضارة في الصين

ستيفن ريسيمان، الحضارة البيزنطية

ستيفن موسكاتى، الحضارات السامية

تاسعاً: التاريخ

جوزيف داموس، سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى

هنري برين، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى
أرنولد تويني، الفكر التاريخي عند الإغريق
بول كولز، العثمانيون في أوروبا
جوناثان ريلي سميث، الحملة الصليبية الأولى
وفكرة الحروب الصليبية

د. بركات أحمد، محمد واليهود

ستيفن أوزمنت، التاريخ من شق جوانبه (ج ٣) و.
بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى،
فلاديمير تيسمانيانو، تاريخ أوروبا الشرقية
البرت حوران، تاريخ الشعوب العربية (ج ٢)
نويل مالكوم، البوسنة

جاري ب. ناش، الأحمر والبيض والأسود

أحمد فريد رفاعي، عصر المأمون (ج ٢)

آثر كيمستر، القبيلة الفالقة عشر ويهود اليوم
فاجاي ميتسوي، الثورة الإصلاحية في اليابان
محمد فؤاد كوبرلي، قيام الدولة العثمانية
د. إررار كريم الله، من هم التار

ستيفن رانسيمن، الحملات الصليبية

لبن - ويد جري، التاريخ وكيف يفسرونه (ج ٢)

جوسبي دي لونا، موسوليني

جوردون تشيلد، تقدم الإنسانية

هـ. ج. ولز، معالم تاريخ الإنسانية (ج ٤)

يوهان هويتنجا، استمجال العصور الوسطى

هـ. ج. ولز، موجز تاريخ العالم

عاشراً: الجغرافيا والرحلات

ت. و. فريدر الجغرافيا في مائة عام

ليسترديل راي، الأرض الغامضة

رحلة جوزيف بتس (الحاج يوسف)

اميليا ادواردز، رحلة الألف ميل

رحلات فارتيما (الحاج يونس المصري)

رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز (ج ٣)

رحلة عبد اللطيف البغدادي

رحلة الأمير رودلف إلى الشرق (ج ٣)

يوميات رحلة فاسكو داجاما

س. هوارد، أشهر الرحلات في غرب أفريقيا

إريك أكسيلون، أشهر الرحلات في جنوب أفريقيا

حادي عشر الفلسفة وعلم النفس

جون بورر، الفلسفة وقضايا العصر (ج ٣)

سوندراي، الفلسفة الجوهرية

جون لويس، الإنسان ذلك الكائن الغريب

سدني هوك، التراث الغامض: ماركس والماركسيون

إيفري شاتزمان، كوننا المتمدن

ادوارد دوهونو، التفكير المتجدد

رونالد دافيد لانج، الحكمة والجنون والحمالة

توماس هاريس التوافق النفسي: تحليل المعاملات.

د. أنور عبد الملك، الشارع المصري والفكر

نيكولاس ماير، شارلوك هولمز يقابل فرويد

أنطوني دي كرسيني، أعلام الفلسفة المعاصرة

جين وروبرت هاندلي، كيف تتخلصين من القلق؟

هـ. ج. كريل، الفكر الصيني

أوجست ديس، أفلاطون

د. السيد نصر الدين، الحقيقة الرمادية

ثالث عشر: المسرح

لويس فارحاس ، المرشد إلى فن المسرح
برونو ياشينسكى ، حفلة مايكان
جلال العشري ، فكرة المسرح
جان بول سارتر ، جورج برناردشو ، جان أنوى
مختارات من المسرح العالمي
د. عبد المعطى شعراوي ، المسرح المصري المعاصر:
أصله وبدايته
توماس ليبهارت، فن الماييم والباتومام
زيجمونت هيز، جماليات فن الإخراج
يوجين يونسكو، الأعمال الكاملة (٢ ج)

رابع عشر: الطب والصحة

بوريس فيلوروفيتش سيرجيف، وظائف الأعضاء
من الألف إلى الياء
د. جون شندلر، كيف تعيش ٣٦٥ يوما في السنة
د. ناعوم بيتروفيتش، النحل والطب
م. هـ. كنج، التغذية في البلدان النامية

خامس عشر: الآداب واللغة

برتراند رسل، أحلام الأعلام وقصص أخرى
أليس هكسلي، نقطة مقابل نقطة
جول ويست، الرواية الحديثة : الإنجليزية
والفرنسية
أنور المعداوي، على محمود طه: الشاعر والإنسان
جوزيف كونراد، مختارات من الأدب القصصي

برتراند راسل، السلطة والفرد

مارجريت روز، ما بعد الحداثة

كارل بوبر، بحثا عن عالم أفضل

ريتشارد شاكت، رواد الفلسفة الحديثة

جوزيف داموس، سبعة مؤرخين في العصور

الوسطى

د. روجر ستروجان، هل نستطيع تعليم الأخلاق

للأطفال

إريك برن، الطب النفسي والتحليل النفسي

بيرتون بوتر، الحياة الكريمة (٢ ج)

فرانكلين ل. باومر، الفكر الأوروبي الحديث (٤ ج)

هنري برجسون، الضحك

أرنست كاسيرر، في المعرفة التاريخية

يعقوب فام، البراهمانية

ثاني عشر: العلوم الاجتماعية

د. عيسى الدين أحمد حسين، التنشئة الأسرية والأبناء
الصغار

م. و ترنج، ضمير المهني

رايموند وليامز، الثقافة والمجتمع

روى روبرتسون، الميرون والإيدز

بيتر لوري، المخدرات، حقائق نفسية

ليوبو شكاليا، الحسب

برنسلو مالفينوسكي، السحر والعلم والدين

بيتر رداي، الخدمة الاجتماعية والانضباط

الاجتماعي

بيل جرهارت، تعليم المعوقين

ارنولد جزل، الطفل من الخامسة إلى العاشرة

رونالد د. سمبسون، المعلم والطلاب والمدارس

تاجور شين بن بنج وآخرون، مختارات من الآداب
الأميوية

عمود قاسم، الأدب العربي المكتوب بالفرنسية
مختارات من الشعر الأسباني: في

جابريل جارسيا ماركيز، الجنون في المناهة
سوربال عبد الملك، حديث النهر

د. رمسيس عوض، الأدب الروسي قبل الثورة
البلشفية وبعدها

مختارات من الأدب الياباني: الشعر - الدراما
الحكاية القصصة القصيرة

دهيد بشندر، نظرية الأدب المعاصر

نادين جوردمر وآخرون، سقوط المطر وقصص
أخرى

رالف بي مانلو، تولستوي

والتر آلن، الرواية الإنجليزية

هادي نعمان الحيق، أدب الأطفال

مالكوم برادبري، الرواية اليوم

لوريتو تود، مدخل إلى عالم اللغة

إفوري إيفانز، موجز تاريخ الدراما الإنجليزية

ج. س. فريزر، الكتاب الحديث وعالمه (٢ ج)

جورج ستاينر، بين تولستوي ودستوفسكي (٢ ج)

ديلان توماس، مجموعة مقالات نقدية

فيكتور برومبير، استدلال

فيكتور هوجو، رسائل وأحاديث من المنفى

يانكو لافرين، الرومانتيكية والواقعية

د. نعمة رحيم الغزاوي، أحمد حسن الزيات كاتباً
وناقداً

ف. برميلوف، دستوفسكي

لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة، الدليل

البليوجرافيا

محسن جاسم الموسوي، عصر الرواية : مقال مب
النوع الأدبي

هنري باربوس، الجمعيم

ميجل دي ليس، القتران

روبرت سكولو وآخرون، آفاق أدب الخيال.
العلمي

يانيس ريتسوس، البعيد (مختارات شعرية)

إفوري إيفانز، مجمل تاريخ الأدب الإنجليزي

فمري-أبو السعود، في الأدب المقارن

سليمان مظهر، أساطير من الشرق

صفاء مخلوصي، فن الترجمة

ف.ع. أدنكوف، فن الأدب الروائي عند
تولستوي

سادس عشر: الإعلام

فرانسيس ج. برجين، الإعلام الطيفي

بيتر ألبر، الصحافة

هربرت شيلر، الاتصال والهيمنة الثقافية

سابع عشر: السينما

هاشم النحاس، الهوية القومي في السينما

ج. دادلي، نظريات الفيلم الكبري

روي آرمر، لغة الصورة في السينما المعاصرة

هاشم النحاس، صلاح أبو سيف (محاوالت)

جان لويس بوري وآخرون، في النقد السينمائي
الفرانسي

عمود سامي عطا الله، الفيلم التسجيلي

ستانلي جيه سولومون، أنواع الفيلم الأمريكي

توف بار، التعميل للسينما والتلفزيون
بيتر نيكيلاز، السينما الخيالية
بول وارن، خطايا نظام النجم الأمريكي
دافيد كوك، تاريخ السينما الرواية

ثامن عشر: كتب مختيرة الفكر
الإنساني

سلسلة لتلخيص التراث الفكري الإنساني
في صورة عروض موجزة لأهم الكتب
التي ساهمت في تشكيل الفكر الإنساني
وتطوره مصحوبة بترجم لمؤلفيها وقد
صدر منها ٩ أجزاء.

جوزيف وهاري فيلدمان، دينامية الفيلم
قلري حقي، الإنسان المصري على الشاشة
موف براخ، السينما العربية من الخليج إلى المحيط
حسين حلمي المهندس، دراما الشاشة: بين النظرية
والتطبيق للسينما والتلفزيون (٢ ج)

إدوارد بري، عن النقد السينمائي الأمريكي
جوزيف م. بوجز، فن الترجمة على الأعلام
سعيد شيمي، التصوير السينمائي تحت الماء
دوايت سوين، كتابة السيناريو للسينما
هاشم النحاس، لمحب محفوظ على الشاشة
يوجين فال، فن كتابة السيناريو

دانييل لريغون، قواعد اللغة السينمائية
كريستيان ساليه، السيناريو في السينما الفرنسية
— آلان كاسيبار، التذوق السينمائي

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٤٢٠٠/١٩٩٩

ISBN — 977 — 01 — 6481 — X

في السنوات الأخيرة للألفية الأولى الميلادية، استبد بسكان أوروبا - التي كانت تعيش في جهالات عصورها الوسطى بظلماتها - الاعتقاد بأن نهاية العالم باتت وشيكة، وبدأ الناس يترقبون علامات الساعة، فأخذوا يفسرون كل ظاهرة طبيعية، وكأنما هي إشارة ربانية تنذرهم باقتراب يوم الحساب. وفي ظل ذلك المناخ المتأجج بالعاطفة الدينية والرغبة في التماس الخلاص الروحي، تضافرت عوامل عدة اجتماعية واقتصادية ودينية لكي تهيئ الطريق لقيام سلسلة من الحملات العسكرية تحت راية الصليب لكي تستعيد، على حد ما زعم - الأراضي المقدسة التي شهدت مولد المسيحية - من أيدي الشرق الإسلامي. وقد بوغت الشرق الذي كان يعيش في أزهي عصور حضارته العربية الإسلامية بشراسة تلك الهجمة التي لم يستطع حيالها دفعا بعد أن أضناه طول الصراعات والانقسامات السياسية والمذهبية، فتمكن الصليبيون من تأسيس عدة ممالك على امتداد سواحل الشام. وظلت الحرب سجلاً بين الغرب والشرق على مدار نحو ثلاثة قرون، ولم تنقض إلا بعد أن بدأت تخبو جذوة الروح الصليبية في أوروبا إثر النكبات التي حاقت بجيوشها في الشرق من ناحية، ونتيجة للتغيرات الاقتصادية والاجتماعية وتضاؤل نفوذ الكنيسة على الحياة السياسية هناك من ناحية أخرى. وهذا الكتاب يغوص بنا إلى جذور تلك الحروب، وأبعادها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية. ورغم انقضاء أكثر من ألف عام على مولد فكرة الحروب الصليبية، إلا أن دراستها لا تخلو أبداً من فائدة، لاسيما في العصور التي تجتاحها تيارات التعصب الديني، وتسعى فيها قوى لاستغلال الدين لتحقيق أخس المطامع الدنيوية على حساب البسطاء والسماح بالشعارات الطنانية، ويتصورون أن الدماء والكراهية يمكن أن تكفي الروح.

Bibliotheca Alexandrina



0399755

To: www.al-mostafa.com